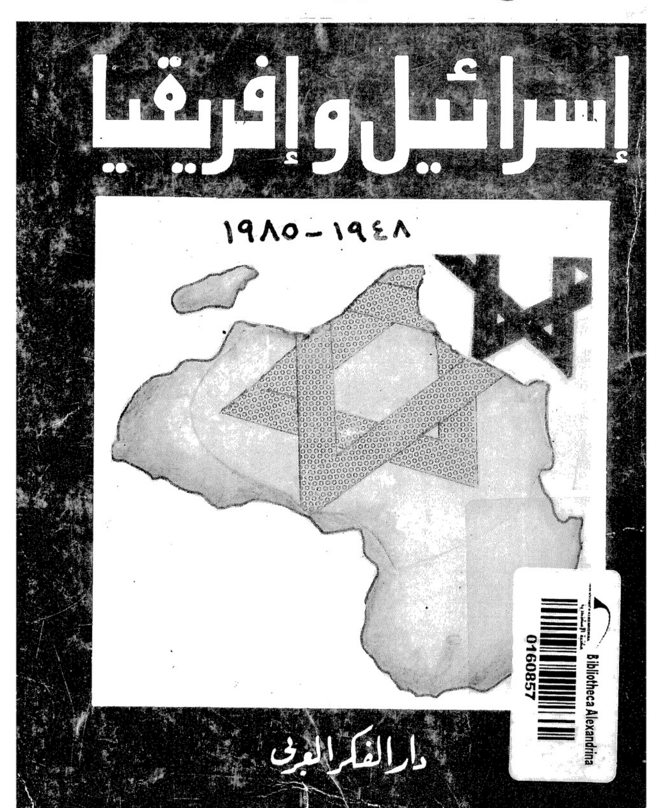
دكتورة عواطف عبد الرحمن
حلمي شعراوي



إسرائيل وافريقيا
١٩٤٨ - ١٩٨٥

إسرائيل وأفريقيا

١٩٤٨ - ١٩٨٥

الدكتورة عواطف عبد الرحمن
حلمي شعراوي

الطبعة الثانية

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة
ص . ب : ١٣٠ - ت ٧٦٠٥٢٣

الفهـــرس

مقدمة الطبعة الثانية

لماذا قسمان ؟

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٧٤ فيما أصبح الآن القسم الأول من الكتاب ، صدر عن مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ببيروت . كانت إسرائيل وقتها قد بلغت إحدى قمم نشاطها فى القارة الأفريقية ، ومع ذلك جاء الموقف الأفريقى بمقاطعتها دبلوماسيا عامى ١٩٧٣/٧٢ مثيرا للدهشة ، وللتقدير - بالتأكيد - للعمل العربى الافريقى .

لكن هذه الدهشة وضعت كثيراً من التساؤلات أمام المثقفين العرب والافريقيين فى ذلك الوقت رغبة فى تحليل وتفسير ما حدث مع إسرائيل . وكان الكتاب فى طبعته الأولى هذه إحدى المحاولات لدراسة وتفسير تطور علاقات إسرائيل بإفريقيا بين ١٩٤٨/١٩٧٣ . كانت التساؤلات حول حقيقة وضع إسرائيل فى افريقيا ، حقيقة العلاقات والأنشطة ، ثم التساؤل عما وراء مواقف الدول الافريقية ، أفرادا وجماعيا . ولا يخفى على أحد أن عدداً كبيراً من الكتب صدر فى السبعينيات بمختلف اللغات عن العلاقات الافريقية العربية والإسرائيلية تنطلق من محاولة تفسير هذا الموقف الافريقى « المفاجىء » لصالح العرب بعد كل هذا النشاط المسجل لصالح إسرائيل . وتنوعت المنطلقات والتفسيرات بالطبع فى تحليل هذه التطورات . وجاء القسم الأول هنا كواحد من هذه المحاولات ، التى ساعد مركز الأبحاث الفلسطينى مشكوراً فى إنجازها .

لكن مياها كثيرة جرت فيما بين ١٩٧٤ و ١٩٨٤ ، غنية بالظواهر والمعلومات والسياسات ، والمفاجآت أيضا ، ومن ثم ألقت على شطآننا بالكثير من التساؤلات الجديدة ، بقدر ما عادت تلقى على المثقف العربى والافريقى واجبات جديدة فى الدرس والتحليل والتفسير .. .

فالثروة البترولية العربية بل والافريقية : « والفوائض » المترتبة عليها أصبحت مغرية بتسميتها « سلاح البترول » ، وضغط « الدولار البترولى » ، والكتلة العربية الأفريقية فى إطار تنظيمات التعاون المشترك توحى بأن ثمة قوة جديدة فى العالم الثالث لا يستهان بها . وحجم « المساعدات العربية » لافريقيا والمواقف الافريقية الودية ، توحى كلها بأن ثمة قيمة خاصة لهذه العلاقات المتبادلة لا تخفى دلالتها .

ولم يكن هذا كله مثيرا للتساؤل ، لكن الذى كان مثيرا فعلا هو أن هذه « الظواهر » التى تبدو إيجابية قد اقترنت بتطورات جد خطيرة بالنسبة لحركة التحرر الوطنى العربية والأفريقية ، وحركة التغير بل والصراع الاجتماعى الاقتصادى فيما يعرف بالعالم الثالث ثم فى صياغة النظام العالمى سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

فما ان بلغنا الثمانينيات إلا والنظم الطفيلية والعسكرية طاغية على سطح العالم الثالث تنهش فى مكتسبات الشعوب طوال عقدين مضيا على الاستقلال وانهارت إلى حد كبير مشروعات الاستقلال الوطنى وبناء الدولة الحديثة ، وتعاظمت الديون وتراجع الاستثمار من أجل خطط تنمية وطنية . وعلى المستوى العالمى ازداد تحكم الاحتكارات العالمية فى مصائر هذه الشعوب وقادت الإمبريالية الأمريكية مظاهر السيطرة حتى على أوربا نفسها لتجعل من صندوق النقد الدولى السكرتارية الدولية للامبريالية ، وتوزعت على ساحة العالم بؤر الامبريالية الصغرى من الأغنياء الصغار أو النظم الديكتاتورية ، نُظم الاستعمار الجديد المعروفة التى أصبحت تقوم بدورها بنيتها الاجتماعية الخاصة أحيانا بل وأيديولوجيتها فى السيطرة أحيانا أخرى كما عرفتها المنطقة العربية والافريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية .

ولم تكن مفاجأة أن يبدأ محور إسرائيل - جنوب أفريقيا فى قيادة مجموعة الامبرياليات الصغرى تمتد من كوريا الجنوبية وتايوان مرورا بالشرق الأوسط وحتى البرازيل والأرجنتين .

وبدت إسرائيل بخاصة طويلة الباع فى منطقتنا كما بدت جنوب افريقيا كذلك فى جنوب القارة التى كانت قاعدة توازن خاص عبر التعاون العربى الافريقى .. وهنا انفجرت التساؤلات ... كيف ولماذا .. بل وما الذى يحدث بالضبط من حولنا ...؟ .

وهنا عادت الضرورة للحديث مجدداً - مع منتصف الثمانينيات عن إسرائيل وأفريقيا ... وكانت الضرورة بالتالى أن يضم هذا الكتاب القسم الثانى منه ، لمحاولة الإجابة عن بعض هذه التساؤلات . كانت الضرورة عملية لاستكمال المعلومات بعد عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٨٤ عن تطوير دور إسرائيل فى افريقيا . ولم يكن الجهد فى هذا الجانب بعيدا عن المصادر الفلسطينية . وكما كان الحال مع القسم الأول ، فقد كانت الترجمات عن المصادر الإسرائيلية هامة لأخذ المعلومات من أصولها .

وكانت الضرورة فكرية لمحاولة الإجابة عن تساؤلات طرح بعضها القسم الأول وطرح بعضها الآخر الواقع الجديد لطبيعة نفاذ إسرائيل داخل المجتمعات والاقتصاد الافريقى رغم القطيعة « الدبلوماسية » والدور الامبريالى العالمى فى احتواء إسرائيل والمال العربى ضمن خطط واحدة .

وساهمت الكتابات الغربية والإسرائيلية نفسها فى إجلاء بعض هذه الحقائق كما ساهم الحوار الأفريقى داخل المجتمعات الافريقية أو مع الجانب العربى فى إجلاء بعضها الآخر .

لذا جاءت بعض أوراق هذا القسم الثانى ضمن أعمال هذا الحوار .

فالفصل السادس عن إسرائيل وأفريقيا ١٩٨٣/٧٣ : تمت مناقشته وتعديله فى ضوء حوار عربى موسع فى ندوة كبيرة بعمان أقامها مركز دراسات الوحدة العربية حول العلاقات العربية الافريقية .

والفصل السابع عن إسرائيل قوة امبريالية صغرى فى العالم الثالث : تمت مناقشته حين وضعته الجمعية الافريقية للعلوم السياسية على جدول أعمالها فى مؤتمرها السادس بأديس ابابا - مايو ١٩٨٥ .

والفصل الثامن الحوار الافريقى حول إسرائيل : هو حوار داخلى فى المجتمع النيجيرى الذى تحاول إسرائيل النفاذ له بقوة دائما ، وأتاح المثقفون النيجيريون بأنفسهم للكاتب مادة هذا الحوار .

إذن فثمة أساس لفهم طبيعة علاقة إسرائيل بافريقيا حتى ١٩٧٣ وثمة تطورات وتفسيرات لظواهر مثيرة للتساؤل فيما بعد ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٤ ... .

ولذا كان لابد من قسمى الكتاب ليتابع القارىء قصة المعاناة العربية الافريقية من هذه القوة الامبريالية الصغرى من ١٩٤٨ وحتى ١٩٨٤ .

ويبقى دائما الكثير مما لم نتوصل إليه بعد وما سوف يفرض الجديد فى هذا الموضوع المصيرى الخطير .

القاهرة - تونس ١٩٨٥

الكاتبان

الباب الأول

إسرائيل وافريقيا

١٩٤٨ - ١٩٧٣

الدكتورة عواطف عبد الرحمن

مقدمة

ان اقدام ٢٩ دولة افريقية على قطع او (تجميد) علاقاتها باسرائيل احتجاجا على استمرار العدوان الاسرائيلي علـى الاراضي العربية بعد حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ يعتبر البداية الحقيقية لنقل الصراع العربي الاسرائيلي الـى قلب القارة الافريقية ذاتها . ذلـك ان افريقيا كانـت وسوف تظل ساحة اساسية لمجريات هـذا الصراع وحلقة هامة من حلقاته ويعكس هذا الاتجاه مدى التغير الذي طرا على موقف الدول الافريقية مجتمعة ممثلة في منظمة الوحدة الافريقية من الصراع العربي الاسرائيلي منذ عدوان ١٩٦٧ وحتى مايو ١٩٧٣ عندما اتخذت المنظمة في دورة انعقادها العاشرة اقوى قرار اتخذته منذ عدوان١٩٦٧ بشأن ازمة الشرق الاوسط اذ لاول مرةاعترفت بان (احترام الحقوق الثابتة لشعب فلسطين يشكل عنصرا اساسيا في اي حل عادل ومنصف للازمة ، كما أعلنت ان موقف اسرائيل (قد يحمل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية على أن تتخذ على المستوى الافريقي بصورة فردية أو جماعية تدابير سياسية واقتصادية ضد اسرائيل وذلك بسبب تهديدها لامن القـارة الافريقيـة ووحدتها نتيجة لعدوانها المستمر ورفضها الجلاء عن الدول التـي وقعت ضحيـة لعدوان ١٩٦٧ . . (١) .

ولم يكن من اليسير التنبؤ بهذا المسلك وهذه التطورات منذ سنوات قليلة فقد كان من الصعب مناقشة القضية الفلسطينية او مـا يسمى الصراع العـربي الاسرائيلي على هذا النحو في منظمة الوحدة الافريقية قبـل عـام ١٩٦٧ اذ ان اسرائيل استطاعت خلال سنوات امتدت اكثر من ١٥ عاما أن تحقق في افريقيـا انجازات سياسية واقتصادية واجتماعية لا يمكن تجاهلها . ففي نطـاق سعي اسرائيل الدائم لتدعيم وتنمية علاقاتها الدبلوماسية مع اكبر عدد من الدول الافريقية استطاعت ان تحقق نجاحا دبلوماسيا كبيرا اذ وصل عدد بعثاتها الدبلوماسية الى ٣٢ بعثة في قارة بها ٣٥ دولة افريقية غير عربية هذا بالاضافة الى اقامتها علاقات وثيقة بالمسئولين في هذه الدول وتوقيع معاهدات صداقة وتعاون معها . وذلك كله فضلا عما حققته اسرائيل في المجال الاقتصادي (التجاري والاستثماري) . ويكفي الاشارة الى ان عدد الخبراء الذين أوفدتهم اسرائيل الى افريقيا قد وصـــل الى ٣٩٤٨ خبيرا في الفترة ما بين ١٩٥٨ ــ ١٩٧٠ ، وهو ما يمثل ٦٠ ٪ او أكثر من

١ ــ نشرة ادارة افريقيا ــ مصلحة الاستعلامات ــ القاهرة ــ يوليو ١٩٧٣ .

جملة الخبراء الذين ارسلتهم اسرائيل الى دول العالم الثالث كما تلقى ٨١٤٢ افريقيا تدريباتهم في اسرائيل (٢) .

وبالفعل فقد ارادت اسرائيل ان تكون افريقيا ساحة ممتدة تحاصر بها الدول العربية وتنمي داخلها نقاط ارتكاز لنشاطها وصورت نفسها للدول الافريقية غير الغربية الحديثة الاستقلال بانها دولة تنتمي الى العالم الثالث والى قارتي آسيا وافريقيا والى تطلعاتهما الى التقدم والتحديث والتحرر بعد الاستقلال وانها بين هذه الدول تعد نموذجا فريدا في قدراتها على الانجاز التكنولوجي وعلى تطوير الزراعة واستزراع الصحراء وتنشيط بيع منتجات القارة من المواد الخـام والمحصولات الزراعية وانها فوق ذلك قادرة على الاقراض وعلى تنمية مشروعات تتولاها دولـة صغيرة لا تنتمي الى الغرب الاستعماري الذي تحملت افريقيا ابشع صور استغلاله وقمعه واضطهاده واستطاعت ان تقنع القادة الافريقيين بانها قادرة على ان توفـر لمجتمعاتهم الاستقرار وان مخابراتها كفيلة بتقديم مشورات مفيـدة وخدمات جدية في كبت كل حركة تمرد وملاحقة كل محاولة انقلاب .

ولا شك ان ذلك يدعونا الى توضيح الهدف العام للعمل الاسرائيلي في افريقيا والاساليب التي حاولت بها تحقيق هذا الهدف وتمكنت بها من تحقيق هذه النجاحات الملحوظة . فافريقيا التي تملك ثلث مقاعد الامم المتحدة تملك بالتالي تأثيرا فعليا في صنع قرار المجتمع الدولي وتلك مسالة هامة لاسرائيل منذ ١٩٥٦ حين وحدت أمام العالم بين مصالحها ومصالح بريطانيا وفرنسا خلال العدوان الثلاثي وكانت الجهود العربية قـد نشطت لوصم اسرائيل بانها اداة للامبريالية . كذلك فان ظهـور حركة التضامن الاسيوي الافريقي منذ باندونج (١٩٥٥) كانت تهدد بعزل اسرائيل ومن هنا كانت مساعيها في افريقيا محاولة منها لتحسين وضعها الدولي . وراحت تبحث عن الوسائل التي تحقق بها (القفز من فوق اسوار الحصار العربي) والبحـث عـن حلفاء تخترق عن طريق علاقتها بهم (التحالف المقدس) بين القوميات الافريقية ـ الآسيوية .

ولما كان هذا الهدف يعكس احتياجات ومصالح الاستعمار الجـديد بزعامـة الولايات المتحدة الامريكية فقد قامت اسرائيل بتنفيذ عـدد من البرامـج تساندها وتمولها أمريكا بزعم أنه يتفق تماما مع التطلعات الافريقية ويختفي وراء اقنعة مثالية. وكانت اسرائيل بذلك تحقق اهدافها ومصالحها من ناحية وتدعم من ناحية أخرى علاقاتها الحيوية بأمريكا بان تكون (الجسر) بين المستعمرات السابقـة والاستعمار الجديد . وكانت برامج المساعدات الاسرائيلية ترتكز علـى الجوانب الاستراتيجية كالتدريب العسكري وطرق مقاومة الحركات الثورية واقامـة المشروعات المشتركة وتوسيع علاقاتها التجارية . وعلى الرغم من أن هذه المساعدات لم تكن كبيرة من الناحية الاحصائية الا ان العمل من خلال تخطيط شامل وبكوادر مدربة عوض الحجم المحدود

---

٢ ـ تقارير ادارة الاعلام ـ الجامعة العربية ـ القاهرة يناير ١٩٧٢ ـ الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ ـ مركز الابحاث ـ بيروت .

للمساعدات بل وحمى نتائج لا تنكر . وفي المجال السياسي والايديولوجي من خلال النقابات ومنظمات الشباب عملت اسرائيل على الترويج للافكار المناهضة للاشتراكية وسعت الى تصدير ما يسمى بالتجربة الاسرائيلية التي قال عنها ارنولد ريفكين (٣) (ان التجربة الاسرائيلية تختلف عن النموذج الغربي ولكنها بكل تأكيد اكثر تلاؤما مع مصالح العالم الحر من اية تجربة شيوعية وبالتالي فان تطبيقها في افريقيا يرضي الافريقيين الناقمين على الغرب وفي نفس الوقت فان ذلك لا يضر بالغرب) .

ومما يجدر الاشارة اليه ان اهتمام اسرائيل بافريقيا ليس حديثا بقدر ما ارتبط نذ مدة بعيدة بتبلور الفكرة الصهيونية فقد كانت لافريقيا ، بالاضافة الى مناطق حرى ، وجود في الفكر والمخططات الصهيونية منذ بداية هذا القرن .

وفي بحث الصهيونية عن وطن فانها كانت تفكر في توطين اليهود في عدد من المناطق الاخرى (قبرص ــ سيناء ... الخ) كخطوة اولى نحو توطينهم في فلسطين ولم يكن جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني في ذلك الوقت راضيا عن هذا الاقتراح كما ان اللورد كرومر رفض اقتراح توطين اليهود في سيناء . وكان تشمبرلين قد سبق أن أخطر هرتزل بانه مستعد لبحث فكرة (مكان وسط الممتلكات البريطانية لم يسكنه بعد مستوطنون بيض) . ثم قدم اقتراحا آخرا في يوم ٢٣ ملوس ١٩٠٣ ، مؤداه اتخاذ اوغندا او مرتفعات كينيا التي كانت في ذلك الوقت مزمعا ضمها الى اوغندا كوطن لليهود (٤) .

واخيرا أخبر هرتزل تشمبرلين ان القاعدة الصهيونية يجب أن تكون في فلسطين أو بجوارها وفيما بعد يمكننا أيضا ان نستوطن اوغندا لان لدينا اعدادا هائلة من الناس تريد الهجرة .

وقد كتب تشمبرلين فيما بعد يقول (ان الدكتور هرتزل لو كان ميالا الى توجيه جهوده الى شرق افريقيا لما كانت هناك صعوبات في ايجاد ارض مناسبة للمستوطنين اليهود) (٥) ورغم التصميم على فلسطين فقد كانت فكرة توطين اليهود في افريقيا تراود ذهن هرتزل طوال الوقت . كما كانت موزامبيق من بين الاماكن التي درست لتكون وطنا لليهود . وفكر في ان يدفع للبرتغال ليحصل منها على موزامبيق بهدف تقديمها فيما بعد لبريطانيا العظمى مقابل العريش (٦) ... وقد إجتذبته الفكرة كثيرا الى حد مقابلة السفير البرتغالي وطلب مناقشة البرتغال لاقتراحه . بيد انه لم يتابع الفكرة لانه احس بان البرتغال لن توافق عليها .

وكان الكونغو البلجيكي ــ زائير الآن ــ من بين المناطق الاخرى التي درسها

---

٣ ــ البعث السورية ــ دمشق ــ فبراير ١٩٧٢ .

٤ ــ محمد عمر بشير ــ اسرائيل وافريقيا ــ بحث مقدم لندوة الخرطوم ــ اكتوبر ١٩٧٣ ــ ص ٤ . نقلا عن جوليان امري ــ حياة جوزيف تشمبرلين ــ لندن ــ ١٩٥١ ــ ص ٢٦٢ .

٥ ــ المرجع السابق .

٦ ــ محمد عمر بشير ، المرجع السابق ، ص ٥ ، نقلا عن ثيودور هرتزل ــ مذكرات ــ جمعها وترجمها مارفين لورنسال ــ نيويورك ١٩٥٦ ــ ص ٣٧٠ .

هرتزل في ذلك الوقت . ولكنه تخلى عن تلك الفكرة لفشله في مقابلة ليوبولد ملك بلجيكــا .

ان اوغنده وموزامبيق او الكونغو لم تعتبر بديلا لفلسطين ، بـل كانت تعتبر بمثابة مرحلة مؤقتة يمكث فيها اليهود قليلا قبل التحرك الى فلسطين .

وكانت افريقيا ، وبخاصة شرق افريقيا واوغنده ، في نظر هرتزل تشكل الامتداد المحتمل لاسرائيل في المستقبل .

وفي هذا الصدد ذكـر الدكتـور علي مزروعي في محاضرة القاهـا في كمبالا في اغسطس ١٩٧١ مـا يلي :

« ان مؤسس الحركة الصهيونية واصل التفكير في افريقيا على انهـا امتداد ممكن لاسرائيل اكثر من كونها وطنا لليهود . ولما كانت هناك اعداد كبيرة من اليهود الذين ارادوا الاستقرار معا في مناطق يستطيعون فلاحتها بانفسهم ويسمونها وطنا مشتركا ، فقـد اعتبرت فلسطين مكانا غير مناسب لكـل اليهـود الذيـن ارادوا الاستقرار معـا بهذه الطريقة . ولذلك فـان هرتـزل ـ مثله مثـل وزارة الهنـد في العشرينات والثلاثينات ، راى ان شرق افريقيا يعتبر مكانا مناسبا للموجة الثانيـة من الاستعمار اليهودي لا الموجة الاولى » (٧) .

ثم واصل كلامه قائلا : « وبعد ذلك بسنوات كثيرة تحدث دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل الوليدة ، الى زعيم من زعماء شرق افريقيا كان فـي زيارة لاسرائيل عن الخطة القديمة التي كانت تزمع اسكان اليهود في اوغنده بدلا مـن فلسطين . واجاب الزعيم القادم من شرق افريقيا « لعله مـن الافضل ان هـذه الخطة لم تنفذ على الاطلاق ، والا لكان اليهود قد طردوا الآن » (٨) .

ومن هنا يتضح لنا ان افريقيا كانت تحتل جانبا من الفكر الصهيوني والخطط الصهيونية منذ مطلع هذا القرن . وعلى الرغم من ان الدول الاستعمارية لم تمنح الصهاينة اية منطقة في افريقيا ، الا ان مؤسسي الصهيونية واصلوا الاهتمام بتوطين اليهود في افريقيا . وهاجر آلاف اليهود الى افريقيا واستقروا فيها نهائيا . ومنح الاستعمار الغربي الكثيرين من اليهود فرص الذهاب الى افريقيا كمديرين وفنيين ورجال اعمال ، واستقر بعض هؤلاء فيهـا نهائيـا . وحتى عندمـا جلت الـدول الاستعمارية فضل الكثيرون من اليهود البقاء في افريقيا . ولم تدفع حقيقة اغتصاب الصهيونية لفلسطين وطرد اهلها العرب من وطنهم جميع اليهود المقيمين في افريقيا على الرحيل عنها .

ولا شك ان هذه العوامل التاريخية لا تقف وحدها وراء تطلع اسرائيل فيما بعد ١٩٤٨ الى افريقيا لان هناك عوامل اخرى كثيرة سياسية واقتصـادية واجتماعية

---

٧ ـ د. علي مزروعي ـ وادي العنف ـ محاضرة القاها في كمبالا ١٠/٨/١٩٧١ .
٨ ـ المرجع السابق .

دفعت اسرائيل وساعدتها في هذا التوسع الذي استمر حتى عام ۱۹۷۳ ، وفي نفس الوقت كانت هناك عوامل اخرى متنامية تؤهل الموقف الافريقي ليصبح على ما هو عليه الآن .

لذلك فاننا سوف نسير في بحثنا هذا على النحو التالي :

الفصل الاول : سيخصص لدراسة العوامل التي ساعدت على تغلغل اسرائيل في الدول الافريقية وتتضمن الظروف السياسية والاقتصادية للقارة ـ الدعم الاستعماري لاسرائيل ثم دور الجاليات اليهودية في افريقيا . ونشير في هذا الفصل الى الاجهزة الاسرائيلية التي تقوم بتنفيذ السياسة الاسرائيلية في افريقيا .

الفصل الثاني : يتناول جذور السياسة الاسرائيلية في افريقيا ويتضمن الاهداف الاسرائيلية في افريقيا (اهداف سياسية ـ اهداف اقتصادية ـ واهداف اخرى .. الخ)

الفصل الثالث : ويتناول تطور العلاقات الاسرائيلية الافريقية التي تنقسم الى ثلاث مراحل . المرحلة الاولى ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ المرحلة الثانية وتعرف باقتحام افريقيا وتبدأ من ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ وتشير الى التوسع الدبلوماسي الاسرائيلي الذي تم خلالها في افريقيا ـ المرحلة الثالثة وتعرف بمرحلة الدعم من ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ . ثم نشير الى مصادر المعارضة للنشاط الاسرائيلي في افريقيا ويتضمن المعارضة الافريقية والاجنبية والعربية .

الفصل الرابع : يتناول مظاهر النشاط الاسرائيلي في افريقيا ويشمل

١ ـ النشاط السياسي . ٢ ـ النشاط الاقتصادي . ٣ ـ النشاط العسكري .

٤ ـ النشاط الثقافي والاجتماعي والنقابي .

الفصل الخامس : يتناول العلاقات الافريقية الاسرائيلية من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ .

الفصل الأول

العوامل التي ساعدت على تغلغل اسرائيل في افريقيا

من اجل الالمام بالعوامل التي مهدت للسياسة الخارجية الاسرائيليه في افريقيا علينا معرفة التركيب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للقارة الافريقيه حيث تساعدنا هذه المعرفة على كشف الظروف التي في ظلها تغلغلت اسرائيل داخل الدول الافريقية سواء تمثلت هذه الظروف في المناخ السياسي الذي خلفه الاستعمار الغربي لافريقيا وما ترتب عليه من خلق طبقات جديدة من القيادات والفنيين والمهنيين الذين تربوا على المفاهيم الغربية ونهلوا من ثقافة الغرب لا زالوا يتطلعون للحياة الغربية كنموذج مثالي أو تمثلت في الظروف الاقتصادية حيث مظاهر التخلف والحاجه الماسة لكل عون يقدم بالاضافة الى النقص في المرافق الاساسية والضرورية للتنميه. كذلك هناك الدعم الذي قدمه الاستعمار الغربي لاسرائيل ومعاونتها على شق طريقها داخل المجتمعات الافريقية بما اتاحه لها من التستر في ظل تنظيماته او التنظيمات الدولية وغير ذلك من أوجه الدعم المختلفة مما اوجد بيئة خصبة وملائمه ومدعمه للتغلغل الاسرائيلي في القارة .

الظروف السياسية في القارة :

لقد استفادت اسرائيل من الميراث الاستعماري الذي خلفه في القاره والذي تمثل في طبيعة المناخ الفكري الذي نشأت في ظله القيادات السياسية الافريقيه حيث تشبعت بالتراث الغربي اللاتيني والانجلوسكسوني سواء في الجامعات والمعاهد والبعثات الدراسية او في المدارس التي اوجدها الاستعمار في الدول الافريقيه وبجانب هذه القيادات أوجد الاستعمار قوى ضغط اجتماعية تمثلت في الهيئات والنقابات والجمعيات التي نشأت في ظله وارتبطت بمفاهيمه مثل اتحادات الطلبه ونقابات العمال (١) وتنظيمات الشبيبة والنقابات المهنية والفرق الرياضيه ومن هذه التجمعات برزت قوى لها مصالحها حافظت على الاوضاع القائمة والصوره التقليديه للمجتمعات الافريقية بعد رحيل الاستعمار .. وفي هذه البيئة مهد الاستعمار للاتصالات الاسرائيلية الافريقية حيث نشط الهستدروت وحزب الماباى الاشتراكي

١ ـ د. عبد الملك عوده ـ اسرائيل وافريقيا ـ منشورات معهد الدراسات العربيه العدد ص ٣٨ ـ ٣٩ .

والتنظيمات الاسرائيلية المختلفة للاتصال بالتنظيمات المماثلة في افريقيا . وقد تحركت اسرائيل بسرعة في هذا المناخ مستغلة قبولها من القيادات السياسية الافريقية التي رحبت بها ومستفيدة من تأييد القوى الضاغطة لارتباط مصالحهما سويا . وقام ممثلو الهستدروت والوكالة اليهودية والاحزاب الاسرائيلية الاشتراكية والعمالية بدور كبير في هذا المناخ الملائم . وامتد النشاط الاسرائيلي ليشمل الكثير من الدول الافريقية قبل اعلان استقلالها لخلق الظروف المهدة للتغلغل . وفي ظل هذا الاطار المهيء حرصت اسرائيل على استثمار كافة الامكانيات والظروف المتاحة من اجل تعميق وجودها داخل الدول الافريقية الحديثة الاستقلال وقد كان ممثل اسرائيل يصل فور اعلان الاستقلال ويقدم عروضا سخية للمساعدات المادية والفنية باسم اسرائيل لبدء علاقات تعاون تشمل معظم الميادين ويظهر حرصه على مصلحة الدول الافريقية الناشئة ويضخم مقدرة اسرائيل في مد يد العون لها . وهنا لا نجد القيادات السياسية ولا قوى الضغط ولا النقابات ما يحول دون قبول اسرائيل وعروضها بل والترحيب بها (٢) .

ومما ساعد على خلق بيئة فكرية ملائمة للتغلغل الاسرائيلي في افريقيا ان بعض القيادات الافريقية كانت تبدو حريصة على استقلالها السياسي مما انعكس على موقفها من المساعدات الاجنبية فقد كانت تتردد قبل الموافقة على المعونات المقدمة لها خشية ان تكون مصحوبة باطماع سياسية . وهنا كانت تتقدم اسرائيل في صورة الدولة الصغيرة التي لا تنتمي للغرب الراسمالي ولا للشرق الشيوعي بل تعتمد على تجربتها الذاتية التي اصبحت بفضلها نموذجا للتقدم والتنمية ومثالا للديمقراطية والاشتراكية الحقة كما انها دولة حيادية لا اطماع لها في افريقيا بجانب ان تجربتها تميزت بالسرعة في الانجاز واصبح لديها الخبرات الوفيرة وهذا ما تتطلع له الدول الافريقية . وقد تمكنت اسرائيل بفضل هذا الاسلوب من اكتساب ثقة ورضاء القيادات السياسية الافريقية مما ادى في فترة وجيزة الى انطلاق اسرائيل وتنفيذ مخططها في افريقيا بنجاح ملحوظ .

الظروف الاقتصادية للقارة الافريقية :

عندما حصلت الدول الافريقية على استقلالها السياسي في الستينات وجدت نفسها امام تركة ثقيلة من التخلف والفقر والتجزئة لا زالت تعاني من مضاعفاتها حتى الآن . فالقارة التي تبلغ مساحتها ٢٣ ٪ من مساحة العالم ويسكنها ٨ ٪ من سكان العالم قسمت الى اكثر من ٥٠ قطرا بين دولة ومستعمرة نلمس فيها كل مظاهر التخلف الاجتماعي والاقتصادي . فالزراعة التقليدية هي السائدة في معظم انحاء افريقيا فضلا عن تأخر الاساليب الفنية والآلات والمعدات الزراعية وانتشار امراض النباتات. كذلك في الصناعة تتغلب الحرف اليدوية التي تهدف الى سد الحاجات المحلية وتتركز الصناعات الكبرى في المدن كما ان معظمها انشئت برؤوس اموال اجنبية . ويمثل القطاع الزراعي النشاط الرئيسي لمعظم سكان افريقيا (٧٠ ٪ من القوى

---

٢ - حمد سليمان المشوخي - **التغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا** - رسالة ماجستير - كلية التجارة - جامعة الاسكندرية - ١٩٧٢ ، ص ٢٥٤ .

الفصل الثالث

تطور العلاقات الاسرائيلية الافريقية

المرحلة الاولى ١٩٤٨ - ١٩٥٦

على الرغم من ان اسرائيل لم تتجه فعليا نحو افريقيا الا بعد مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ الا انه كان لها اتصالات سابقة متفرقة مع القارة وان كانت قليلة ومحدودة اقتصرت على دولتين افريقيتين فقط هما ليبيريا واثيوبيا وقد حصلت اسرائيل على اول تأييد افريقي من ليبيريا سنة ١٩٤٧ عندما صوتت لصالحها. وليبيريا تعد ثالث دولة في العالم تعترف باسرائيل عند قيامها سنة ١٩٤٨ . وافتتحت اسرائيل لها قنصلية فخرية في منروفيا ١٩٥٤ الا ان خضوع ليبيريا للنفوذ الامريكي لم يضف قيمة على هذه الاتصالات كما لم تهتم اسرائيل بها كثيرا لانشغالها بمشاكلها الداخلية . اما اثيوبيا فلم تكن تريد تعقيد علاقاتها التاريخية مع جاراتها من الدول العربية التي تقع على نهر النيل وكانت تأمل في الحصول على مساندتهم في مسالة ارتيريا لذلك امتنعت عن التصويت على قرار التقسيم ١٩٤٧ كما ان اعترافها باسرائيل لم يتم سوى في ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦١ وقد جاء ذلك بعد فترة طويلة من تعاون اثيوبيا واسرائيل في المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية . ومما يثير الانتباه ان اثيوبيا لم تمنح اسرائيل اعترافها ولم توافق على تبادل السفراء معها الا بعد قيام التبادل الدبلوماسي بين أسرائيل وعدد كبير من الدول الافريقية الاخرى ، اذ تم تبادل العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين اثيوبيا واسرائيل في مايو ١٩٦٢ . والواقع ان علاقات اسرائيل مع هاتين الدولتين والتي بدات منذ أعلان قيام دولة اسرائيل في مايو سنة ١٩٤٨ كانت محدودة عموما ، فاثيوبيا التي تعتبر قريبة نسبيا من اسرائيل كان يفصلها عنها سيطرة مصر على قناة السويس وشرم الشيخ ولم تتمكن اسرائيل من النفاذ الى اثيوبيا ومنطقة شرق افريقيا عن طريق ميناء ايلات الا بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦ (١) . وكان حجم التجارة بين اسرائيل واثيوبيا في ذلك الحين صغيرا ليس فقط بسبب صعوبة المواصلات بين البلدين بل ايضا بسبب ان احتياجات اسرائيل حينئذ كانت تتركز في السلع الرئيسية والمواد الغذائية خصوصا الحبوب واللحوم وكان من الصعب بالنسبة لاثيوبيا ان تزود اسرائيل باحتياجاتها الاساسية في مجال المواد الغذائية . فقط كانت

---

(١) - S. Decalo, op. cit., PP 52-54

اثيوبيا تستطيع تزويد اسرائيل بجزء من حتياجاتها . ولهذا فانه الى اليوم ورغم زوال عقبة المواصلات فان حجم التجارة بين البلدين لا زال يمثل قدرا محدودا من السلع الثانوية . ومن الناحية الدبلوماسية فلم تكن اثيوبيا تريد تصديع علاقاتها بالدول العربية ولذلك فضلت الاقتصار على العلاقات القنصلية رغم الحاح اسرائيل بضرورة تبادل السفراء مع اثيوبيا وذلك حتى سنة ١٩٦٢ . اما بالنسبة لليبيريا فقد واجهت وزارة الخارجية الاسرائيلية معها مشاس من نوع آخر فهناك أولا بعد المسافة بين البلدين . وثانيا لم يكن لاسرائيل اية ركائز او جاليات يهودية في غرب افريقيا على عكس ما حدث في اثيوبيا حيث توجد قبائل الفلاش والصلة التاريخية بين الملك سليمان وملكة سبأ . ومن هنا كان الوضع بالنسبة لليبيريا يختلف ولذلك بدات اسرائيل تركز على اوجه التشابه بينها وبين ليبيريا من حيث النشأة على اساس ان كل منهما يمثل بؤرة تقدم وسط عالم متخلف . وفيما يتعلق بالتجارة فلم تكن هناك سلع تستحق التبادل بين الدولتين ولذلك لم يكن هناك خلال ٥ سنوات اية علاقات تجارية بين البلدين ومع ذلك تمكنت اسرائيل من جعل ليبيريا أول جسر حقيقي لها الى غرب افريقيا . فقد أبدى الرئيس الليبيري السابق توبمان منذ اللحظة الاولى لاعلان قيام دولة اسرائيل تعاطفا شديدا معها وقد قام بزيارة اسرائيل ١٩٥٤ وتعتبره اسرائيل من الاصدقاء الاوائل المؤيدين لها . وليبيريا هي اول دولة افريقية تبدأ علاقات دبلوماسية مع اسرائيل (وكان الوفد الليبيري في الامم المتحدة مزودا بتوجيهات صريحة من الرئيس توبمان بالتصويت الى جانب اسرائيل على طول الخط وبالفعل فقد صوتت ليبيريا الى جانب اسرائيل في قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧ وقبول اسرائيل كعضو في الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ واقتراح اجراء مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل سنة ١٩٥٢) . وتعتبر ليبيريا أول دولة افريقية تعقد معها اسرائيل معاهدة صداقة وتعاون . وفي سنة ١٩٥٦ بمناسبة العيد الثالث لرئاسة توبمان للجمهورية الليبيرية ارسلت اسرائيل دكتور لبوين (رئيس شعبة آسيا وافريقيا السابق بوزارة الخارجية الاسرائيلية) كمبعوث خاص من اسرائيل لتهنئة توبمان . وفي ١٩٥٧ بدأ تبادل السفراء بين الدولتين وذلك بعد مرور اربعة اشهر على موافقة غانا على استقبال اول سفير اسرائيلي في كل الدول الافرو آسيوية . ورغم ما اتسم به موقف ليبيريا الرسمي تجاه اسرائيل من بعض الحذر والتحفظ في بعض الاحيان فان العلاقات غير الرسمية تمت بسرعة ففي سنة ١٩٥٥ اقيمت في منروفيا اول شركتين برؤوس اموال اسرائيلية ـ ليبيرية . وهاتان الشركتان تختلفان عن جميع الشركات الاخرى التي ساهمت اسرائيل في تكوينها في الدول الافريقية . اذ انهما يحظيان برعاية الحكومة الليبيرية وذلك طبقا لسياسة الباب المفتوح التي تتبعها ليبيريا وهما يعتبران فرعا لشركة ماير للاستثمارات في تل أبيب وبفضل تشجيع ومساندة الحكومة الليبيرية اصبحت احدهما ، وهي شركة البناء الليبيرية ، هي الشركة الرئيسية للبناء والتعمير في منروفيا . وقد قامت خلال ثمانية اعوام بتغيير الهيكل المعماري لمدينة منروفيا عاصمة ليبيريا (٢) كما قامت الشركة

---

٢ ـ جيروزاليم بوست ١٩٦٢/٦/٢١ .

الاخرى باستثمار رؤوس الاموال الاسرائيلية في الصناعات الليبيرية . وقــد بدات اسرائيل عقب حرب السويس ١٩٥٦ تندفع في اقامة علاقات وثيقة مع الدول الافريقيه واخذ معدل التبادل التجاري بينها وبين غرب افريقيا ينمو بشكل ملحوظ وقد ساعد على ذلك اقامة خطوط ملاحية مباشرة (شركة تسيم) بـين اسرائيل وغـرب افريقيا واتخذت منروفيا مركزا رئيسيا للشبكة الملاحيـة الافرو اسرائيلية . وكـان الطلبـة الليبيريون هم اوائل الافريقيين الذين وجهت لهم اسرائيـل الدعوة لزيارتها والدراسة بها وكذلك العمال والموظفين الافريقيين التابعين لشركتي البناء والاستثمارات الليبيرية .

وقد ظلت علاقات اسرائيل مع الدول الافريقية قاصرة علـى ليبيريا واثيوبيا حتى مارس سنة ١٩٥٧ وان كانت من الناحية التجارية احتفظت ببعض العـلاقات التجارية مع كل من كينيا ونيجيريا ومدغشقر وجابون . وكانت الاتفاقات التجارية يتم ابرامها مع السلطات الاستعمارية . ورغم ان اسرائيل كانت توفد بعثات تجـاريه الى مناطق اخرى في افريقيا ولكنها كانت محدودة الاثر وذات مهام استطلاعية ولذلك لم تتحدد علاقات اسرائيل بالدول الافريقية الا حوالي سنة ١٩٥٧ بعد حصول غـانا على استقلالها . واذا كانت علاقة اسرائيل ببورما تعتبر ركيزة العلاقات الاسرائيلية في آسيا فان ليبيريا لعبت نفس الدور في افريقيا ورغـم ان اسرائيل والحكومـة الاسرائيلية لم تستثمر التعاون الفني والتجاري بينها وبين ليبيريا في تطوير العلاقات الدبلوماسيه من البلدين الا بعد استقلال غانا وتبادل العلاقات معها ولكـن لا يمكن تجاهل الفوائد التي جنتها اسرائيل من علاقاتها المبكرة مع ليبيريا والتي استثمرتها في فهم الواقع الافريقي والتغلغل في باقي الدول الافريقية بعد ذلك (٣) .

المرحلة الثانية اقتحام افريقيا (١٩٥٨ ـــ ١٩٦٢)

تنقسم الفترة التي تبدأ من ١٩٥٧ طبقـا لوجهة نظـر السياسة الخارجيـة الاسرائيلية في افريقيا الى مرحلتين اساسيتين . المرحلة الاولى وهـي التي تبدأ مـن ١٩٥٧ الى ١٩٦٢ وقد وضعت خلالها سياسة اسرائيل موضع الاختبار وطـرأ كثير من التعديلات على الاهداف والمواقف الاسرائيلية تجاه القارة الافريقية . امـا المرحلة الثانية فهي تبدأ من ١٩٦٢ حتى ١٩٦٧ ونلحظ انه تم خلالها تدعيم اساسي لمكاسب اسرائيل في افريقيا كما ان اسرائيل تمكنت من تأكيد وجودها فـي الامم المتحـدة والوكالات المتخصصة وكذلك تأكيد وجودها في العالم الافرو اسيوي . وتتميز المرحلة الاولى بالبعثات الاستطلاعية التي كانت ترسلها اسرائيل الى افريقيا مثـل المرحلة التي قام بها دكتور ليوبن (الرئيس السابق لشعبة آسيا وافريقيا بوزارة الخارجية الاسرائيلية) لافريقيا في نوفمبر ١٩٥٥ وقد استغرقت شهرين زار خلالهما أثيوبيـا وليبيريا وساحل العاج كذلك بعثة موشي دايان الى ليبيريا وغانا سنة ١٩٥٧ تضـاف اليهما زيـارة جولدا مائير الاولى لافريقيا سنة ١٩٥٨ ، وكان يصحبها وكيـل وزارة الخارجية الاسرائيلية وتعتبر هذه الزيارة اول زيارة اسرائيلية رسمية على مستوى عال الى الدول الافريقيه وقد شملت ليبيريا وغانا ونيجيريا والسنغال وساحـل

٣ S. Decalo op. cit., p 55

العاج . وقد اجرت خلالها جولدا مائير محادثات هامة مع زعماء هذه الدول مثل نكروما وتوبمان وسنجور وهوفيت بوانييه وازيكوي وقد تأثرت جولدا مائير بالحفاوة التي قوبلت بها من الافريقيين واكدت في باريس وهي في طريق عودتها الى اسرائيل (الحاجة الى بذل مجهود دولي على نطاق واسع من اجل البدء فورا في بذل المساعدة الحقيقية للدول الافريقية) (٤) . وقد اكدت مائير قولها مرة اخرى في اجتماع الكنيست في مناقشة عن ميزانية وزارة الخارجية الاسرائيلية اذ اشارت الى ان (الدول الافريقية التي زارتها تضم شعوبا طيبة وصادقة وبعيدة عن العقد وتستحق بذل المعونات لها ويجب ان لا تقتصر صداقاتنا على اوربا وامريكا) .

وقد علقت الصحافة الاسرائيلية على اهمية زيارة مائير لافريقيا فكتبت جيروزاليم بوست في افتتاحيتها ٤ ابريل ١٩٥٨ تقول (تحمل زيارة مسز مائير لغرب افريقيا دلالة هامة وتطورا ذو مغزى في السياسة الخارجية الاسرائيلية ولا شك ان غياب وزيرة الخارجية خمسة اسابيع عن البلاد في رحلة مكثفة للدول الافريقية يمثل علامة هامة في حد ذاتها على نمو المصالح الاسرائيلية سياسيا واقتصاديا مع القارة السوداء) . وبالفعل فقد كان لهذه المرحلة تأثير واضح على علاقة اسرائيل بالدول الافريقية وخاصة بعد موجة الاستقلال التي اجتاحت الدول الافريقية . اذ ساهمت هذه الرحلة في زيادة شعبية اسرائيل في افريقيا بشكل لم يكن متوقعا من قبل . وقد مهدت هذه الزيارات الطريق امام اسرائيل لاكتساب مساندة واقتناع الافريقيين بكل ما هو اسرائيلي (٥) .

وتعد الطريقة التي تصاعدت بها العلاقات الدبلوماسية بين غانا واسرائيل خلال عامي ١٩٥٧ – ١٩٥٩ الاولى من نوعها في تاريخ العلاقات الدبلوماسية الاسرائيلية ولا يمكن مقارنتها حتى بالنسبة للعلاقات الفرنسية الاسرائيلية وقد كان من الطبيعي ان يؤدي هذا النجاح الذي لاقته اسرائيل في غانا الى المبادرة باقامة سفارة اسرائيلية في بلد افريقي آخر هو ليبيريا وقد كان يوجد بها من قبل قنصلية اسرائيلية وقد تم ذلك في اغسطس ١٩٥٨ حيث قدم هانان بافور سفير اسرائيل في غانا اوراق اعتماده كسفير ايضا في ليبيريا . واكثر من ذلك ان جولدا مائير كانت قد اشارت اثناء رحلتها لافريقيا سنة ١٩٥٨ بان الانجازات التي تم تحقيقها على المستوى الدبلوماسي مع غانا وليبيريا يمكن تكرارها في نيجيريا والسنغال وساحل العاج وبالفعل فقد اعلنت اسرائيل في فبراير ١٩٥٩ عن توسيع شبكتها الدبلوماسية في افريقيا بانشاء قنصلية في السنغال وسفارة في غينيا (٦) واثناء عامي ١٩٥٨ – ١٩٥٩ قام بعض رؤساء الدول الافريقية بزيارة اسرائيل وكان ذلك بناء على دعوات شخصية وجهتها لهم مائير اثناء زيارتها سنة ١٩٥٨ لافريقيا . كما ان بعض الرؤساء الافريقيين زاروا اسرائيل بدافع حب الاستطلاع وخاصة بعد المغامرة الاسرائيلية الغانية التي نالت اهتماما واسعا من الصحافة الافريقية، لذلك تحمسوا لزيارة اسرائيل

---

٤ – جيروزاليم بوست ٧ آذار (مارس) – ٤ نيسان (ابريل) ١٩٥٨ .

٥ – اثيوبيان هيرالد ، اديس ابابا ، ١٩٦٠/١١/٦ – ارشيف سفارة اثيوبيا – القاهرة .

٦ – جيروزاليم بوست ، ١٩٥٩/٢/٢٤ .

للاطلاع على التجارب الجديده في مجالات التنمية التي روجت لها اسرائيل والصحف الافريقية كثيرا . وقد واجهت وزارة الخارجية الاسرائيلية في ذلك الحين مشكله تتعلق باعلان غينيا استقلالها عن فرنسا وخروجها عن اطار المجموعة الفرنسية في غرب افريقيا . وقد ابرقت غينيا في ذلك الحين الى جميع الدول تطالبهم بالاعتراف باستقلالها . ووقعت اسرائيل في مأزق - اذ ان حرصها على تدعيم مواقعها في افريقيا كان يحفزها للاستجابة لنداء غينيا على الفور في حين ان اي تحرك من جانبها كان سوف يغضب الحكومة الفرنسية وقد كان من العسير على اسرائيل اغضاب فرنسا التي كانت في ذلك الحين تعد الحليف والصديق المقرب بالنسبة للاسرائيليين . ولذلك فضلت اسرائيل تأجيل الرد وابلغت غينيا بانه رغم حرصها الشديد على تنمية علاقات التعاون معها على جميع المستويات ولكنها تفضل ارجاء الرد الى وقت آخر قريب . وفي يناير ١٩٥٩ طلبت اسرائيل من سفيرها في غانا التحرك الى غينيا واتخاذ الاجراءات التمهيدية اللازمة لتبادل السفراء بين غينيا واسرائيل . وكانت اسرائيل قد ابلغت فرنسا في ذلك الحين بكل الخطوات التي اتخذتها في هذا الصدد (وقد استطاع الدبلوماسيون الاسرائيليون اقناع الحكومة الفرنسية بضرورة اعترافهم بالنظام الغيني من أجل حل مشكلة الامن الاسرائيلي واكتساب مزيد من المواقع في العالم الثالث) (٧) .

هذا وقد ساعدت موجة الاستقلال التي اجتاحت الدول الافريقية عام ١٩٦٠ على ازدهار الدبلوماسية الاسرائيلية في القارة . اذ حرصت اسرائيل على تدعيم العلاقات التي كانت قد بدأتها مع بعض الدول الافريقية قبل الاستقلال والاعتراف بها رسميا عن طريق البعثات الدبلوماسية كما حرصت على انشاء علاقات جديدة مع الدول التي لم تكن لها علاقات بها من قبل . ولا شك ان هناك بعض العوامل التي سهلت في البداية الجهود الدبلوماسية الاولى التي بذلتها اسرائيل في افريقيا . والشيء الذي يثير الانتباه والدهشة في آن واحد هو ان الصحافة الافريقية ما عدا بعض الاستثناءات كانت متعاطفة تماما مع اسرائيل منذ البداية . فبينما كانت الصحافة الاسيوية لا تتوقف عن توجيه الادانة الى اسرائيل باعتبارها دولة عدوانية وخاصة دورها في حرب السويس ١٩٥٦ كانت الصحف الافريقية اما تشير باقتضاب الى العدوان الثلاثي على مصر او تتجاهل الاحداث . ومهما تكن الاسباب والدوافع التي تكمن وراء موقف الصحافة الافريقية من اسرائيل (قد يكون بسبب ملكية معظمها لشركات أجنبية وخضوعها للرقابة الاستعمارية او الاجراءات البوليسية) ولكن موقفها كان يتسم بالتعاطف الكامل مع اسرائيل . وقد ادركت اسرائيل منذ البداية الامكانيات الضخمة للرعاية المتاحة لها في افريقيا بفضل وجود صحافة متعاطفة وقد شجعها ذلك على تجنيد كثير من الاقلام والكتاب والصحفيين للكتابة عن اسرائيل والترويج لها من خلال توجيه الدعوات لهم لزيارة اسرائيل والتعرف على

---

٧ - جيروزاليم بوست ١٩٥٨/١١/١٤ .

المسئولين فيها مما ساعد في النهاية على خلق رأي عام افريقي متعاطف مع اسرائيل (٨) .

وبالفعل فقد قام عدد كبير من الصحفيين والمراسلين في افريقيا بزيارة اسرائيل واصبحوا من اهم اجهزة الرد على الدعاية المضادة لاسرائيل التي كانت تقوم بها السفارات العربية في افريقيا . ويلاحظ ان كثير من الكتاب الافريقيين كانوا يحرصون في مقالاتهم على الاقتباس من الصحف الاسرائيلية واعادة نشر المقالات الهامة وهناك بعض الدول الافريقية التي تقوم بتغطية اخبار اسرائيل بنفسها ويساعدها في ذلك وجود شبكة واسعة من مراكز الاستعلامات الاسرائيلية في افريقيا تعادل الاهتمام الافريقي باسرائيل . اما اذاعة صوت اسرائيل فقد بدات تضاعف نشاطها الموجه الى افريقيا منذ الستينات حيث بدات ارسالها باللغتين الانجليزية والفرنسية لغرب افريقيا في يناير ١٩٦٠ ثم تلا ذلك ارسالها بالانجليزية والامهرية والسواحيلي لشرق افريقيا (٩) .

وقد لاقت اسرائيل ترحيبا حارا في دول غرب افريقيا (الفرانكوفون) بسبب العلاقات الوثيقة التي كانت تربط اسرائيل بفرنسا وكما قال ليون مبا رئيس جمهورية الجابون اثناء زيارته لاسرائيل سنة ١٩٦١ ، وان احد الاسباب الرئيسية التي تدفعني الى فتح ابواب بلادي امام اية مبادرة اسرائيلية هو ان اسرائيل وجابون يربطهما حب فرنسا) (١٠) . وقد صدرت تصريحات مماثلة من رؤساء دول غرب افريقيا . فالصداقة والتعاون الاسرائيلي الفرنسي كان يمثل بمثابة موافقة فرنسية مسبقة على تغلغل اسرائيل في الدول الافريقية الفرانكوفونية. وبالفعل فقد اشتركت فرنسا واسرائيل في تنفيذ كثير من مشروعات التعاون الفني في افريقيا . وقد دعيت اسرائيل بناء على اقتراح فرنسا الى اجتماعات السوق الاوروبية المشتركة . ومما سهل التغلغل الدبلوماسي الاسرائيلي في افريقيا ان اسرائيل قامت بتعيين مجموعة من الدبلوماسيين الاكفاء في مناصب هامة بالقارة. ولم يكن من قبيل الصدفة ان يكون اول ثلاثة سفراء اسرائيليين يعملون في افريقيا كانوا اعضاء كيبوتز ويجيدون جميع المسائل والامور التي تثير اهتمام الدول الافريقية . كذلك لم يكن صدفة ان يختار المرشحون للعمل كسفراء لاسرائيل في افريقيا من بين من يكونون على خبرة بالشئون الزراعية .

ويقدر التأثير الذي احدثته سفارة اسرائيل في غانا في السنوات الاولى للاستقلال فان سفارة اسرائيل في افريقيا الوسطى بلغت نفس المستوى خاصة في السنوات ٦٢ الى ١٩٦٤ فالعلاقات بين السفير الاسرائيلي والرئيس داكو كانت وثيقة

٨ - اهم الصحف الافريقية التي عالجت هذا الموضوع نوفمبر ١٩٥٦ ، **ليبريان آج** (ليبريا) ، **ديلي جرافيك** (غانا) - **اثيوبيان هيرالد** (اديس ابابا) **ديلي تايمز** (لاجوس) - **باريس داكار** (السنغال). وعموما كانت الصحافة الفرانكوفونية متعاطفة مع اسرائيل بينما كانت صحف الدول الانجلو فون شبه محايدة .

٩ - **جيروزاليم بوست** ، ١٩٦٠/١٢/٧ .

١٠ - باريس - داكار - ١٩٦١/٥/١٥ . مكتبة السفارة السنغالية بالقاهرة .

جدا الى درجة تبادل الزيارات اليومية (١١) وقد انعكست هذه العلاقة الحميمه على العلاقات الرسمية بين اسرائيل وافريقيا الوسطى . ورغم ان السفراء الاسرائيليين في افريقيا لم يلاقوا جميعا نفس النجاح في خلق علاقات وطيدة مع الرؤساء الافريقيين كما حدث للسفير الاسرائيلي مع رئيس جمهورية افريقيا الوسطى ولكن كان لهم على الاقل علاقات وثيقة مع اعضاء مكاتب رؤساء الدول الافريقية وكانت وطيدة اكثر من علاقاتهم مع موظفي وزارات الخارجية الافريقية ويرجع ذلك الى الزيارات التي كان يقوم بها الرؤساء الافريقيون لاسرائيل والتي دعمت العلاقات الشخصية على اعلى مستوى بين الجانبين الافريقي والاسرائيلي كما ان القنصليات التي اقامتها اسرائيل في وقت مبكر سابق للاستقلال والتي اصبحت بعد الاستقلال سفارات لاسرائيل لعبت دورا هاما في كسب الراي العام الافريقي الى جانب اسرائيل ولا شك ان سرعة اعتراف اسرائيل بالدول الافريقية الجديدة وعروض المعونةالفنية وايفاد وفود وزارية اسرائيلية للمشاركة في احتفالات الاستقلال في الدول الافريقية كل ذلك مهد الطريق امام اسرائيل في افريقيا .

ورغم ان اسرائيل فقدت فرصة لا تعوض في غينيا بتأجيل اعترافها باستقلال غينيا عن الحكومة الفرنسية سنة ١٩٥٨ ولكنها وعت الدرس جيدا وعندما قامتثورة زنزبار كانت اسرائيل من اوائل الدولالتي اعترفت بالنظامالجديد مما ساعد اسرائيل على احراز مكانة هامة في تانزانيا بعد ذلك . وقد سار النشاط الدبلوماسيالاسرائيلي في افريقيا جنبا الى جنب مع الانشطة الاخرى في المجالات الثقافية والرياضية والاقتصادية وقد خصصتمدينتان في اسرائيلرمزا للصداقة الافريقيةالاسرائيلية كما سميت بعض الشوارع في اسرائيل باسماء زعماء حركات التحرير الافريقية وبدأت وفود النساء والشباب تتبادل الزيارات . وبدأ تبادل الهدايا من اسرائيل والدول الافريقية ولم يعد يقتصر على الهدايا المكلفة مثل الطائرات التي ارسلتها الى نكروما وتوبمان سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ بل تعددت واصبحت هدايا بين الهيئاتالشعبية الاسرائيلية والافريقية (١٢) .

المرحلة الثانية من ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢

العلاقات الدبلوماسية بين افريقيا واسرائيل

بدأ تبادل الوفود بين اسرائيل والدول الافريقية يدخل مرحلة جديدة اتسمت بالنشاط الملحوظ وقد شمل مختلف الانشطة الشعبية والثقافية .

ففي بداية ١٩٥٩ وصلت بعثة من النيجر للاطلاع على انجازات اسرائيل في المجال الزراعي والاجتماعي وتلتها بعثة من تشاد كان يراسها الرئيس تومبالباي وقد ضمت كبار موظفي الدولة . وفي نوفمبر ١٩٥٩ وصلت الى اسرائيل بعثة من نقابات عمال غينيا تضم ٥ اعضاء لقضاء ٥ اسابيع لدراسة الحركة التعاونية والاقتصاد الاسرائيلي وقد اعقب ذلك وصول وفد نقابي من غينيا كان يضم عشرة اشخاص في

١١ ـ S. Decalo, op. cit., p. 112

١٢ ـ Ibid, p. 113

منحة دراسية لمدة ٦ اشهر . واثناء هذه الفترة سافر الياهو اليات سفير اسرائيل في بريطانيا الى افريقيا لبحث امكانية تبادل العلاقات السياسية والاقتصادية مع المستعمرات البريطانية في شرق وغرب افريقيا (١٣) .

وفي ابريل ١٩٥٩ استهلت اسرائيل اول سلسلة من معاهدات الصداقة مع الدول الافريقية . اذ تم في منروفيا توقيع معاهدة صداقة بين ليبيريا واسرائيل تقضي (بدعم صداقة مستديمة ثابتة وباقية بين البلدين) وكانت هذه ثالث معاهدة من هذا النوع توقعها اسرائيل مع اية حكومة اجنبية وكانت المعاهدتان الاوليان مع هولندا والولايات المتحدة .

واذا كنا نعتبر عام ١٩٦٠ عام افريقيا نظرا لموجة الاستقلال التي اجتاحت القارة في ذلك العام فاننا نستطيع ان نشير الى ان هذا العام يمثل البداية النشطة لنمو العلاقات الافريقية الاسرائيلية اذ بدا خلاله يتأكد الاحساس بشكل متزايد بالوجود الاسرائيلي في القارة ككل . ولم يكن من الصعب على الاسرائيليين الا يلحظوا الزيادة الكبيرة في عدد الوفود الوزارية الافريقية التي كانت تصل اسرائيل تباعا . وقد ارادت جولدا مائير ان تؤكد اهتمام اسرائيل باستقلال الدول الجديدة في افريقيا [illegible] الى ياوندي لحضور الاحتفال باستقلال الكامرون في اول يناير ١٩٦٠ وقدمت للحكومة الجديدة عددا من المنح الدراسية وقد اضطرت مائير الى الهبوط في ابيدجان بسبب متاعب تعرضت لها محركات الطائرة واجتمعت لفترة قصيرة مع الرئيس بوانييه قبل ان تواصل رحلتها الى منروفيا لحضور احتفال تنصيب توبمان ثم فريتاون واكرا وكوناكري للقيام بزيارات رسمية (١٤) .

كذلك قام اشكول بجولة في افريقيا (وقد كان وزيرا للمالية في ذلك الحين) بعد شهور قليلة زار اثنائها ليوبولدفيل (لحضور احتفالات استقلال الكونغو) ومن هنالك واصل رحلته الى ابيدجان واكرا وداكار ومنروفيا وباماكو ولاجوس .

وفي نيجيريا اعلن اشكول عن تقديم اسرائيل لقرض بمبلغ ٣٫٥ مليون جنيه استرليني للحكومة النيجيرية وتشكيل ثلاث شركات مشتركة . ثم سافر دايان الى نيجيريا بعد شهرين لحضور احتفالات الاستقلال ، وقد تم منح اكثر من ٢٠٠ منحة دراسية اسرائيلية الى نيجيريا خلال عام ١٩٦٠ . كذلك قدم اشكول ٢٥ منحة دراسية لمالي وعرض تقديم مساعدة اسرائيل في مجال زراعة المحاصيل (١٥) .

ومن ابرز الوفود الاسرائيلية التي زارت افريقيا خلال ذلك العام وفد برئاسة آري ايلان (مندوب اسرائيل في الامم المتحدة آنذاك) والوزير كارميل الذي جمع اتفاقيات الطيران بين افريقيا واسرائيل وجدعون رفائيل الذي وضع التفاصيل النهائية لمؤتمر رحبوت الذي عقد في اغسطس ١٩٦٠ واشترك فيه حوالي ٤٠ وفدا

---

١٣ - Ibid, p. 99

١٤ - Ibid, p .101

١٥ - جيروزاليم بوست ، ١٩٦٠/٧/٥ ، اثيوبيان هيرالد ١٩٦٠/٧/١٩ .

ممثلون الدول النامية . وقد حضره الرئيس يولو رئيس جمهورية الكونغو برازافيل وجابريل ليست نائب رئيس جمهورية تشاد (الذي نحي عن منصبه اثناء زيارته لاسرائيل) كما حضره عدد كبير من الوزراء وكبار الموظفين في افريقيا . ويتميز عام ١٩٦٠ بكثرة الوفود الافريقية التي زارت اسرائيل . اما عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ فقد اتخذت العلاقات الافرو اسرائيلية شكلا اكثر رسمية واصبحت الزيارات الرسمية هي الطابع المميز للعلاقات بين اسرائيل والدول الافريقية ، صبح وصول وفود وزارية افريقية الى اسرائيل حدثا يقع كل يوم . وكان أول من استهل زيارة اسرائيل من الرؤساء الافريقيين موريس ياميوجو الذى وصل اسرائيل في ١٩٦١ وقد استقبل استقبالا رسميا حافلا وقد برزت انباء هذه الزيارة في الصحف الافريقية على نطاق واسع لان ياميوجو كان في ذلك الحين رئيسا لدول مجلس الوفاق وقد حضر حفل تقديم أوراق اعتماد جان بابيست موكي سفيرا لدى اسرائيل واختتم زيارته بسلسلة من الاتفاقيات وقبل رحيله تم توقيع معاهدة صداقة دائمة مع اسرائيل وصدر بيان مشترك أعربت فيه الدولتان عن اسفهما لوجود الاستعمار ودعتا الى تحرر بقية الدول الافريقية واعربتا فيه عن ايمانهما بالتسوية السلمية للصراعات عن طريق المفاوضات المباشرة (١٦) .

وفي الشهر التالي وصل الرئيس الملاجاشي السابق تسيراناتا الى اسرائيل وقد تعهد رسميا اثناء زيارته بتأييد مطالب اسرائيل الخاصة بحرية الملاحة في قناة السويس واجراء مفاوضات مباشرة لحسم النزاع العربي الاسرائيلي . وبعد مرور شهر وصل الرئيس ماجا رئيس جمهورية داهومي الى اسرائيل وقد منح فور وصوله وسام داهومي الوطني الى بن زفي وقد وصل الرئيس ماجا مع وزيري الخارجية والزراعة في داهومي وكانت هذه الزيارة بالنسبة له ، مثله مثل معظم الرؤساء الافريقيين الذين زاروا اسرائيل ، اول رحلة له خارج بلاده ومرة اخرى وفي نهاية الزيارة الرسمية صدر بيان مشترك يدعو الى اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب .

وبعد فترة راحة قصيرة استغرقت عدة اشهر بدأ المسئولون في وزارة الخارجية الاسرائيلية يستعدون لجدول مكتظ بالزيارات مع بدء موسم ١٩٦٢ . وقد وصل الرئيس ليون مبا رئيس جمهورية الجابون الى اسرائيل في ٦ مايو ١٩٦٢ للاشتراك في احتفالات الاستقلال وجاء معه وزيرا الخارجية والاقتصاد الوطني وبعض كبار المسئولين . وقد تم توقيع اتفاقيات هامة للتعاون التجاري والفني وشملت الاتفاقيات معاهدة صداقة . وقد تم التأكيد على روح الود التي تكنها كل من جابون واسرائيل لفرنسا . ومرة أخرى اكد البيان المشترك على ضرورة المفاوضات المباشرة كحل للصراعات الدولية كما اشاد بمعاهدة ايفيان الخاصة بالجزائر والتي كانت قد وقعت مؤخرا على اساس انها تحققت بفضل الحكمة السياسية للجنرال ديجول (١٧) .

ولم تكد اعلام جابون تطوى حتى جاءت اشارة برفع اعلام جمهورية افريقيا

---

١٦ – تعتبر اسرائيل هذه البيانات المشتركة بمثابة اسلحة دبلوماسية ضد الدول العربية فمن خلال هذه البيانات تمارس اسرائيل الضغط على العرب من اجل البدء في مفاوضات سلام .

١٧ S. Decalo, op. cit., pp. 100-101

الوسطى وكان في انتظار الرئيس داكو عند هبوطه من الطائرة جميع الزعماء السياسيين الاسرائيليين بما فيهم بن زفي وبن جوريون وجولدا مائير ورئيس الكنيست واعضاء السلك الدبلوماسي . وعندما وصل الرئيس داكو الى القدس في ٦ يونيو ١٩٦٢ دعا بصراحة الزعماء العرب الى عقد السلام مع اسرائيل لخيرهم وخير بلادهم (١٨) . وتم توقيع اتفاقية صداقة بين اسرائيل وجمهورية افريقيا الوسطى . كما تم توقيع عدد كبير من الاتفاقيات بالاحرف الاولى . وليس هناك ما يدعو الى القول ان البيان الصادر في نهاية زيارته كان مشابها في معظم جوانبه لتلك البيانات التي صدرت في نهاية الزيارات الرسمية للزعماء الافريقيين الآخرين . وبعد اقل من اسبوع من رحيل داكو وصل الى اسرائيل في ٢١ يونيو ١٩٦٢ ، الرئيس الليبيري توبمان في زيارة استمرت عشرة ايام . وقد وزع توبمان مختلف الاوسمة على الكثيرين ووقع مجموعة مماثلة من الاتفاقيات . وقد تم ابراز نبأ زيارته في الصحافة الافريقية خاصة وانه لقي ترحيبا حارا من الاسرائيليين نظرا لتأييد ليبيريا لقرار ليك ساكسيس الذي ادى الى قيام دولة اسرائيل .

اما الرئيس هوفيت بوانييه رئيس جمهورية ساحل العاج فقد وصل الى حيفا على ظهر السفينة القدس عقب رحلته الى الولايات المتحدة وشارك رؤساء الدول الافريقية الآخرين في تأييد المفاوضات المباشرة وادانة الاستعمار والتمييز العنصري كما أهدى اسرائيل ١٠ آلاف شجرة صنوبر ووزع كثير من الاوسمة على المسئولين الاسرائيليين (١٩) .

وقبل نهاية عام ١٩٦٢ استقبلت اسرائيل اوبوتي رئيس وزراء اوغندا آنذاك وموامي موامبوتسا الرابع اول ملك يزور اسرائيل وداقيد جاوارا رئيس حكومة جامبيا . وتم توقيع اتفاقيات شاملة للتعاون مع كل هؤلاء وبالمثل وقعت معاهدات صداقة مع جميع هذه الدول ما عدا جامبيا التي لم تكن قد استقلت بعد (٢٠) .

ولا شك ان الزيارات التي قام بها الرؤساء الافريقيون لاسرائيل خلال عامي ١٩٦١ ، ١٩٦٢ قد منحت اسرائيل شعورا بالطمأنينة كما عوضت شعورها بافتقاد الامن واحساسها بالعزلة .

وتكملة لهذه الزيارات الرسمية تدفقت على القدس خلال هذين العامين وفود افريقية كثيرة كذلك تم ارسال عدد كبير من الوفود الاسرائيلية الى افريقيا ويكفي ان نشير انه خلال هذه الفترة ازدادت الاتصالات مع كينيا وتنجانيقا خاصة بعد وصول وفود نقابية من الدولتين الى اسرائيل من اجل دراسة نظام الهستدروت وقد تم توقيع اتفاقيات هامة مع ساحل العاج والنيجر وفولتا وكينيا وتنجانيقا واقيمت اول اتصالات مع نياسالاند (٢١) وروانداً . وبالمثل تم ارسال عدد كبير من الوزراء

---

١٨ – Ibid, pp. 102-103

١٩ – داكار ماتان ١٩٦٢/٨/٩ – مكتبة سفارة السنغال بالقاهرة .

٢٠ – جيروزاليم بوست ١٩٦٢/٤/٢٠ .

٢١ – مالاوي حاليا .

الاسرائيليين لتمثيل بلادهم في احتفالات الاستقلال الافريقية وربما كانت اهم زيارة هي الزيارة التي قام بها دايان لدار السلام والتي اعلن خلالها عن « هدية عيد الميلاد » التي قدمتها اسرائيل لتنجانيقا وكانت عبارة عن مائة منحة دراسية (٢٢) وقد توج النشاط الدبلوماسي الاسرائيلي في افريقيا خلال عام ١٩٦١ ، ١٩٦٢ تلك الزيارات الرسمية التي قام بها بن زفي في اغسطس ١٩٦٢ لكل من ليبيريا والكونغو برازافيل والكونغو ليوبولدفيل (زائير الآن) وجمهورية افريقيا الوسطى ثم السنغال . وقد اهتمت الصحف الافريقية بهذه الزيارات الى درجة ابرازها في الصفحات الاولى(٢٣) وكان بن زفي اول رئيس دولة يزور الكونغو برازافيل والكونغو ليوبولدفيل وجمهورية افريقيا الوسطى .

مرحلة الدعم ١٩٦٣ – ١٩٦٥

في يناير ١٩٦٣ بدات جولدا مائير جولتها في شرق افريقيا فقامت بزيارة شخصية لكل من كينيا واوغندا وتنجانيقا ومالاجاشي وتم توقيع اتفاقيات هامة للتعاون الفني في اوغندا وتنجانيقا كما اجتمعت مائير بالرئيس نيريري وفي كينيا اجتمعت بالرئيس كينياتا وتوم بويا وزعماء حزبي كانو وكادو . وفي اوغندا اجرت مناقشات مع اوبوتي وفي ملاجاشي اجتمعت مع تسيرانانا . وقد تم التصديق على معاهدة صداقة بين اسرائيل وجمهورية مالاجاشي خلال وجود مائير في تاناناريف كما ووفق على دعم مساعدات اسرائيل لملاجاشي .

وفي ديسمبر ١٩٦٣ قامت مائير بزيارة اخرى لشرق افريقيا شملت كينيا (لحضور احتفالات استقلالها ، واثيوبيا (بدعوة شخصية من الامبراطور هيلاسلاسي) كما شملت الزيارة التالية التي قامت بها مائير لافريقيا في اكتوبر ١٩٦٤ شرق افريقيا . وقد تابعت مائير الاتصالات التي سبقت استقلال زامبيا فطارت الى زامبيا لحضور احتفالات اعلان قيامها كدولة . وفي لوزاكا اجتمعت مع كاوندا ومع كبار المسئولين في زامبيا وكذا اجتمعت مع نيريري وباقي الزعماء الافريقيين الذين اشتركوا في هذه الاحتفالات . وواصلت مائير رحلتها فزارت نيجيريا حيث اجرت محادثات هامة مع ازيكوي . وقد حرصت مائير على التوقف في كل من ابيدجان واكرا (٢٤) وفي حين ان الرحلات الثلاث السابقة التي قامت بها مائير لافريقيا كانت تشكل الدفعات الدبلوماسية الاسرائيلية الكبرى في افريقيا خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٧ – ١٩٦٥ فقد كانت هناك بعثات اسرائيلية اخرى تجوب القارة وربما مايستحق الذكر على وجه الخصوص الزيارة التي قام بها في اوائل ١٩٦٥ كادئيل لوز رئيس الكنيست في سيراليون وتشاد وداهومي والنيجر وفولتا العليا وغانا وساحل العاج

---

٢٢ – **ايست افريكان ستاندرد** – نيروبي – كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦١ – ارشيف الجامعة العربية – ادارة الاعلام

٢٣ – نشرت صحيفة **ليبريان آج** ، منروفيا) في ١٩٦٢/٨/١٢ في صفحتها الاولى صورة لبن زفي وزوجته بطول الصفحة مع مقال بعنوان [لقد جاءوا] . كما نشرت صحيفة **داكار ماتان** في ١٩٦٢/٨/١٧ نبأ الزيارة مانشيت في الصفحة الاولى .

٢٤ – S. Decalo, op. cit., p. 147

وقد وجهت اليه الدعوة لحضور جلسات الجمعيات الوطنية لهذه الدول . ان عدد الوفود الافريقية التي وصلت الى إسرائيل خلال هذه الفترة (١٩٦٣ - ١٩٦٥) لم يتضاءل عن عددها خلال الاعوام السابقة بل استمر تدفق الوزراء والوفود النقابية والطلاب والبعثات الافريقية وتم في خلال هذه المرحلة دعم العلاقات مع شرق افريقيا وتم توقيع المزيد من اتفاقيات التعاون الفني (٢٥) وخاصة مع كينيا وتانزانيا اللتان اصبحتا مواقع امامية لاسرائيل في شرق افريقيا كما تم اجراء اتصالات واتفاقيات جديدة مع زعماء الحركات الوطنية في بعض المناطق الافريقية التي لم تكن قد نالت استقلالها بعد مثل باسوتولاند وبتشوانا لاند وموريشوس ونياسالاند وروديسيا الشمالية . ولكن يلاحظ ان الزيارات الرسمية الافريقية لاسرائيل قد هبط عددها الى اربع زيارات سنة ١٩٦٣ ثم زيارتين سنة ١٩٦٤ وزيارة واحدة في اكتوبر سنة ١٩٦٥ .

وجاءت اول هذه الزيارات الرسمية في مايو سنة ١٩٦٣ حين قام الرئيس احمدو اهدجو رئيس الكاميرون بزيارة اسرائيل وقد اعتبرت اسرائيل هذه الزيارة لفتة بالغة الاهمية من رئيس افريقي مسلم (خاصة وانه اول رئيس مسلم يزور اسرائيل) وكان في طريقه لحضور مؤتمر رؤساء منظمة الوحدة الافريقية في اديس ابابا . وفي اغسطس ١٩٦٣ وصل جاوارا رئيس وزراء جامبيا في زيارة (غير رسمية) لاسرائيل للاشتراك في مؤتمر رحبوت الثاني (٢٦) وفي الشهر التالي وصل الرئيس ماجا رئيس داهومي مع زوجته ووزيرا الخارجية والعدل ورئيس اركان جيشه وكانت هذه هي ثاني زيارة له لاسرائيل وقد امضى ثلاثة ايام فقط . واختتم الزيارات الرسمية لعام ١٩٦٣ كازافوبو اذ وصل مع زوجته و ١٨ من كبار اعضاء حكومته الى اسرائيل في ديسمبر ١٩٦٣ وقد وقع كازافوبو بالاحرف الاولى معاهدة صداقة مع اسرائيل وأيد موقف اسرائيل من المفاوضات المباشرة باعتبارها الطريق الاوحد للتسوية السلمية في الصراعات الدولية .

وخلال عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ زار اسرائيل ثلاثة من رؤساء الدول الافريقية هم الرئيس جرونتسكي رئيس توجو وقد وصل الى اسرائيل في ابريل ١٩٦٤ في زيارة استمرت أسبوعا تصحبه ابنته واربعة من كبار الوزراء وبعض المسئولين . ثم تبعه اهومادجبي رئيس وزراء داهومي الجديد ونائب رئيس الجمهورية في يوليو ١٩٦٤ ، وفي اكتوبر ١٩٦٥ جاء الرئيس تومبالباي رئيس تشاد في ثاني زيارة له لاسرائيل(٢٧) .

ويلاحظ ان الصحف الاسرائيلية كانت تتحدث في اواخر عام ١٩٦٠ ببعض التفاصيل عن وصول الزوار الافريقيين الى اسرائيل ولكن بدأت خلال الفترة من ١٩٦٣ - ١٩٦٥ تقصر اهتمامها على ابراز أهم الزيارات فحسب ومن بين هذه الزيارات نستطيع ان نلمح وصول وفود وزارية هامة من ليبيريا والكاميرون وافريقيا الوسطى

٢٥ - Ibid., p. 149

٢٦ - كانت هذه ثاني زيارة يقوم بها جاوارا لاسرائيل . ومما يجدر ذكره ان مؤتمر رحبوت الاول حضره رئيس الكونغو برازافيل .

٢٧ - جيروزالم بوست ١٩٦٥/١١/١ .

والنيجر وتنجانيقا وتشاد وسيراليون وساحل العاج . وقد وصل الكولونيل موبوتو الى اسرائيل في اغسطس ١٩٦٣ لاستعراض قوات مظلاته المدربة حديثا وقد حصل على تدريب سريع في استخدام الطائرات .

وفي مارس عام ١٩٦٤ جاء وزير العدل والتأمين في موريشوس في زيارة رسمية لاسرائيل . وفي يونيو ١٩٦٤ وصل وفد زنجباري من ثلاثة اعضاء برئاسة كبير مساعدي الرئيس كرومي . وقد حصلت زنجبار من هذه الزيارة على ٥٠ منحة دراسية من اسرائيل .

وفي اغسطس ١٩٦٤ وصلت الى اسرائيل مجموعة تضم ١٦ محررا في الصحف الافريقية وقد كان لهذا الحدث اهميته البالغة في تطور العلاقات الافرو اسرائيلية وخاصة في الميدان الدعائي والاعلامي . وفي سبتمبر ١٩٦٤ استضافت اسرائيل وفدا وزاريا من تشاد على مستوى عال (٢٨) .

مصادر المعارضة للنشاط الاسرائيلي في افريقيا

لا بد ان النشاط الدبلوماسي والاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا كان سيثير معارضة من بعض القطاعات الافريقية والاجنبية وبالفعل فقد تكاتفت بعض العناصر والمجموعات والقوى المختلفة على معارضة التوسع الاسرائيلي في القارة السوداء . ويمكن تصنيف قوى المعارضة الى قوى داخلية وقوى خارجية .

ا ـ قوى المعارضة الافريقية :

نستطيع ان نذكر ان من اهم مصادر المعارضة الداخلية للوجود الاسرائيلي في افريقيا هم التجار المحليون * وبعض القيادات الافريقية المسلمة . ولا شك ان ظهور البضائع الاسرائيلية في اسواق افريقيا كان لا بد ان تثير سخط التجار الافريقيين لانه يمثل تهديدا مباشرا لمصالحهم وخاصة ان دخول البضائع الاسرائيلية الى الدول الافريقية كان مصحوبا بتسهيلات وضمانات عديدة علاوة على مساندة الحكومات الافريقية . كذلك الشركات الافرو اسرائيلية التي تم تكوينها برؤوس اموال مشتركة كانت ايضا تمثل تهديدا للشركات الوطنية في ميادين البناء والتعمير . وقد عبرت الهيئات الوطنية التي تعمل في ميادين التجارة والمقاولات عن سخطها الناجم عن هذه الاوضاع من خلال التنظيمات والنقابات المهنية والتجارية . وبهذه المناسبة فقد دخلت الشركات الوطنية في المناطق الا[illegible]فون في غرب افريقيا في منافسة حادة مع الشركات الاسرائيلية التي كانت تشق طريقها في هذه المناطق وقد اعربت شركة ديزنجوف الاسرائيلية في غرب افريقيا عن مخاوفها نتيجة للموقف غير المتوقع من الشركات المحلية (٢٩) .

---

٢٨ — S. Decalo, op. cit., p. 150

* ـ التجار المحليون الذين عارضوا التغلغل الاسرائيلي في افريقيا ينتمون الى الجاليات الاسيوية في شرق افريقيا والجاليات العربية (سوريه ولبنان) في غرب افريقيا وتشكل البضائع الغربية [انجليزية وفرنسية] ٧٥٪ من تجارتهم وقد ارتبطت مصالحهم منذ زمن طويل بالشركات العالمية في لندن وباريس.

٢٩ — Ibid, p. 115

ويمثل الاسلام احد المعوقات الرئيسية امام التغلغل الاسرائيلي في افريقيا فهو باعتباره احد الاديان الرئيسية في القارة مما ترتب عليه وجود بعض الائمة المرتبطين روحيا بالازهر وقد حاولوا تطبيق القرار الذي اتخذه المؤتمر السادس للعلماء المسلمين الذي انعقد في مقديشيو ١٩٦٤ وقرر تنشيط دور العلماء المسلمين لمواجهة النشاط الاسرائيلي في افريقيا واصدر قراره بتجنيد جهود العلماء المسلمين في كافة انحاء العالم لخدمة القضية الفلسطينية ودرء الخطر الاسرائيلي . وقد ترتب على هذا امتناع موريتانيا والصومال عن تبادل العلاقات مع اسرائيل وكذلك زنزبار التي ظلت رسميا معادية لاسرائيل حتى عام ١٩٦٤ (قيام الثورة فيها) ولكن بعد نشوء تانزانيا (نتيجة لاتحاد زنزبار مع تنجانيقا) اصبحت الصورة مختلفة . كذلك في نيجيريا كان الزعماء المسلمون مثل احمد باليوا رئيس الوزراء السابق وسردونا حاكم سوكوتو وكثير من زعماء شمال نيجيريا كانوا معادين لاسرائيل . وقد اكد هؤلاء الزعماء موقفهم من اسرائيل عدة مرات سواء اثناء جولاتهم في الخارج ، او داخل نيجيريا ذاتها واعلنوا عدم اعترافهم بما يسمى اسرائيل (٣٠) . كما كانوا يؤكدون مساندتهم للجامعة العربية وانهم سوف يعملون بداب من اجل احباط جميع المحاولات الاسرائيلية للتغلغل داخل نيجيريا . وقد كان هذا الموقف يتعارض مع موقف الاقاليم النيجيرية الاخرى من اسرائيل . والواقع ان الحكومة الاتحادية في نيجيريا لم تستطع اقامة سفارة في اسرائيل رغم الضغوط الداخلية المؤيدة لاسرائيل وكانت اسرائيل قد اقامت سفارة لها في لاجوس عقب استقلال نيجيريا (٣١) وعموما حاولت الحكومة الفيدرالية الاحتفاظ بموقف محايد في مسالة الصراع العربي الاسرائيلي .

وفي بعض الحالات الاخرى حاولت القيادات المسلمة عرقلة التغلغل الاسرائيلي في بعض الدول الافريقية مثلما حدث في تشاد عندما أصدر السيد غلام الله رئيس الحركة الاشتراكية الافريقية فرع تشاد والرئيس السابق لحكومة تشاد المؤقتة (٣٢) بيانا هاجم فيه زيارة تومبالباي لاسرائيل واكد ان هذه الزيارة لمن تفيد تشاد وان حاجة تشاد من الفنيين والخبراء يمكن اشباعها من فرنسا التي تضم خبرات أعلى وارقى من اسرائيل كما اشار الى ان هذه الزيارة تمثل تحديا للرأي العام وخاصة الجماعات الاسلامية حيث انها سوف تثير سخطا دينيا (٣٣) ورغم ذلك فان هناك بعض الرؤساء الافريقيين المسلمين اقاموا علاقات مع اسرائيل مثل احمدو اهيدجو رئيس جمهورية الكاميرون الذي لم يجد بأسا من زيارة اسرائيل سنة ١٩٦٣ وهو في طريقه الى مؤتمر القمة باديس ابابا ووصل الامر ان بعضهم طلب من اسرائيل معونات علمية وثقافية لتعليم اللغة العربية والقرآن في بلادهم . ويمكن القول اجمالا ان الاسلام لعب دورا هاما كعقبة امام اسرائيل في افريقيا عندما كانت تسنده قوى سياسية (مثل الصومال وموريتانيا وشمال نيجيريا وزنزبار قبل ١٩٦٤ .

٣٠ – Ibid, pp. 115-116

٣١ – Ibid, pp. 116-117

٣٢ – ادلى السيد غلام الله بهذه التصريحات قبل اشتراكه في الائتلاف الوزاري الذي شكله تومبالباي سنة ١٩٦١ .

٣٣ – S. Decalo, op. cit., p. 118

٢ ـ المعارضة الاجنبيـة :

شن الاتحاد السوفييتي حملة هجوم واسعة النطاق على التغلغل الاسرائيلي في افريقيا وقد بدأت الصحف السوفيتية (ازفستيا ـ برافدا ـ ترود) نشر سلسلة من المقالات لابراز حقيقة الدور الذي تقوم به اسرائيل في افريقيا وكيف انها تقوم بدور حصان طرواده لحلف شمال الاطلنطي في افريقيا . وقد تساءلت في هـذه المقالات عن مصادر تمويل برامج المعونة التي تقدمها اسرائيل للدول الافريقية خاصـة وان اسرائيل تعتمد اقتصاديا على الولايات المتحدة . وكذلك نـددت صحيفـة تـرود السوفيتية في يناير ١٩٦٣ بالجهود التي تبذلها اسرائيل في افريقيا واوضحت كيف ان اسرائيل تركز على المشروعات التي لا تتطلب رؤوس اموال كبيرة ولكنها تدر ارباحا طائلة . الخلاصة لقد اكدت صحيفة ترود رأي الحكومة السوفيتية فـي اسرائيـل باعتبارها وكيل للمصالح الغربية في افريقيا . وكذلك الصين الشعبية التي اعلنـت في عدة مناسبات عن وقوفها بجانب الحق العربي في الصراع العربي الاسرائيلي انتقدت موقف اسرائيل والدور الذي تقوم به لخدمة الاستعمار الجديد في افريقيا (٣٤) .

ولا يقتصر موقف الادانة والاستنكار للدور الذي تقوم به اسرائيل فـي افريقيا على الدول الاشتراكية بل ان اسرائيل تواجه تنافسا حادا بينها وبين الدول الاستعمارية القديمة وخاصة في غرب افريقيا (الجزء البريطاني سابقا) حيث حدثت منافسة بين المصالح العسكرية والاقتصادية البريطانية ونفوذ اسرائيل الممتد في غـانا سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ ولكـن مسانـدة حكومة نكروما للنشاط الاسرائيلي هنـاك حد مـن استمرار التنافس كما ازالت احتمالات وقوع صدام بين النفوذ الاسرائيلي والمصالح البريطانية . اما في المناطق الفرانكوفونية فان العلاقة الوثيقة بـين اسرائيـل وفرنسا مهدت الطريق امام اسرائيل ولكن لم يمنع هذا من وقوع بعض الاصطدامات المحدودة التي تم حلها بشكل ودي وهـي لم تتجاوز وقوع خلافات بـين ايرفرانس وخطوط العال الاسرائيلية . وقد اتفقت الدولتان سنة ١٩٥٩ ، سنة ١٩٦٠ على حل الخلافات بالمفاوضات .

وفي سنة ١٩٦٢ ثار خلاف بين المصالح الفرنسية والاسرائيلية بشأن تجـارة الماس في افريقيا وقد حسم الخلاف بان طلبت الشركة الافريقية مشاركة اسرائيل لها . وسرعان ما خمد النزاع بعد وقت قصير .

٣ ـ المعارضة العربيـة :

لقد تعددت العوامل التي حكمت مواجهة الدول العربية لاسرائيل فـي الساحة الافريقية .

فقد تميزت الفترة الاولى من العلاقات الاسرائيلية الافريقية بوقوع سلسلة من ردود الافعال العربية الفورية التي كانت تثير الـدول الافريقية او تحد من علاقتها على

---

٣٤ ـ نكين ر بعيو ـ ١٩٦٤/٣/٢٧

الاقل بالدول العربية ، مثل عدم حضور مصر وسوريا احتفالات الاستقلال في غانا . وقد نبهت جامعة الدول العربية غانا الى العلاقات غير الطبيعية القائمة بينهـا وبين اسرائيل على اساس ان مكانة غانا الطبيعية هي وجودها داخـل كتـلة الـدول الافروآسيوية . كما اغلقت مصر قناة السويس امام سفن النجمة السوداء التي كونتها اسرائيل بالاشتراك مع غانا كما اعلـن الاردن مقاطعته الكاملـة لجميع المشروعات الافرواسرائيلية في نيجيريا وغانا (٣٥) وقد استمرت ردود الفعل العربية تأخذ شكلا سلبيا ازاء التغلغل الاسرائيلي في افريقيا حتى نهاية سنة ١٩٥٨ حينما بدأ رد الفعل العربي يأخذ شكلا ايجابيا . وقد اعتمد على وسيلتين اساسيتين اولهما : استخـدام جميع المؤتمرات الافريقية ومؤتمرات الدول النامية لاظهـار حقيقة اسرائيل وكيف انها اداة للاستعمار الجديد ــ وثانيهما : الجهود التي قامت بها جمهورية مصر العربية لاعاقة التغلغل الاسرائيلي في افريقيا والذي برز في بداية الستينات في شتى الميادين. كما حاولت الجهود العربية المضادة لاسرائيل استثمار جهود الجاليات العربيـة في افريقيا . والمعروف ان الجالية العربية تضم ٦٠ الف نسمة في اثيوبيا وبضعة آلاف في السنغال و ٦ الاف في نيجيريا و ٣ الاف في غينيا والفان نسمة فـي ساحل العاج والف نسمة في مالي و ٢٫٥ الـف نسمـة في ليبيريـا وفي سيراليـون ٥ الاف نسمة ، وفي تنزانيا ٣٥ الف وفي اوغندا ٢١٠٠ نسمة وفـي كينيـا ٣٧ الف و ٣ الاف في الجابون ومعظم الجالية في غرب إفريقيا من اللبنانيين . ورغم ثراء هـذه الجاليات وامكانياتها الضخمـة ظـل دورهـا في المجتمعـات الافريقيـة دورا هامشيا كما ان اهتماماتهم تنحصر في تنمية ثرواتهم ومشروعاتهم التجارية أكثر من اهتماماتهم بالقضايا السياسية وذلك رغم تعاطفهم الواضح مع القضية العربية.

- المؤتمرات السياسية على مستوى القارة الافريقية

قامت مصر بجهد بارز في المؤتمرات الافريقية مـن اجل كشف حقيقة اسرائيـل واستصدار قرارات تدينها وقد شاركت مصر سنة ١٩٥٨ فـي المؤتمر الاول للدول الافريقية المستقلة الذي عقد في اكرا وكذلك في المؤتمر الذي عقد في يونيو ١٩٦٠ في اديس أبابا وفي المؤتمر الثالث الذي عقد في اغسطس مـن نفس العـام في ليوبولدفيل . ولعل اهم هـذه المؤتمرات على الاطلاق مؤتمـر الدار البيضاء في يناير ١٩٦١ الذي كان له اثر سياسي حاسم فـي ادانة اسرائيل ووصفها بانهـا اداة للاستعمار وراس جسر للامبريالية في الوقت الذي كان نفوذ اسرائيل قـد تغلغل داخل معظم الدول الافريقية خاصة غانا وغينيا ومالي التي شاركت في المؤتمر ووقعت على قراراته . وقد استطاعت مصر استقطاب الدول الافريقية المشتركة فـي المؤتمر مما أدى الى رد فعل قوي في اسرائيل وصل الى حد المطالبة بمنع المعونات عن الدول الافريقية التي شاركت في المؤتمر لانها لم تجن الفائدة المرجوة (٣٦) . وقد أوضح عبد الناصر في خطبته في المؤتمر حقيقة الدور الذي تلعبه اسرائيل في افريقيا اذ قـال

---

٣٥ - S. Decalo, op. cit., p. 123

٣٦ - Laufer Leopold, **Israel and Developing Countries**, U.S.A. 1967, p. 207

(ان اسرائيل تمنح معونات لافريقيا ولكن نريد ان نعرف من اين تحصل اسرائيل على هذه الاموال خاصة وانها في وضع لا يمكنها من موازنة مصروفاتها مع ايراداتها ولذلك فان هذه الدولة تتصرف كمعبر وكهمزة وصل بين القوى الاستعمارية والدول الافريقية . فهي تقوم بدور الذئب وسط الاغنام ولنا ان نتساءل ما هو موقف اسرائيل من حركة التحرر الافريقي ...؟ ما هو موقفها ازاء الكمرون والكونغو وما هو موقفها من قضية الشعب الجزائري ؟ وماذا كان موقفها ازاء التجارب النووية في الصحراء ؟) (٣٧) . وقد واصلت مصر جهودها في هذا الاتجاه منتهزة فرصة المؤتمرات ذات الطابع الشعبي التي كانت تعقد سواء على المستوى الافريقي أو الافرواسيوي او عدم الانحياز . وقد قامت مصر بدور بارز منذ مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ مما ترتب عليه استبعاد اسرائيل من الكتلة الافرواسيوية . كذلك في المؤتمر الاول للتضامن الاسيوي الافريقي الذي عقد في القاهرة في نهاية ١٩٥٧ واوائل ١٩٥٨ . والمؤتمر الثاني للتضامن الذي عقد في كوناكري ١٩٦٠ ، اما المؤتمر الثالث للتضامن الافريقي الاسيوي الذي عقد في موشي بتانزانيا سنة ١٩٦٣ فقد اصدر قرارا تاريخيا بادانة اسرائيل وقد اعتبر ذلك احد الانجازات الهامة التي حققتها مصر في كشف حقيقة اسرائيل وابراز الخطر الذي تشكله بالنسبة للدول الافريقية . وقد علقت جولدا مائير على مؤتمر موشي اثناء زيارتها لشرق افريقيا التي استغرقت عدة اسابيع سنة ١٩٦٤ بقولها في الكنيست (لا يمكن ان نتجاهل خيبة الامل التي اصابتنا نتيجة القرار الذي اصدره مؤتمر موشي . ولكن يجب ان نتذكر ان هذا المؤتمر لا يمثل الحكومات ولا الدول ولكنه يمثل عناصر غير رسمية) (٣٨) .

كذلك في مؤتمرات القمة الافريقية شاركت مصر بجهد فعال وابرزت القضية العربية والخطر الاسرائيلي في القارة . فعندما عقد في اديس ابابا مؤتمر القمة الافريقي الاول في مايو ١٩٦٣ اعلن عبد الناصر في الجلسة الافتتاحية انه لن يطرح للمناقشة مشكلة اسرائيل باعتبارها أداة للتسلل الاستعماري في القارة ولكنه واثق ان العمل الافريقي سيكشف الحقيقة (٣٩) ولم يتخذ المؤتمر اي قرار بادانة اسرائيل . وقد ظل الامر هكذا في مؤتمرات القمة الافريقية التالية حتى مؤتمر القمة الافريقي السادس الذي عقد في الجزائر في سبتمبر ١٩٦٨ (اي بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ على الاراضي العربية) وقد دعا المؤتمر الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة طبقا لقرار مجلس الامن ٢٤٢ وناشد اعضاء منظمة الوحدة الافريقية العمل من أجل التطبيق الحازم لهذا القرار وقد اعترضت عدة دول افريقية على القرار . كذلك في سبتمبر ١٩٧٠ وافق مؤتمر القمة الافريقي على قرار يطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة وقد اعترضت بعض الدول الافريقية على هذا القرار ايضا . ولم تستطع مصر والدول العربية الاخرى التي تقع داخل القارة التوصل الى استصدار قرار حاسم في هذا الشان من منظمة الوحدة الافريقيا الا في يونيو ١٩٧١ حينما

---

٣٧ ـ ليلى القاضي ، اسرائيل في الميدان الدولي ـ مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ـ بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٨ .
٣٨ ـ المرجع السابق ، ص ٢٠ .
٣٩ ـ العويني ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٢ .

اصدرت المنظمة قرارا يدعو اسرائيل الى الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة . الخلاصة انه نتيجة للجهود العربية لم تستطع اسرائيل دخول اي تجمع أسيوي او افريقي أو الاشتراك في اي مؤتمر من مؤتمرات الدول النامية . ولم تنجح حتى في الانضمام لمجموعة الدول الافرواسيوية في الامم المتحدة ولو بصفة عضو مراقب في اللجان الافرواسيوية هذا بالرغم من إن اسرائيل اقامت علاقات سياسية واقتصادية وثيقة مع عدد كبير من الدول الافريقية والاسيوية . كما فشلت اسرائيل في المشاركة في المؤتمرات الشعبية التي تعقدها دول العالم الثالث مثل مؤتمرات الشباب الافرواسيوي ومؤتمرات تضامن المراة الأفروآسيوية ومؤتمر الكتاب الافرواسيويين وكذلك مؤتمر شعوب القارات الثلاث الذي عقد في هافانا سنة ١٩٦٦ وكان يضم وفود ٨٠ دولة من آسيا وافريقيا وامريكا وامريكا اللاتينية . وقد صدر عن هذا المؤتمر اقوى القرارات التي تدين اسرائيل والصهيونية حيث دعا الى مقاطعتها سياسيا واقتصاديا كما دعا الى محاربة الصهيونية واسرائيل بصفتها تمثل الاستعمار الجديد واداة في يد الامبريالية الامريكية كما دعا الى دعم الشعب الفلسطيني كي يتمكن من استعادة حقوقه القومية (٤٠) . وكذلك مؤتمرات عدم الانحياز سواء المؤتمر الاول الذي انعقد في بلغراد سبتمبر ١٩٦١ أو المؤتمر الثاني الذي انعقد في القاهرة في اكتوبر ١٩٦٤ أو المؤتمر الاخير الذي انعقد في سبتمبر ١٩٧٠ في لوزاكا وقد اجمعت هذه المؤتمرات على تأييد الشعب العربي في فلسطين في كفاحه للتحرر من الاستعمار الصهيوني كما اعلنوا احترامهم الكامل للحقوق المشروعة لشعب فلسطين واكدوا ان صيانة هذه الحقوق شرط اساسي لتحقيق السلام في الشرق الاوسط (٤١) .

٤٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ٢٣٩ .

٤١ ــ د. بطرس غالي ــ ابعاد الايديولوجية الافريقية الاسيوية ، **مجلة السياسة الدولية** ــ ابريل ١٩٦٨ ــ القاهرة .

الفصل الرابع

مظاهر النشاط الاسرائيلي في افريقيا

لقد سلكت اسرائيل مختلف السبل من اجل تحقيق اهدافها في القارة الافريقية وقد تعددت هذه السبل وتنوعت ولكنها لم تتجاوز الخط العام المرسوم وكانت تتراوح بين سرعة الاعتراف السياسي او تبادل التمثيل الدبلوماسي فور اعلان الاستقلال الذي كانت تصحبه اسرائيل دائما بعرض العون الاقتصادي ثم تليه المرحلة الاهم وهي عقد الاتفاقيات والدعوة لزيارة اسرائيل وما يتبعها من ارسال الخبراء الاسرائيليين وتقديم المنح الدراسية للطلبة الافريقيين واستقبالهم للتدريب والدراسة في اسرائيل . وقد نجحت اسرائيل من خلال المخطط المدروس والكوادر المدربة والمساندة الغربية ان تغزو معظم الميادين الافريقية خلال سنوات قليلة ، وابرز هذه الميادين الميدان الزراعي الذي احتل مكان الصدارة في النشاط الاسرائيلي في افريقيا اذ ركزت اسرائيل على هذا الميدان نظرا لاهميته بالنسبة للدول الافريقية وبسبب توفر الخبرات الزراعية في اسرائيل، فاقامت المشاريع الزراعية المختلفة على غرار التجربة الاسرائيلية ونفذت مشاريع للمياه والري واقامت مزارع للدواجن وتربية المواشي ، كما استقبلت مئات الافريقيين في مختلف التخصصات الزراعية واوفدت عشرات الخبراء الزراعيين للعمل في افريقيا كذلك دعمت مشاريعها في هذا الميدان بنشر تنظيمات الشبيبة بين الشباب الافريقي على نمط تجربتي الناحال والجدناع . .

وفي الميدان الاقتصادي نلاحظ ان المخطط الاسرائيلي يهدف الى تحقيق الاهداف السياسية اولا على ان تثمر جهوده في الميدان الاقتصادي في الامد الطويل ويتضح هذا من التسهيلات التي تقدمها اسرائيل سواء في حجم التجارة مع الدول الافريقية واتجاهاتها والوسائل المتبعة لتشجيع التبادل التجاري او في القروض التي تقدمها اسرائيل للدول الافريقية رغم انها تعيش منذ ان وجدت على المساعدات والقروض الاجنبية مما يبرز ان الهدف السياسي الذي تتطلع اسرائيل الى تحقيقه في افريقيا يعد عاجلا وملحا في حين يمكن تأجيل المكاسب الاقتصادية فيما بعد ذلك .

العلاقات الافريقية الاسرائيلية في مختلف الميادين ١٩٧٢ – ١٩٧٣
الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٧٢ / ١٩٧٣

سفارات	قنصليات	اتفاقيات صداقة	اتفاقيات اقتصادية	اتفاقيات فنية	اتفاقيات ثقافية
١) اليوبيا	جيبوتي	موريشوس	اليوبيا	اليوبيا	مالاجاشي
٢) كينيا	موريشوس	مالاجاشي	كينيا	كينيا	زامبيا
٣) تانزانيا	مالاوي	ليسوتو	تانزانيا	مالاوي	بوروندي
٤) مالاوي	جنوب افريقيا	جنوب افريقيا	مالاوي	رواندا	كينيا
٥) جنوب افريقيا		بوروندي	جنوب افريقيا	بوروندي	اليوبيا
٦) مالاجاشي		زائير	مالاجاشي	زامبيا	الكاميرون
٧) زامبيا		جابون	جابون	مالاجاشي	غانا
٨) زائير		ساحل العاج	الكاميرون	جابون	ساحل العاج
٩) جابون		ليبيريا	داهومي	الكاميرون	ليبيريا
١٠) الكاميرون		غامبيا	غانا	نيجيريا	سيراليون
١١) افريقيا الوسطى		افريقيا الوسطى	ساحل العاج	داهومي	
١٢) سيراليون			ليبيريا	غانا	
١٣) ليبيريا			سيراليون	ساحل العاج	
١٤) نيجيريا			افريقيا الوسطى	ليبيريا	
١٥) رواندا			زائير	سيراليون	
١٦) فولتا العليا				غامبيا	
١٧) السنغال				فولتا العليا	
١٨) غامبيا				افريقيا الوسطى	
١٩) داهومي				زائير	
٢٠) غانا				ليسوتو	
٢١) ساحل العاج				روديسيا	

٢٢) موريشوس
٢٣) بتسوانا
٢٤) سوازيلاند
٢٥) ليسوتو
٢٦) بوروندي
٢٧) غينيا الاستوائية

مالاوي
رواندا

اتفاقيات جوية	تعاون عسكري	مخابرات	قروض بالمليون دولار		بترول	مشروعات مشتركة
جنوب افريقيا	مالاجاشي	جنوب افريقيا	اليوبيا	٤ر—	مالاجاشي	اليوبيا
كينيا	جنوب افريقيا	زامبيا	تانزانيا	١ر٦	اليوبيا	كينيا
اليوبيا	مالاوي	اليوبيا	افريقيا الوسطى	٤ر—	جابون	تانزانيا
ساحل العاج	روديسيا	غانـا	نيجيريا	١٤ر—	غانا	مالاوي
ليبيريا	زامبيا	ساحل العاج	غانا	٧ر—		جنوب افريقيا
السنغال	انجولا	ليبريا	ساحل العاج	١٠ر—		افريقيا الوسطى
افريقيا الوسطى	افريقيا الوسطى	زائير	ليبيريا	١ر—		زامبيا
الكاميرون	رواندا		سيراليون	١ر—		جابون
غانـا	اليوبيا		مالاجاشي	—ر٧		الكاميرون
	زائير					نيجيريا
	داهومي					داهومي
	غانا					غانا
	ساحل العاج					ساحل العاج
	ليبريا					ليبريا
	سيراليون					سيراليون
	السنغال					السنغال
	فولتا العليا					زائير
						مالاجاشي

وهناك المشروعات المشتركة التي استطاعت اسرائيل ان تحقق من خلالهامكاسب اقتصادية وسياسية بعيدة المدى فقد خلفت مجالات عمل للخبرات الاسرائيلية كما حققت الشركات الاسرائيلية ارباحا طائلة فضلا عن تحقيق الهدف الاساسي وهو تجسيد الوجود الاسرائيلي في اذهان الافريقيين حيث اصبحت اسرائيل في نظرهم ترمز الى التعاون الفعال المثمر ، كما امتد النشاط الاسرائيلي كي يشمل الميادين الاجتماعية والثقافية والتعليمية . وقد استطاعت بنشاطها وخبراتها ان تغطي ٣٢ دولة افريقية وقد حرصت اسرائيل في اختبارها للمشاريع التي تنفذها ان تكون ذات اثر واضح وملموس ويمكن انهائها في فترة قصيرة وتتطلب حدا ادنى من التكاليف وفي ذات الوقت يظل اثرها لمدى طويل وذلك من اجل تجسيد الوجود الاسرائيلي . وبجانب هذا تبدي اسرائيل حرصها على عدم اقتران معونتها باية شروط محاولة اضفاء هالة كبيرة على اعمالها الى حد يصور الوضع للاخرين وكأن التقدم الافريقي المعاصر يدين لاسرائيل بوجوده واستمراره .

النشاط السياسي الاسرائيلي في افريقيا

التمثيل الدبلوماسي :

سارعت اسرائيل الى الاعتراف بالدول الافريقية المستقلة بل مهدت لذلك باقامة علاقات مع هذه الدول قبل استقلالها وكما سبق ان اوضحت كيف كان التمهيد الاستعماري لاسرائيل في القارة له دور كبير في تسهيل اقامة عدة قنصليات فخرية لاسرائيل ، في افريقيا كما حدث في ليبيريا سنة ١٩٥٤ واثيوبيا ١٩٥٦ ونيجيريا سنة ١٩٦٠. وسيراليون وساحل العاج وداهومي سنة ١٩٦١ . والسنغال ١٩٦٢ (١) حيث كانت تحوّل قنصلياتها فور اعلان الاستقلال الى سفارات . وكانت اسرائيل تتبع سرعة الاعتراف السياسي بارسال الوفود المهنئة للمشاركة في اعياد الاستقلال وكانت هذه الوفود تحمل تفويضا كاملا لعقد مختلف الاتفاقيات خاصة وان اسرائيل كانت تختارهم من الوزراء والمختصين وبعد الاتفاق على تبادل التمثيل الدبلوماسي كخطوة اولى لتجسيد الدعم الاسرائيلي يترك الوفد للبعثات الدبلوماسية الاسرائيلية حرية التصرف في اتخاذ ما تراه . خصوصا وان اسرائيل كانت تزود بعثاتها الدبلوماسية بصلاحيات واسعة وقد استطاعت اسرائيل من خلال هذه السياسة ان تحرز نجاحا دبلوماسيا بعيد المدى اذ تمكنت من تعميم شبكة بعثاتها الدبلوماسية في افريقيا حتى بلغ عدد الدول الافريقية التي اعتمدت لديها بعثات اسرائيلية ٣٢ دولة وذلك وفقا للكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٩ — ١٩٧٠ . كما بلغ عدد البعثات الدبلوماسية الافريقية المعتمدة لدى اسرائيل ١١ بعثة ، اي ان البعثات الافريقية لا تتجاوز اكثر من ثلث البعثات الاسرائيلية في الدول الافريقية مما يدل على ان المبادرة في اقامة العلاقات وتوسيع نطاقها جاءت من جانب اسرائيل ، والجدول التالي يوضح التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي في افريقيا ١٩٧٢ / ١٩٧٣ :

---

١ — المشوحي — المرجع السابق ، ص ٢٦٩

اسم الدولة	مقر البعثة الدبلوماسي
١) الكميرون	ياوندي
٢) اثيوبيا	اديس ابابا
٣) الجابون	ليبرفيل
٤) السنغال	داكار
٥) غانا	اكرا
٦) ساحل العاج	ابيدجان
٧) مالاوي	بلانتير
٨) كينيا	نيروبي
٩) ليبريا	منروفيا
١٠) ملاجاشي	تاناناريف
١١) مالي	باماكو
١٢) النيجر	نيامي
١٣) نيجيريا	لاجوس
١٤) رواندا	كيجالي
١٥) سيراليون	فريتون
١٦) تانزانيا	دار السلام
١٧) تشاد	فورت لامي
١٨) توجو	لومي
١٩) فولتا العليا	واجادوجو
٢٠) زامبيا	لوزاكا
٢١) جنوب افريقيا	بريتوريا
٢٢) افريقيا الوسطى	بانجي
٢٣) الكونجو برازافيل	برازافيل
٢٤) الكونغو (زائير)	كنشاسا
٢٥) داهومي	كوتونو
٢٦) اوغندا	كمبالا
٢٧) غامبيا	داكار
٢٨) بتسوانا	لوزاكا
٢٩) ليسوتو	بلانتير
٣٠) غينيا الاستوائية	ياوندي
٣١) موريشوس	تاناناريف
٣٢) بوروندي	

المرجع : الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٩/١٩٧٠ .

يلاحظ من الجدول السابق ان التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي يغطي معظم العواصم الافريقية ما عدا موريشوس وبتسوانا وليسوتو وبوروندي وغينيا الاستوائية حيث يوجد بها تمثيل غير مقيم ، اذ ان سفارة اسرائيل في الكميرون تمثل اسرائيل لدى غينيا الاستوائية كما ان سفارة اسرائيل في السنغال تمثلها لدى غامبيا وسفارة اسرائيل في ملاوي تمثلها لدى ليسوتو وسفارة اسرائيل في ملاجاشي تمثلها في موريشوس وسفارة اسرائل في اوغندا تمثلها في بوروندي وسفارة اسرائيل في

زامبيا تمثلها لدى بتسوانا ولا شك ان القرب الجغرافي للبعثات الدبلوماسية التي تمثل اسرائيل لدى هذه الدول الصغيرة نسبيا قد يسر مهمتها الى حد كبير .

والجدول التالي يوضح التمثيل الدبلوماسي الافريقي في اسرائيل .

اسم الدولة	مستوى التمثيل	مقر البعثة
١) افريقيا الوسطى	سفارة	القدس
٢) الكونغو برازافيل	سفارة	القدس
٣) زائير	سفارة	القدس
٤) داهومي	سفارة	القدس
٥) الجابون	سفارة	القدس
٦) غانا	سفارة	تل ابيب
٧) ساحل العاج	سفارة	القدس
٨) ليبيريا	سفارة	القدس
٩) ملاجاشي	سفارة	القدس
١٠) النيجر	سفارة	القدس
١١) فولتا العليا	سفارة	القدس

كتاب حكومة اسرائيل السنوي ١٩٦٩ – ١٩٧٠ .

ويلاحظ ان مقر البعثات الافريقية لدى اسرائيل هو مدينة القدس ما عدا سفارة غانا علما بان قرار الجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٤٧ الخاص بتقسيم فلسطين قد نص على تدويل القدس .

تبادل الزيارات :

كانت الخطوة التي تلي الاعتراف السياسي وتبادل التمثيل الدبلوماسي هي دعوة الزعماء الافريقيين لزيارة اسرائيل ، وعقد الاتفاقيات المختلفة وكانت اسرائيل تحرص على اختيار زوارها الافريقيين من القيادات التي تؤثر في الراي العام ومن ذوي المراكز الحساسة من كافة المستويات بدءا برجال السياسة والادب والاعلام ورؤساء (النقابات) وانتهاء بالمهنيين والطلبة والنساء . وكانت تحاول بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة ان تبرز لهم منجزاتها وتركز على الجوانب التي تغرس في نفوسهم الاعجاب بكل ما هو اسرائيلي . وقد بدات زيارات الرؤساء الافريقيين لاسرائيل منذ عام ١٩٦١ ، وتوالت حتى بلغ عدد الزوار الافريقيين لاسرائيل سنة ١٩٦٦ حوالي ٢٠٠٠ زائر من بينهم عدد كبير من الرؤساء والوزراء والصحفيين واساتذة الجامعات والقياديين من اكثر من ٣٠ دولة افريقية (٢) . كذلك قام عدد كبير من المسئولين الاسرائيليين بزيارات متعددة للدول الافريقية من اجل دعم الجهود الاسرائيلية وابرز هذه الزيارات الجولة التي قام بها اشكول سنة ١٩٦٦ وزار خلالها ٧ دول افريقية هي السنغال وساحل العاج وليبيريا والكونغو واوغندا وكينيا وملاجاشي ، وقد اشتركت جولدا مائير التي كانت وزيرة خارجية اسرائيل في ذلك الوقت في احتفالات استقلال عدد كبير من الدول الافريقية كما قامت بعدة جولات افريقية وخاصة زيارتها سنة

٢ – الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٦/١٩٦٧

١٩٥٨ التي استغرقت خمسه اسابيع وكان لها تاثير واضح فيما بعد فـي تعميق العلاقات الافرواسرائيلية وقد قامت عدة وفود برلمانية ووزراء اسرائيليون بزيارات متعددة للقارة شملت كينيا واوغندا واثيوبيا وتانزانيا وملاجاشي وملاوي وزامبيا وبتسوانا وليسوتو وسوازيلاند وموريشوس وبوروندي والكونغو برازافيل وزائير وافريقيا الوسطى وليبيريا والكاميرون والجابون وتشاد ونيجيريا والنيجر وداهومي وغانا وساحل العاج وفولتا العليا ومالي وغينيا والسنغال (٢) وكانت الاتصالات والزيارات بين اسرائيل والدول الافريقية تتسم بالتنوع من حيث مراكز القائمين بها ومن حيث استغلال المناسبات ويلاحظ ان اسرائيل استفادت تماما بعنصر الزمن فقد تمت كثير من الزيارات الاسرائيلية للدول الافريقية قبل حصول الاخيرة على استقلالها كما اتخذت طابعا رسميا وازدادت وتنوعت في اعقاب الاستقلال مباشرة ولا شك ان تزايد عدد الزيارات المتبادلة بين اسرائيل والدول الافريقية وتنوعها يحمل دلالة هامة مؤداها ان تتمكن اسرائيل من خلال هذه الزيارات من شرح وجهة نظرها وتكرارها باساليب متنوعة مما يحدث في النهاية اثرا فعالا .

عقد الاتفاقيات :

لقد اسفرت الزيارات المتبادلة بين المسئولين الاسرائيليين والافريقيين عن عقد عشرات الاتفاقيات في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية واتفاقيات صداقة وتعاون فني . وفي الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٦٩ عقدت اسرائيل اكثر من ٨٠ اتفاقية شاملة مع الدول الافريقية منها اتفاقيات مع غانا ونيجيريا وليبيريا والكونغو برازافيل وتوجو وافريقيا الوسطى وتانزانيا وداهومي وجابون وساحل العاج ومالي وغينيا والسنغال وسيراليون والكاميرون وتشاد واوغندا ورواندا وغامبيا وبوروندي وزائير وملاجاشي . اما عن معاهدات الصداقة فقد وقعت اسرائيل عدة معاهدات للصداقة ابرزها مع ملاجاشي (١٩٦١) والجابون (١٩٦٢) وداهومي (١٩٦٢) وغامبيا (١٩٦٤) هذا عدا المعاهدة التي ابرمتها مع ليبيريا سنة ١٩٥٩ . وتنص هذه المعاهدات على ايجاد سلام دائم وصداقة ثابتة بين البلدين وتقوية اواصر العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بينها فض المنازعات بالطرق السلميه (٤) .

النشاط الاقتصادي الاسرائيلي في افريقيا

لقد ظلت العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل وافريقيا حتى سنة ١٩٥٧ من طرف واحد واقتصرت على شراء اسرائيل بعض السلع الافريقية مثل الكاكاو والبن وبذور الزيت . وكان فتح خليج العقبة العربي امام السفن الاسرائيلية في اواخر ١٩٥٦ عاملا هاما لتدعيم هذه العلاقات ولاسيما مع شرق افريقيا وجنوبها (٥) . وقد حرصت اسرائيل على التظاهر بعدم اهمية وجود عجز في ميزانها التجاري مع دول القارة منذ البداية وحتى ١٩٦٩ حيث بدأت الفجوة بين الصادرات والواردات تقل في السنوات

٣ – الكتاب السنوي للحكومه الاسرائيليه ١٩٦٨/١٩٦٩ .

٤ – العوبي – المرجع السابق . ص ٧٥

٥ – د . يوسف نس – تجاره اسرائيل الخارجيه – مركز الابحاث . م . ت . ف – بيروت ١٩٧٠ ، ص ٥٧

الاخيرة اذ انها كانت تهدف الى تعزيز وجودها السياسي داخل المجتمعات الافريقيه اولا على اساس ان الكسب الاقتصادي يأتي فيما بعد وهى المدى البعيد . وقد بلغ حجم الصادرات الاسرائيلية للقارة ٢٤ مليون دولار امريكي سنة ١٩٦٧ بعد ان كان لا يتعدى سنة ١٩٥٧ . مليوني دولار ثم ارتفع ١٩٦٨ الى ٢٨ مليون دولار ووصل سنة ١٩٦٩ الى ٥٦ر٣٤ مليون دولار ثم وصل ٤٧ مليون سنة ١٩٧١ واصبح يمثل اكثر من ٥ر٣٪ من جملة صادرات اسرائيل بعد ان كان لا يمثل اكثر من ٨ر٪ من مجموع صادراتها سنة ١٩٥٨ وتصدر اسرائيل الى افريقيا مواد البناء ولاسيما الاسمنت والزجاج والكيماويات والثلاجات ومواد البلاستيك وسلع انتاجية مثل الالات الزراعية وسلع إستهلاكية مثل الاطعمة المحفوظة والاغذيه والمنسوجات. وبجانب هذه السلع الرئيسية هناك عشرات السلع المختلفة كالاجهزة الكهربائيه والادوات الصحية والمطبوعات بجانب قيام اسرائيل باعادة تصدير بعض السلع الاجنبية خاصة من اوروبا وامريكا حيث تتجمع في اسرائيل عن طريق فروع الشركات الاجنبية وتصدرها على انها سلع اسرائيلية (٦) . ومن ابرز الاسواق الافريقية للصادرات الاسرائيلية غانا ثم اثيوبيا فجنوب افريقيا ويليها نيجيريا ثم كينيا واوغندا وتستوعب هذه الدول حوالي ٧٥ ٪ من صادرات اسرائيل لدول القارة كلها .

اما الواردات الاسرائيلية من الدول الافريقية فقد بلغ حجمها سنة ١٩٦٧ — ٨٣ر٢٧ مليون دولار بعد ان كانت شبه منعدمة سنة ١٩٥٧ اذ اصبحت تمثل ٥ر١ ٪ من جملة واردات اسرائيل وقد ارتفعت الى ١٣٣ر٣١ مليون دولار سنة ١٩٦٩ ثم انخفضت ٢١١ر٢٥ مليون دولار سنة ١٩٧١ (انظر جدول رقم ٤ ، ٥) — وتستورد اسرائيل من افريقيا المواد الخام حيث تحصل عليها مباشرة من الدول الافريقية بعد ان كانت تحصل عليها عن طريق الاحتكارات العالمية باسعار مرتفعة وقد اصبحت تحصل عليها باسعار رخيصة وبطرق تكفل لها التخلص من اخطار المقاطعة العربية : واهم السلع التي تستوردها اسرائيل من افريقيا : المعادن الخام وخاصة الماس والمواد الاولية الغذائية والمحاصيل النقدية ومواد اولية اخرى مثل الجلود والاخشاب. واهم الدول التي تستورد منها اسرائيل هي جنوب افريقيا ثم جابون فاوغندا وساحل العاج فكينيا فاثيوبيا ثم غانا وتنزانيا ، اذ تستورد منها اسرائيل حوالي ٦٥ ٪ من جملة وارداتها من القارة . ونلاحظ انه رغم العجز الذي كان يسجله الميزان التجاري الاسرائيلي بصورة مستمرة الا ان اتجاه التبادل التجاري يميل الى صالح اسرائيل بمرور الزمن اذ نجد ان العجز في الميزان التجاري انخفض من ٤٦ر١٠ مليون دولار سنة ١٩٦٣ الى ٤ر٣ مليون دولار سنة ١٩٦٧ . وبجانب هذا نلاحظ ان اسرائيل اصبحت تحتكر الاسواق الاستهلاكية لعديد من السلع . ففي اثيوبيا اصبحت تحتكر اسواق السلع الغذائية والاسمنت والاطارات والثلاجات وفي ليبيريا وغينيا احتكرت تجارة الماس الخام وفي اوغندا احتكرت محصول البن اذ اصبحت شركة زالي الاسرائيلية هي المصدرة الوحيدة لبن اوغندا كما احتكرت الشركات الاسرائيلية

٦ — تقارير المقاطعة — الجامعة العربية رقم ٥٦٧٦/٦٩ سنة ١٩٦٩.

التجاره في محاصيل السمسم والفول السوداني والصمغ والماشية والجلود في نساد وشرق افريقيا وفي مالاجاشي تحتكر اسرائيل ٨٠٪ من انتاج الاخشاب وتجارتها (٧) .

الاتفـاقيات التجـارية :

وقد لعبت البعثات والاتفاقيات الاقتصادية دورا كبيرا في زيادة حجم التبادل التجاري بين اسرائيل والدول الافريقيه . فقد ارسلت اسرائيل بعثاتها التجـارية للقيام بدراسة ميدانية للاسواق الافريقية ودراسة التركيب الاقتصــادي لكل بلـد وظروفه وما يلزمه من احتياجات وسلع استهلاكيه واستثمارية ودرجة المنافسة في اسواقه ومدى امكانيات اسرائيل للتغلغل في هذه الاسواق مثلما حدث في غانا سنة ١٩٥٧ واثيوبيا واوغندا وشرق افريقيا ١٩٦٢ . وعلى ضوء هذه الدراسات كانت تتم اتفاقيات التجارة والدفع ولقد وقعت اسرائيل اتفاقيات للتجارة والدفع مـع معظم الدول الافريقية وكانت أول اتفاقية عقدتها اسرائيل للتجـارة مع غـانا سنة ١٩٥٨ وكان الاتفاق يجدد سنويا تلقائيا ثم عقدت اتفاقية اخرى سنة ١٩٦٢ وكانت اتفاقية شاملة للتعاون التجاري والفني . وفي سنة ١٩٦١ وقعت اسرائيـل اتفاقيات مـع توجو وداهومي وفولتا العليا لتخفيض الرسوم الجمركية بنسبة تصـل الـى ٥٠٪ وذلك من اجل توسيع حجم التبادل التجاري كما وقعت اتفاقيات مماثلة مع نيجيريا وجابون وليبيريا والكاميرون وكينيا وجمهورية افريقيا الوسطـى سنة ١٩٦٢ (٨) . وفي اكتوبر ١٩٦٤ وقعت اسرائيل مع ملاجاشي اتفاقية للتجارة والتعاون الاقتصادي. وفي اوائل يونيو ١٩٦٩ وقع في القدس المحتلة بروتوكول جديد بين اسرائيل وملاجاشي للتبادل التجاري . كما تم بحث تدعيم العلاقات الاقتصادية بين البلدين اثنـاء زيارة اشكول للدول الافريقية ومنها ملاجاشي سنة ١٩٦٩ . وفي اوائل ١٩٦٤ زار اسرائيل وزير مالية ساحل العاج وقد صدر اثر الزيارة بيان مشترك جاء فيه ان بلاده واسرائيل يحرصان على تنمية العلاقات التجارية بينهما وان هناك اتفاقـا بـين البلدين يقضي بزيادة التجارة من ½ مليون دولار سنة ١٩٦٤ الى ٢٠ مليون دولار سنة ١٩٧٠ . وقد انتهى الاتفاق التجاري بين البلدين في ديسمبر ١٩٦٩ وتم توقيع اتفاق جـديد مدته ٥ سنوات واعرب وفد ساحل العاج عن استعداده لزيادة الاستيراد من اسرائيل حيث كانت واردات اسرائيل من ساحل العاج اكثر بحوالي مـرتين مـــن صادراتها اليهـــا (٩) .

وفي يوليو ١٩٦٦ اتفقت اسرائيل مع مالي على ان تصدر لها سلعا قيمتها ٤٧٫٥ مليون ليرة اسرائيلية سنويا . كما وقعت اسرائيل في نفس العام اتفاقا تجاريا مـع الكونغو ليوبولدفيل (زائير ، تصدر بموجبه اسرائيل للكونغو ٧٢ نوعا من السلع . وفي مايو ١٩٦٨ تم في القدس المحتلة التوقيع على اتفاقية تجارية مـع ملاوي . وفي نوفمبر ١٩٦٨ عينت اسرائيل ٦ ملحقين تجاريين في شرق افريقيا لتدعيم العـلاقات

---

٧ ـ الشوحي ـ المرجع السابق ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩

٨ ـ نشرة اسرائيل وافريقيا ـ وزارة الارشاد القومي القاهرة ـ ١٩٦٨ ، ص ١٢ .

٩ ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٤ ص ٣٣٥ ، اليوميات الفلسطينية ـ المجلد الثالث ـ مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ص ١٣٦ ، ٢٤ /٤ /١٩٦٦

التجارية مع دول المنطقة (١٠) وقد ساعدت هذه الاتفاقيات على نمو حجم التجارة الاسرائيلية مع افريقيا بدرجة ملحوظة خاصة وانها تنصب على الحواجز الجمركية والاسواق المغلقة كما انها تعطي افضلية في الاسواق المفتوحه . ولا شك ان الاتفاقيات التي عقدتها اسرائيل مع دول السوق الاوروبية المشتركة والاتفاقيات مع الدول الاستعمارية التي منحتها افضليات تجارية مثل الاتفاق مع فرنسا الذي منح اسرائيل افضلية تجارية في دول غرب افريقيا . كل ذلك ساهم بشكل فعال في دعم التبادل التجاري الاسرائيلي مع الدول الافريقية .

وبجانب هذه الاتفاقيات اقامت اسرائيل الغرف التجارية الافرواسرائيلية مع معظم الدول الافريقية وافتتحت عدة مكاتب تجارية في القارة علاوة على نشاط الملحقين التجاريين ونشاط مكاتب الشركات الاسرائيلية التي تعمل في القارة (١١) . وتعتمد اسرائيل على المعارض بمختلف انواعها سواء المعارض التجارية الثابتة او المعارض المتنقلة التي ترسلها لتطوف بالدول الافريقيه . كما تدعو اسرائيل الدول الافريقية للاشتراك في الاسواق والمعارض التجاريه التي تقيمها مثل معرض تل ابيب الذي يقام سنويا في شهر يونيو . وقد اشتركت فيه عام ١٩٦٨ ٢٢ دولة افريقية عرضت منتجاتها الزراعية والحرفية . وتحرص اسرائيل على الاشتراك في المعارض التي تقيمها الدول الافريقية . ففي سنة ١٩٦٧ اشتركت اسرائيل في ثلاثة معارض دولية افريقية هي معرض غانا الدولي الذي اقيم في شهر فبراير سنة ١٩٦٧ ثم معرض زامبيا التجاري في يوليو نفس العام واخيرا معرض نيروبي في كينيا في نهاية العام . وقد اقامت اسرائيل معرضا دائم لمنتجاتها في جوهانسبرج بجنوب افريقيا منذ سنة ١٩٥٨ كما اقامت معرضا تجاريا للسلع الاسرائيلية في ابيدجان عاصمة ساحل العاج سنة ١٩٦٥ وفي شهر فبراير ١٩٦٨ اقامت اسرائيل سوقا خاصة لمنتجاتها في اديس ابابا وسبقت افتتاحه بضجة دعائية جندت لها كافة اجهزة الاعلام في اثيوبيا وقد نجح المعرض وتمت عدة صفقات تجارية وتعاقدات على سلع المعرض كلها .

القروض :

وبالاضافة الى هذه الوسائل اتبعت اسرائيل وسائل اخرى من اجل تنشيط وتشجيع التجارة مع الدول الافريقية مثل القروض وقد منحت اسرائيل قرضا لغانا سنة ١٩٥٨ قيمته ٢٠ مليون دولار يصرف كائتمان تجاري ويسدد على مدى ٤ سنوات وتستورد غانا بموجبه سلعا مختلفة من اسرائيل على ان تسددها بالمواد الاولية مثل الكاكاو والبوكسيت والجلود وقد ادى هذا الى زيادة حجم التبادل التجاري بينهما بحيث اصبحت غانا العميل الاول في تجارة اسرائيل في القارة وقد قدمت اسرائيل قروضا الى كل من نيجيريا وليبيريا وساحل العاج وسيراليون وتنزانيا وغينيا ومالي وقد كانت هذه القروض على شكل مشروعات صناعية مشتركة مثل القرض الذي

---

١٠ ــ د. خالد اسماعيل ــ **المرجع السابق** ، ص ١٦ ــ ٢٣ .

١١ ــ المشوحي ــ **المرجع السابق** ص ٣٧١ .

منحته المالي لانشاء مصنع تجديد اطارات السيارات . وهناك قروض اخرى صغيره قدمتها اسرائيل الى جمهورية افريقيا الوسطى واثيوبيا في صورة سلع او مواد بناء او ائتمان تجاري وبجانب القروض قدمت اسرائيل بعض المنح في بداية تقاربها مع الدول الافريقية مثل معدات المستشفى التي ارسلتها الى مالاوي كهدية في عيد استقلالها في يوليو ١٩٦٤ وقرض لاقامة مدرسة للتدريب الاجتماعي باشرافها الى كينيا (١٢) . ويمكن القول ان الاعتمادات التي تخصصها اسرائيل كقروض او منح للدول الافريقية بلغت في الفترة من ١٩٥٨ – ١٩٦٦ حوالي ٥٠ – ٥٥ مليون دولار وهي في الواقع لا تزيد عن ٠.٥٪ من المعونات الخارجية التي تلقتها افريقيا في هذه الفترة مما يدل على ضآلة المساهمة الاسرائيلية في مجال التنمية الاقتصادية في افريقيا التي تقوم اساسا على التصنيع الثقيل والاعتمادات المالية الضخمة وهذا ما لا تستطيع اسرائيل ان تنهض به . وقد تأكدت اسرائيل من هذه الحقيقة فلجأت الى اساليب اخرى لتنشيط التعاون التجاري مع افريقيا اذ انه من الواضح ان اسرائيل لا تستطيع ان تعطي قروضا للدول الافريقية بينما هي نفسها في حاجة الى رأس المال . وقد اوضح اشكول هذه المسألة بصراحة عندما قال (ان بامكان اسرائيل ان تقدم خبرتها ومعونتها من اجل تطور القارة الافريقية ولكنها لا تستطيع الاستجابة الى القروض او المنح التي تحتاجها القارة) (١٣) .

التمـــويل :

ولكن اذا استعرضنا حجم الانفاق الذي تتحمله اسرائيل من اجل تنفيذ مخططها في القارة سواء نفقات بعثاتها الدبلوماسية او مرتبات الخبراء الاسرائيليين واستقبال المتدربين الافريقيين علاوة على ما تنفقه الشركات الاسرائيلية في افريقيا والمؤسسات القومية خاصة الهستدروت فضلا عن القروض والتسهيلات التجارية لا بد ان يثور سؤال هام عن المصادر التمويلية التي تلجأ اليها اسرائيل للتغلب على العقبة الاساسية التي تصادفها وهي نقص رأس المال لديها بسبب اعتماد اقتصادها اساسا على المعونات الاجنبية . والواقع ان اسرائيل تلجأ الى عدة وسائل في سبيل تجاوز هذه العقبة فهي تقوم بالاقتراض من البنوك الغربية باسعار بفائدة مخفضة ثم تعيد اقراضها للدول الافريقية باسعار بفائدة مرتفعة مثل القرض الذي قدمته لتنزانيا سنة ١٩٦٦ بسعر فائدة ٦٪ في حين انها اقترضته من احد بنوك المانيا بسعر فائدة ٣٪ فقط . كذلك تلجأ الى المؤسسات والشركات الكبرى في الدول الغربية كي تشاركها في تنفيذ المشروعات المختلفة في افريقيا حيث تساهم اسرائيل بالخبرات والادارة كواجهة للمشروع بينما تقوم الشركات الغربية بالتمويل مثلما حدث في اقامة مصفاة بترول سيراليون التي مولتها الاموال اليابانية والبريطانية – كما تستعين اسرائيل بالمنظمات الصهيونية العالمية والتسهيلات التي تمنحها لها بيوت المال والبنوك الصهيونية (١٤) .

---

١٢ – المرجع السابق ص ٣٨٠ .

١٣ – اليوميات الفلسطينية المجلدان الرابع والخامس ، ص ٦١ ، ٣١ يوليو ١٩٦٦ .

١٤ – الشوخي – المرجع السابق ص ٣٨٦ .

صادرات اسرائيل الى افريقيا :

تحسنت الصادرات الاسرائيلية الى افريقيا في عام ١٩٦٩ عما سبقه من الاعوام واصبح ترتيب فروع التصدير طبقا لحجمها كما يلي : الاقمشة والملابس والبضائع الجلدية ٢٥٪ من مجموع الصادرات والمواد الكيماوية ١٧٪ والماكينات ١٤٪ والمطاط والبلاستيك ١١٪ وسيارات النقل ٦ر٥٪ والاجهزة الالكترونية والكهربائية ٥ر٥٪، وصناعة التعدين ٥٪ والصناعات الغذائية ٤٪ وقد سجلت فروع الصادرات نموا ملحوظا سنة ١٩٦٩ عما سبقها في الاعوام فالاقمشة والمنسوجات والبضائع الجلدية زادت ٢ر٢ مليون دولار وكذلك في الماكينات ٩ر١ مليون دولار والكيماويات ٢ر١ مليون دولار والاجهزة الكهربائية والالكترونية ٨ر. مليون دولار ، والبلاستيك والمطاط ٦ر. مليون دولار والصناعات الغذائية ٤ر. مليون دولار والمعادن ٣ر. مليون دولار وان دراسة مسالة التصدير الى الدول الافريقية طبقا للميزان التجاري الاسرائيلي مع كل منطقة في افريقيا يكشف عن بعض الانجازات في جانب وعن بعض المشاكل والتحديات في جانب آخر (١٥) .

الجزء الاعظم من الصادرات الاسرائيلية يتجه الى شرق وجنوب افريقيا :

ان ثلاثة ارباع صادرات اسرائيل الى افريقيا تتجه الى شرق وجنوب القارة. وقد بلغت نسبة التصدير الى هذه المناطق حوالي ٢٦٪ سنة ١٩٦٩ اي ٢٥ مليون دولار. وكذلك حوالي ثلث الواردات الافريقية الى اسرائيل ياتي من هذه المناطق وقد انخفضت واردات هذه المناطق سنة ١٩٦٩ وارتفعت الفجوة بين الصادرات والواردات الى ١٥ مليون دولار . والموقف يختلف بالنسبة لوسط وغرب افريقيا فالصادرات الاسرائيلية اليهم لا تشكل سوى ربع مجموع الصادرات الى افريقيا ولا تستورد منهم سوى ثلثي الواردات الافريقية . فالصادرات الاسرائيلية الى الدول الافريقية التي تتحدث الانجليزية ارتفعت سنة ١٩٦٩ الى ٣٢٪ اي ٤ر٥ مليون دولار والواردات ايضا ارتفعت الى ٢٥٪ اي ٥ر٣ مليون دولار . وقد هبطت الصادرات الاسرائيلية الى الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية في عام ١٩٦٩ الى ٤ر٢ مليون دولار بينما ارتفعت الواردات الى ٤ر١٦ مليون دولار .

المشكلة الاساسية التي تعترض التجارة الاسرائيلية مع افريقيا :

بينما تسجل ارقام الصادرات الى شرق وجنوب افريقيا ارتفاعا واضحا فان قيمة الصادرات الى غرب ووسط افريقيا تسجل انخفاضا او على احسن تقدير جمودا وتتضح هذه الصورة اكثر لو تاملنا تطور الصادرات خلال السنوات الماضية . ان الصادرات سنة ١٩٦٧ الى شرق وجنوب افريقيا ارتفعت بنسبة ٦٢٪ وفي سنة ١٩٦٨ ارتفعت بنسبة ٣٤٪ مع ملاحظة الارتفاع البارز في معدل الصادرات الى جمهورية جنوب افريقيا ، وقد حدث اثناء تلك الفترة بعض الهبوط والارتفاع في الصادرات الى دول وسط وغرب افريقيا ولكن عموما ظلت الصادرات عند نفس المعدل واحيانا كانت تهبط قليلا ولكن الاستثناء الوحيد كان زائير حيث سجلت الصادرات

٥ ــ الكتاب السنوي لاسرائيل ١٩٧١/١٩٧٢ .

الاسرائيلية اليها نسبة محدده من النمو استمرت خلال الثلاثة اعوام الماضية (١٦) .

ولكن يجب ان نسجل انه رغم التقدم في الصادرات الى افريقيا وخاصة الشرق والجنوب لكنها لا تسجل سوى نسبه منخفضه في مجموع واردات الدول الافريقية فهي لا تزيد عن نصف ٪ في المائة من مجموع واردات هذه الدول ، كما ان معدل الصادرات في هذه الفترة كان اسرع من نمو معدل الواردات مما اوجد فجوة لا زالت قائمة وخاصة بسبب عدم تماثل نسبة الصادرات في جميع انحاء افريقيا . ويرجع سبب ارتفاع الصادرات الاسرائيليه في شرق وجنوب افريقيا الى عدة اسباب ابرزها القرب الجغرافي الذي برز باغلاق قناة السويس بالاضافة الى التسهيلات والامتيازات التي تنتفع بها الواردات الافريقية من اسرائيل والى الاجراءات التي اتخذتها وزارة التجارة والصناعة لتسهيل نقل الصادرات الاسرائيلية عبر ايلات وذلك يجعل مصاريف النقل في ايلات تتساوى مع مينائي أشدود وحيفا . وكذلك تقوم الوزارة بضمان انتظام رحلات تسيير البحرية كما تم تعيين ملحقين تجاريين في كل من كينيا ـ اوغندا ـ زامبيا وجنوب افريقيا . وفي سنة ١٩٦٩ كما في السنوات السابقة اتخذت اجراءات عدة لتطوير الصادرات في اوغندا ساهمت اسرائيل مع الشركة الامريكية في اقامة معرض زراعي كما اقيم اسبوع اسرائيل في كمبالا . وفي كينيا تم عرض السلع الاسرائيلية في جناح اسرائيل وقد تم ذلك بواسطة شركة اسرائيل للمعارض . وكذلك في جنوب افريقيا تم تنظيم اسبوع تجاري لاسرائيل باشراف الغرفة التجارية لكل من اسرائيل وجنوب افريقيا وقد بيع في هذا المعرض بحوالي ١٫٥ مليون دولار . وصادرات اسرائيل الى جنوب افريقيا لا تعتمد في زيادتها على ارتفاع الطلب عليها او بسبب اسعارها ونوعيتها ولكن سوقف الزيادة على مدى قدرة اسرائيل على تلبية جميع الطلبات المقدمة اليها للاستيراد .

صعوبة التغلغل الى اسواق وسط وغرب افريقيا :

ويختلف الوضع تماما في وسط وغرب افريقيا فهي بعيدة عن اسرائيل كما ان وضع امريكا والدول الاوربية بالنسبة لهذه المناطق افضل بكثير من وضع اسرائيل فيما يتعلق بالملاحة البحرية فضلا عن ان هذه الدول تمنح تسهيلات وامتيازات للبضائع الفرنسية ودول السوق الاوربية المشتركة . فالمصالح الفرنسية والاوربية تتحكم في اسواق هذه الدول الى حد بعيد ونتيجة لذلك تواجه اسرائيل صعوبات حقيقية وتعقيدات في التغلغل الى هذه السوق وقد ساء الوضع بالنسبة لاسرائيل سنة ١٩٦٩ بسبب انخفاض العملة في غرب افريقيا نتيجة لانخفاض قيمة الفرنك الفرنسي . ولا تعاني اسرائيل من اية تفرقة في الدول الناطقة بالانجليزية رغم ان اكبر دولتين بينهما وهي نيجيريا وغانا قد عانوا من مشاكل اقتصادية اجبرتهم على تقييد الواردات واتخاذ سياسه حازمة في منح تصاريح الاستيراد ويرجع ذلك الى الحرب الاهلية في نيجيريا وانعكاس ذلك على تدهور الدخل القومي وبالنسبة لغانا بسبب الديون المتراكمه والتي كان عليها تنظيم تسديدها . وعدم توازن الواردات الافريقية

---

١٦ ـ المرجع السابق

مع الصادرات الاسرائيلية اليها يرجع الى عدم استقرار اسعار المواد الخام في القارة وبهى ان حجم الواردات يتحدد طبقا لحجم الطلب الاسرائيلي عليه . فمعظم المشترين الاسرائيليين في افريقيا يقبلون على الخشب والبن الذي يتركز في اوغندا وكينيا ولكن حجمها المرتبط بمدى اقبال الاسرائيليين عليها يعد اصغر كثيرا مــن صادرات اسرائيل الى هذه الدول .

تحليل للاحصائيات التجارية الاسرائيلية :

عالجنا في الجزء السابق تجارة اسرائيل مع افريقيا . ومن المناسب في هذه المرحلة ان نحاول بشكل اعمق تحليل مغزى بعض البيانات المجمعة : ان تجارة اسرائيل مع افريقيا كانت دائما تشكل اقل من ٦٪ من تجارتها العالمية . فهل هــذه النسبة هامة ، ومن ناحية اخرى الى اي حد تعتبر التجارة مع اسرائيل هامة للدول الافريقية؟ وكخطوة اولية فانه يمكن الحصول على النتائج التالية (في الجداول ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

جدول رقــم (١)

الصادرات والواردات الافرو اسرائيلية ــ ١٩٥٨ ــ ١٩٦٤ (١٧) :

(بالاف الدولارات)

الواردات الاسرائيلية	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
افريقيا (المجموع)	١٤ر١٠٨	١٤ر٠١٨	١٧ر٨٣٠	٢٠ر٢٧٦	٢٠ر٢٣٥	٢١ر٩١١	٢٦ر٠٢٧
اوغنــدا)	١ر١٦٨	١ر٨١٤	١ر٢٧٤	٤٩٣	٣٥٤	٦٤٤	٤١٦
تنجانيقا)				١٥٠	١٩٨	١٢٦	٤٣٧
الجزائر	٢٢٠	٣١٣	٢١٥	٦٨١	٥٠٠		
انجولا		١٨		٣	٢٥٩	١٤	
افريقيا البريطانية		١٢٧	١٤٤	١١	١	٢	
جابون				٣ر٠٠٣	٤ر٢٧٠	٤ر١٩١	٣ر٥٩١
ج. افريقيا الوسطى)			٣٥٣			٥ر٢١٩	
تشاد)						١٧٨	
الكونغو (ب)				١٤٧	٤٠٧	٤٣٢	٦٤٤
غانــا	٥٩١	٩٣٦	١ر٤٤٥	١ر١٧٣	١ر٠٢٠	١ر١٨٤	١ر٠١٨
غينيا			٥٠٦	١ر٥٨٠	٣٢١	١	٣٦
داهومــي)							
فولتا العليا)							
ساحل العاج)				١ر١٤١	٦٠٤	٢٠١	٨٥٨
توجــو)							
موريتانيا)			٣٢٤				
مالي)					١		
النيجر)				١			
السنغال)					١		

١٧ ــ الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٤/١٩٦٥ .

الواردات الاسرائيلية :

السنوات	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
جنوب افريقيا	٤ر٨١٥	٣ر٣١٢	٦ر٢٨٤	٧ر٠٦٦	٥ر٤٩٦	٤ر٦٤٦	٤ر٧١٠
اتحاد افريقيا الوسطى	٤٤٧	٤٧٣	١٧٦	٢٢٤	٣٥٦	١٥١	١٤٥
اليوبيا وارتيريا	٢ر٢٧١	١ر٤٨٣	١ر٨٢٢	١ر٦٦٥	١ر٢٨١	١ر٠٥٧	١ر٢٧٣
ليبيريا			٢	١٨٣	١ر٥٩٨	٢٢٢	٢٦
مدغشقر	٤	٨٨	١٠	٧	٢٣	١٣	٤٥
موزمبيق	٤٤٩	٣٥٣	٨٢٦	١٦٦	٥٩٩	٥٥٢	٦٣٠
نيجيريا	١٠٧	١٠٤	٨٨	٢٨٢	١٧٥	١٢٩	١٨٩
الصومال الفرنسي	٢ر٨٣٤	٢ر٠٩١	٢ر٤٦٣		٥٠	٣	
زائير	٣٣	٢٣٠	٢٠	٥	١٨	١٠	١٢٤
الكاميرون				٣٦	٣١	٦٢	٣٠
كينيا	١ر١٢٨	١ر٥٠٧	١ر٧٩٧	٢ر٠٣١	١ر٥٦٩	٢ر٥٨٠	٢ر٣٩٦
الصومال							
سيراليون							٧
موريشوس							
ريونيان							
اخرى	١	٦٩	٧١	٢٢٣	١ر١٩٦	٢٨٤	٦ر١٨٢
اجمالي التجارة	٢ر٢	٣ر٣	٢ر٥	٢ر٤	٣ر٣	٣ر٣	٣ر٢

الصادرات الاسرائيلية :

السنوات	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
افريقيا (المجموع)	٤ر٥٦٤	٦ر١٤٧	١٠ر٥٢٥	١٣ر٤٣٢	١٠ر٧٣١	١١ر٥٤٣	١٢ر٧٤٦
اوغندا)	٢٠٨	٢٩٩	٥١	٢٧	١٩	١٧	١٥١
تنجانيقا)				١٧٣	٤٠١	٥١٧	٩١١
الجزائر	١٩٠	١٠٧	٢٢٣	١ر٥١٧	١٢١		
انجولا			١	٦	٦	٧	١١
افريقيا البريطانية	٤٣	٢٥٦	٩	٧٣٣	٥٩٨	٢٣٧	
جابون				١١	٣٨	٣	٣
جنوب افريقيا الوسطى)			٤	٧		٢	٧
تشاد)				١١		٢١	١٩
الكونغو (ب)				١٩	٧	١٠	٢
غانا	٥١٧	١ر٢٨٤	١ر٩٨٧	٢ر٠٧٤	١ر٤٣٥	١ر٦١٥	٢ر٢٩٢
غينيا				٥	١٥	١٢	٢٥
داهومي						١٥	١٧
فولتا العليا						١٨	٢٩
ساحل العاج				٣٢	٥٥١	٤٨٠	٤٨
توجو			٢	٢		١٦	٢٥
موريتانيا							

السنوات	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
مالي				٢٢	١٣	١٧	١٩
النيجر						٩	٥٦
السنغال				٩٦	٥٥	٣٧	٧٥
جنوب افريقيا	٩٤٢	٩١٥	١ر٨٩٢	٣ر٦٠٧	٢ر٠٠٦	٢ر٥٤٩	٢ر١٠٠
اتحاد افريقيا الوسطى	٢١٩	٢٨٤	٥٥٢	٥٩٣	٧٢١	٥٦٤	٦٣٩
اثيوبيا وارتيريا	٢٠٦	٣٤٧	١ر٠٠٣	١ر٠٧١	٩٧٧	١ر٢٢٢	١ر٢٢١
ليبيريا	٧٩	٢٢١	٦٦١	٤٧٧	٦٨٧	١٣٧	٦٠
مدغشقر	٥٢٢	٢٨٣	١ر٠٠٢	١٧٥	٢٢٠	١٣٨	٦٨٠
موزمبيق	٤٠	٣٦	٧٣	٤٢	٢٣	٤٧	٣٢
نيجيريا	٤٤٧	٦٠٤	١ر٩١٣	٣ر٨٧٤	٢ر٢٥٥	١ر٩٤٣	١ر٧٩٩
الصومال الفرنسي	٧٥٦	٢١١	٢١٠	٦٣	٦٢	٣٥	٥٤
زائير	٥	٩٣	٧٨	٥٤	٣٠	١٠	١٢٤
الكاميرون			٢٨	١٠	٤	٢٤	١٢
كينيا	٢٢١	٢٩٨	٦٦٤	٣٦٣	٣١٤	٥٢٥	٧٣١
الصومال	١٧	١٧٩	١٦١	٢١		١	
[illegible]							٩٨
[illegible]							٢٦٧
[illegible]							٢٢٦
اخرى				٢٤٧	١٦٣	١٢٢	١٠٨
اجمالي التجارة	٣ر٢	٢ر٤	٤ر٨	٤ر٥	٣ر٨	٣ر٣	٣ر٤

جدول رقم (٢)

واردات اسرائيل من افريقيا ١٩٦١ — ١٩٦٤ .
(بآلاف الدولارات)

السنوات	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
مجموع الواردات من :				
افريقيا	٢٠ر٣٧٦	٢٠ر٣٢٥	٢١ر٩١١	٢٦ر٨٢٧
افريقيا الفرنسية	٦ر٥٩٦	٦ر٢٠٨	١٠ر٣٠٢	٥ر٢٨٩
افريقيا البريطانية	٤ر٤٦٤	٣ر٦٧٢	٤ر٨١٤	٥ر٥٩٢
جنوب افريقيا	٧ر٠٦٦	٥ر٤٩٦	٤ر٦٤٦	٤ر٧١٠
اخرى	٢ر٢٥٠	٤ر٩٥٨	٢ر١٤٩	١١ر٢٣٥

المصدر : الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٢/١٩٦٤ .

جدول رقم (٣)

صادرات اسرائيل الى افريقيا ١٩٦١ ــ ١٩٦٤ :

(بآلاف الدولارات)

السنوات	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
مجموع الصادرات الى :				
افريقيا	١٣ر٤٢٢	١٠ر٧٣١	١١ر٥٤٢	١٢ر٧٤٦
افريقيا الفرنسية	١ر٩٧٠	١ر٠٦٦	٢ر٠٢٩	١ر٢٩٢
افريقيا البريطانية	٦ر٨٣٧	٥ر٧٥٣	٥ر٤١٨	٧ر٧٩٧
جنوب افريقيا	٢ر٦٠٧	٢ر٠٠٦	٢ر٥٤٩	٢ر١٠٠
اخرى	٢ر٠١٨	١ر٨٨٦	١ر٥٤٦	١ر٥٥٧

جدول رقم (٤)

واردات اسرائيل (من افريقيا) من ١٩٦٤ ــ ١٩٧١ :

(بآلاف الدولارات)

الدولة	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
اوغندا	٤٤٨	٣٦٧	١٢٩٦	٢٨٩٩	١٨١٥	١٨٢٥	٢١٣٧	١٤٣٥
اليوبيا	١٢٨٣	٨٩٠	١٦٠١	١٤٥٦	٢٠٩٣	١٦٩٨	١٩٩٤	٢١٩٤
جابون	٢٥٠١	٣٩٤٥	٢٩٢٧	٢٤٤٩	٤٦١٨	٤٣١٢	١٦٤٠	٨٣٧
غانا	٩٥٤	٩١٢	٦٠٠	٦٣٩	١٨٣٥	١٩٤٠	٥٩٤	٨٤٧
جنوب افريقيا	٤٧٨٨	٤٠٤٤	٤٤٢٧	٣٢٢٨	٥٢٣٩	٥٨٠٥	١٢٢١	٨٠٨٠
ساحل العاج	٩٨٨	٩٦٤	٤٨٣	١٩١٩	٢٨٤٨	٢١٥٦	٩٢٦	٤١٣
تنزانيا	٤٧١	٣٧٩	٤٢٨	٢٧٩	٤٢٥	١٩٣	١٣٠	١٩٧
ليبيريا	٤٤	٦	٢		٩٥٨	١٥٦٤	١٢١٥	٢١٨٠
نيجيريا	٢٩٠	١٠٥	٥١	٨٥	٧٤	٣٢	٤٠	٣٠
كينيا	٣٦٧٧	١٦٩٩	١٨٢٧	١٥٤١	١١٧٦	٧٩٠	١١٨١	١٢١٢
دول اخرى	١٠٨٩٦	١٣٩٦٦	١٤٥٣٠	١١٥١٨	٩٩٣٥	١٥٨٠	١٠٠٦٣	٦٩٨٦
اجمالي افريقيا	٢٧٤٤٠	٢٧٢٨٦	٢٦٦٧١	٢٧٠٨٣	٣٠٩٥٦	٢١١٢٣	٢٠١٤١	٢٥٢١١

المصدر : Israel Economist, June, 1971

جدول رقم (٥)

صادرات اسرائيل (الى افريقيا) ١٩٦٤ ــ ١٩٧١ :

(بآلاف الدولارات)

الدولة	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
اوغندا	١٥١	٢٩٨٩	٤٨٥	١٦٣٢	٣٥٧٥	٣٢٠٣	٥٦١٢	٧٩٥٨
اليوبيا	١٢١٤	١٦٣٥	١٧٩٨	٣٣٧٤	٤٩٥٩	٤٢٨٩	٤٣٦٦	٢٥٧٤
حابون	٣	٣	١٥	٨٢	٨٤	٤٧	١	١٦٦
غانا	٣٢٩٢	٥٣٤٨	٤٩٣٧	٣٨٨٠	١٩٤٨	١٩٠٨	٢١٤٤	٢١٠٣

الدولة	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
جنوب افريقيا	٢١٣٨	٢٧٢٢	٢٢١٠	٣٩٩٦	٥٦٥٦	٨١٨٢	١٠٦٨٩	٩٣٩٨
ساحل العاج	٤٨	١٤٦	٥٤٢	٦٨٤	١٢٧٣	٨٠٧	١١٦١	١٢٥٥
تنزانيا	٩١١	١١٤٩	١١٧٢	٤٤٧	١١٥٥	١٤٤٦	١٩٠٦	١٤٠٢٠
ليبيريا	٦٠	١٧	٢٨	٣٠٨	١٥	-٩٢٣	١٢٠	٣٣٤٧
نيجيريا	١٧٩٩	٢٥٢٠	٤٩٦٠	٢٥٣٨	٢١١٧	٢٥٧٥	٢٥٨٥	٤٩٥٠
كينيا	٧٣٣	١١٦٧	١٦١٣	٢٥١٢	٢٦٧٩	٢٩٤٨	٣٦٥٦	٤١٨٧
دول اخرى	٢٣٩١	٣٩٢٤	٣٦٨٥	٤٩٨٤	٤٦٦٤	٧٨١٨	٨٣٠١	٨٠٨١
اجمالي افريقيا	١٢٣٩١	٢١٦١٨	١٩٥٤٦	٢٤٤٣٧	٢٨١٢٥	٣٤٢٤٦	٤١٥٤٢	٤٧٤٢١

المصدر السابق .

سنحاول أن نوضح في هذا الجزء الاهمية النسبية للتجارة الافريقية مع اسرائيل . والجدول رقم (٦) يشير الى الترتيب النسبي (في المشتريات) للدول الافريقية وخاصة المشتريات السلعية من اسرائيل . وبالطبع فان السلع المختارة لهذا الجدول هي التي تتركز فيها القوة الشرائية الافريقية .

بدراسة البيانات الواردة في الجدول رقم (٦) يصل المرء الى نتيجة مفادها ان افريقيا تشتري من اسرائيل بنودا « هامشية » كثيرة .وكذلك المنتجات الاسرائيلية التقليدية (الاسمنت والاطارات والعربات) . والواقع ان السوق الافريقية اكثر اهمية بالنسبة لاسرائيل في تلك المجالات الهامشية ، ليس لان هذه السلع وجدت لنفسها سوقا في افريقيا ، بل والاهم ان الطلب الافريقي على هذه المنتجات بدعم ويشجع تنويع القاعدة الصناعية لاسرائيل . ومن المسائل التي تثير الجدل ما اذا كانت منتجات مثل الاثاث وزيت الصويا المقطر والسجاد يمكن انتاجها في اسرائيل بطريقة اقتصادية بدون الطلبات الافريقية . لذلك فان توافر سوق افريقية لمثل هذه المنتجات الهامشية يشجع على تكاثر الشركات والصناعات الاسرائيلية الصغيرة والتي قد تنمو في النهاية في الحجم وفي القوة وتتمكن من المنافسة في الاسواق الاخرى ايضا .

جدول رقم (٦)

المشتريات السلعية الافريقية من اسرائيل (١٩٦٣) بالنسبة المئوية لمجموع الصادرات الاسرائيلية

السلعة	النسبة المئوية ومرتبة المشتريات الافريقية
ـ الاثاث	٩٥ ٪ من الصادرات الى ساحل العاج (١) ، نيجيريا (٢) ، ليبيريا (٣) .
ـ زيت الصويا المقطر	٧٥ ٪ من الصادرات الى الدول الافريقية .
ـ الاسمنت	٥٤ ٪ من الصادرات الى افريقيا . غانا (١) ، نيجيريا (٢) ، اليوبيا (٤) ، ملاجاشي ٥

السلعة	النسبة المئوية ومرتبة المشتريات الافريقية
ـ انابيب اسبستوس ـ اسمنت	المشتريات الافريقية تشكل ٤٢ ٪ من الصادرات ـ نيجيريا (٢) .
ـ سجاد	الصادرات الى افريقيا تصل الى ٣٤ ٪ ساحل العاج (٢) .
ـ مواد صيدلية	٣٢ ٪) من الصادرات الى افريقيا . نيجيريا (١) .
ـ جوارب نايلون	٢٢ ٪ من الصادرات الى افريقيا .
ـ خيط قطن	٢٠ ٪ من الصادرات الى افريقيا . ملاجاشي (٢) .
ـ كيماويات عضوية	١٩ ٪ من الصادرات الى افريقيا .
ـ منتجات سيراميك	١٨ ٪ من الصادرات الى افريقيا . كينيا (٣) .
ـ عربات وقطع غيارها	١٧ ٪ من الصادرات الى افريقيا . ملاجاشي (١) ، غانا (٣) ، تشاد (٤) .
ـ اصباغ	١٤ ٪ من الصادرات الى افريقيا .
ـ شفرات حلاقة	تشكل مشتريات السنغال ١٢ ٪ من مجموع الصادرات .
ـ اطارات	١١ ٪ من الصادرات الى افريقيا . نيجيريا (٨) ، اثيوبيا (٩) ، غانا (١٠) .
ـ رشاشات مياه	١١ ٪ من الصادرات الى افريقيا .
ـ محركات وادوات ميكانيكية	١١ ٪ من الصادرات الى افريقيا .

ومن الصعب القول بأن التحليل السابق يسري بالنسبة لواردات اسرائيل من افريقيا. والجدول رقم (٧) يعدد السلع التي تشتريها اسرائيل من افريقيا، ومصادرها.

جدول رقم (٧)

المشتريات السلعية الاسرائيلية من افريقيا (١٩٦٣) بالنسبة المئوية والمصدر

السلعة	النسبة المئوية ومرتبة المشتريات الاسرائيلية
ـ بن	٨٠ ٪ من الواردات من افريقيا . كينيا (١) ، وكذلك اوغندا واثيوبيا .
ـ منتجات اللحوم	٧٥ ٪ من المشتريات من افريقيا . اثيوبيا (١) .
ـ كاكاو ومنتجاته	٣٠ ٪ من المشتريات من افريقيا . غانا (١) ، والكامرون ايضا .
ـ اخشاب ومنتجاتها	٢٢ ٪ من المشتريات من افريقيا . جابون (٢) ، وكذلك غانا ونيجيريا وساحل العاج وانجولا .
ـ قطن	١٠ ٪ من المشتريات من افريقيا .
ـ ماس واحجار كريمة	٢٦ ٪ من المشتريات من افريقيا. جمهورية افريقيا الوسطى (٢٠) ، الكونغو (ب) (٣) ، غانا (٤) .

مجمعة من بيانات في اسرائيل ، مكتب الاحصاء المركزي تجارة اسرائيل الخارجية لعام ١٩٦٣ (بالعبرية، ١٩٦٤) . الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٤/١٩٦٥ .

في حين انه يبدو ان اسرائيل بالنسبة لانواع معينة من هذه المنتجات ، قد تكون معتمدة على مصادر امداد افريقية (مثل البن او الكاكاو او الماس) .

الا انه يمكن القول بكل تأكيد بان اسرائيل يمكنها ان تتحول الى موردين آخرين دون ان تشعر بازعاج او ارتباك كبيرين . اما من وجهة نظر الدول الافريقية فان الموقف مختلف بعض الشيء .

ومن الصعب تقييم الاهمية النسبية للتجارة مع اسرائيل بالنسبة للدول الافريقية ، وذلك على ضوء حقيقة ان الاحصائيات التجارية الكاملة والمفصلة لا تنشر دائما كما ان المنشور لا يتوافر دائما . وهكذا فان التقييم الجزئي بعد ذلك سيكون بالضرورة غير كامل وفي خطوط عريضة وان كان يشير تماما الى المؤشرات الموجودة.

وكخطوة اولية ينبغي تقسيم الدول الافريقية الى ثلاث فئات اساسية بالنسبة لتجارتها مع اسرائيل وتضم الفئة (أ) دولا مثل بوروندي ورواندا ومالاوي والنيجر وتشاد وداهومي . الصومال . موريتانيا . غينيا . مالي . انجولا . جامبيا ، توجو . الكاميرون ، وفولتا العليا . وهذه البلدان ــ ربما مع استثناء الثلاث الاخيرة التي تبدو التوقعات التجارية معها زاهية ــ تحتفظ بتجارة قليلة نسبيا مع اسرائيل (١٨) .

اما الفئة (ب) فتضم بلدانا قوية اقتصاديا او دول تعتبر انماطها التجارية مستقرة ومتسعة نسبيا . ومن هذه الفئة يستطيع المرء ان يجد نيجيريا . الكونغو . [illegible] . غانا . السنغال ، زامبيا ، اوغندا . تنزانيا . وكينيا . وبالنسبة لهذه البلدان فان التجارة مع اسرائيل تعتبر هامة لكنها ليست ذات ضرورة حيوية . وتشارك اسرائيل في الانماط التجارية لهذه المجموعة الاخيرة باعتبارها عميل ومورد عادي وان كان عميلا له اهميته في حالات معينة . وهناك فئة ثالثة يمكن ان تضم دولا مثل جابون ، جمهورية افريقيا الوسطى (في عام ١٩٦٣ فقط) . الكونغو برازافيل ، اثيوبيا ، ملاجاشي ، وبدرجة اقل ساحل العاج . وفي حالة الفئة (ج) هذه تعتبر اسرائيل موردا وعميلا كبيرا وتتخذ مكانة بارزة في انماطها التجارية .

ويستطيع المرء ان يلاحظ مثلا ان اسرائيل كانت افضل ثالث عميل لساحل العاج بالنسبة للماس الخام عام ١٩٦١ (١٩) . وبالنسبة لمشتريات البن كانت اسرائيل سادس افضل عميل لشرق افريقيا في نفس السنة (بعد الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية والسودان وكندا) . وكانت اسرائيل ثالث افضل عميل لجابون بالنسبة لمشتريات الاخشاب .

وعلاوة على ذلك ، وبالرغم من ان الاحصائيات المناسبة ليست متوافرة . فانه يمكن القول بان اسرائيل تحتل مكانة كبرى في افريقيا بالنسبة لمبيعات الاسمنت والاطارات . وكملاحظة جانبية يمكن ان نقول انه جرت مبيعات معينة من الاسلحة فزودت اسرائيل الجيوش الافريقية برشاشات عوزي والاسلحة الاخرى الخفيفة . ومرة اخرى لا تتوافر الاحصائيات وهذا امر مفهوم . ومع ذلك فان ما تكشف من انباء يشير الى ان

S. Decalo, op. cit., pp. 196-200 — ١٨

Ibid, p. 199 — ١٩

حوالي ٤٠٪ من انتاج الصناعات الحربية الاسرائيلية I.M.I. قد خصص للتصدير (شركة اف . ان F.N. البلجيكية تعمل بعقد مع الصناعات الحربية الاسرائيلية وتنتج الاسلحة لقوات حلف الاطلنطي ، وان ٢٠٠ الف رشاش عوزي بيعت مع اواخر ١٩٦١ الى ٢٥ دولة في اوروبا وآسيا وافريقيا .

المشروعات المشتركة (الافرو اسرائيلية) :

كان انشاء الشركات المساهمة من ابرز اساليب التغلغل الاسرائيلي داخل الدول الافريقية وقد شكلت المشروعات التي اقامتها الشركات الاسرائيلية في القارة ، سواء لحسابها او بالمشاركة . ميدان ربح اقتصادي كبير فاق كثيرا الربح العائد من المشروعات التجارية . والواقع ان اسرائيل استفادت الى حد بعيد من هذه المشروعات فهي علاوة على ما تحققه من ارباح فهي تمتص فائض العمالة لديها وخاصة من الفنيين والخبراء كما انها تجسد الجهد الاسرائيلي في انجاز العديد من المشروعات التي تؤثر في عدد كبير من الافريقيين وتظل عالقة في اذهانهم رمزا للنشاط الاسرائيلي . وتستوعب هذه المشروعات حوالي ٥٠٠ خبير اسرائيلي سنويا في المتوسط . ففي اوائل سنة ١٩٦٣ شاركت اسرائيل في ٤٢ شركة مساهمة في افريقيا وكل هذه الشركات كانت قد اقيمت منذ ١٩٥٧ . وفي عام ١٩٦٣ ايضا وصل حجم تجارة هذه الشركات وانشاءاتها الى ما تزيد قيمته على ٢٠٠ مليون دولار (٢٠) ، وفي سنة ١٩٦٤ كان في افريقيا ٥٠ مشاركة افرو اسرائيلية بلغ راسمالها ٣٠٠ مليون دولار وكان يعمل بها حوالي ٤٠ الف افريقي كما بلغ عدد المشاركات في ١٩٦٦ حوالي ٢٠٠ مشاركة دائمة راسمالها ٥٠٠ مليون دولار . وتعتمد اسرائيل في تنفيذ المشروعات في القارة على فلسفة المشاركة التي تقوم على مشاركة الشركات الاسرائيلية مع الحكومات الافريقية لضمان حصولها على امتيازات تفضيلية ولإرضاء النزعة الفردية لدى هذه الحكومات وابعاد شبح الصبغة الاحتكارية او الاستعمارية عن هذه المشروعات . وتحرص الشركات الاسرائيلية على المساهمة بنسبة ٤٠ ــ ٤٩٪ فقط من رأس مال المشاركة على ان تتولى الخبرات الاسرائيلية الادارة وتدريب الافريقيين مقابل الحصول على ١٠ــ١٦٪ من جملة الارباح . وتنص المشاركة على ان تكون لفترة ٣ ــ ٥ سنوات تبيع اسرائيل في نهايتها نصيبها للحكومة الافريقية على ان تحتفظ بادارة المشروع وامداده بالخبرات اللازمة (٢١) وتدريب الافريقيين .

وفي الوقت نفسه وبالرغم من ان استراتيجية المشاركة تقوم على تسليم الادارة للافريقيين ، الا ان اسرائيل تعمل دائما على ضمان استمرار ادارتها للمشروعات حتى بعد تسليمها للافريقيين ، وهنا تظهر ضرورة تواجد الخبرات الاسرائيلية والا فشلت هذه المشروعات . وقد استطاعت اسرائيل بهذه السياسة ان تغزو معظم الميادين الاقتصادية بالمشاركة خاصة ميادين النقل والتشييد والبناء ومشاريع الزراعة والري والمشاريع الصناعية .

---

٢٠ - Ibid, p. 322

٢١ - Laufer, op. cit., pp. 74-142

١ ـ خطوط الملاحة البحرية :

يعتبر اقامة خطوط ملاحة بحرية وجويه في الدول الافريقية ضرورة لتأكيد سيادتها الوطنية ومورد لتوفير النقد الاجنبي بجانب دورها الهام في خدمة الاقتصاد القومي وهناك عدد قليل جدا من خطوط الملاحة البحرية الوطنية في العالم الثالث . كما اشارت مجلة ايكونومست الاسرائيلية في عددها الصادر في ١٥ يونيو ١٩٦٠ بان حجم الشحن البحري العللي بلغ ١١٧ مليون طن منها ١٠٣ ملايين طن اي ٨٨٪ تمتلكها اوربا وامريكا الشمالية (بما في ذلك اساطيل بناما وليبيريا التي تمتلكها في الواقع دول اجنبية) . و ٥ر٨ مليون طن (٥٪) تمتلكها اليابان . في حين يمتلك بقية العالم ٨ ملايين طن فقط (٧٪) يتألف معظمها من سفن ساحلية واذا طرحنا ٥ر١ مليون طن تمتلكها اسرائيل كان الباقي يصبح اقل من ٥ر٦ يمتلكها بقية العالم . وقد كانت اول مشاركة لاسرائيل في افريقيا هي قيام شركة ملاحة النجمة السوداء الاسرائيلية الغانية اذ تم في ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ توقيع اتفاق اقامة خط مشترك للملاحة يسمى (خطوط النجمة السوداء) وقد ساهمت شركة تسيم بنسبة ٤٠٪ وحكومة غانا بنسبة ٦٠٪ . وقد ابرزت الصحف الغانية على صدر صفحاتها هذا الحدث وصدرت بهذه المناسبة مجموعة من الطوابع التذكارية من تصميم فنان اسرائيلي كما تم افتتاح الخط الملاحي في احتفالات وطنية كبيرة (٢٢) اشترك فيها الرئيس نكروما وكبار المسئولين في غانا . وقد كانت هذه التجربة مشجعة للدول الافريقية خاصة وان شركة تسيم قامت بتدريب عدد من الغانيين على الادارة في مقر الشركة بحيفا مع تدريب الضباط في مدرسة عكا للملاحة البحرية كما اقامت معهد البحرية الغاني في أكرا . وقد شجع نجاح هذا المشروع على تكراره في ليبيريا اذ شاركت اسرائيل في ديسمبر ١٩٦٠ بنسبة ٢٥٪ من اسهم شركة الاسطول البحري الليبيري وتولى الخبراء الاسرائيليون ادارة المشروع رغم ان هولندا تشارك فيه ايضا بـ ٢٥٪ من رأس المال . ثم اسست اسرائيل على غرار الشركة الغانية الاسرائيلية شركة ملاحة بحرية مع سيراليون .

اما في ميدان النقل البري فقد تولت الشركات الاسرائيلية الاشراف على تنظيمه في عدد من الدول الافريقية مثل اثيوبيا وتشاد وكينيا ومالاوي وجابون (٢٣) .

٢ ـ شركات البناء والانشاء :

برز نشاط الشركات الاسرائيلية بشكل واضح في هذا الميدان خاصة وانه يؤمن لها ارباحا ضخمة بجانب تشغيل مئات الخبرات الاسرائيلية وآلاف الايدي العاملة الافريقية كما انه يلبي حاجة الدول الافريقية في مجال حيوي وهو مجال التنمية التي تتطلب اقامة جسور وسدود وطرق ووحدات سكنية ومكاتب وفنادق . ومن ابرز الشركات الاسرائيلية في هذا الميدان شركة سوليل بونيه وهي شركة تشييد تابعة للهستدروت التي اقامت مئات المشروعات العمرانية وساهمت في عشرات المشاركات مع الدول الافريقية وقامت بفتح فروع لها في معظم المدن الافريقية .

٢٢ ـ ديلي جرافيك ـ اكرا ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٥٧ ـ مكتبة سفارة غانا بالقاهرة .

٢٣ ـ المشوخي ـ المرجع السابق ص ٣٨٩ .

وقد بلغ حجم استثماراتها في افريقيا من ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ مبلغ ١٥٠ مليون دولار . اما بقية المشروعات الاستثمارية الاسرائيلية التي تم تنفيذها في افريقيا من ١٩٦٣ ـ ١٩٧٢ فهي تبلغ ٤٢٫٧ مليون دولار وقد بلغت مشروعات التخطيط الاسرائيلي في افريقيا في عام ١٩٧٢ وحده ٣٫٥ مليون دولار . وقد ارتفع حجم مشروعاتها المنفذة من ٢١ مليون دولار سنة ١٩٦٤ ليصل الى ٣١ مليون دولار سنة ١٩٦٦ (٢٤) . وهناك أساسا اربعة اشكال للشركات الانشائية العاملة في افريقيا بالمشاركة الاسرائيلية وهذه الاشكال الاربعة هي : الشركة المساهمة الخاصه ـ والشركة المساهمة العامة ـ والشركة المفتربة العامة ـ والشركة المفتربة الخاصة.
وقد كانت أول مشاركة للشركات الاسرائيلية في هذا الميدان مع غانا في بداية عام ١٩٥٩ حيث تكونت شركة غانا الوطنية للانشاءات ساهمت فيها شركة سولين بونيه بنسبة ٤٩٪ والحكومة الغانية ٥١٪ وقامت بتنفيذ عدة مشروعات هامة مثل مطار اكرا الدولي ومبنى اتحاد الزراع وقصر الرئاسة . وقد ساهمت سوليل بونيه في انشاء شركة الانشاءات الوطنية سنة ١٩٦٠ في سيراليون حيث ساهمت فيها بنسبة ٤٠٪ . وقامت الشركة باقامة مبنى البرلمان في عشرة شهور وفي ليبيريا تكونت شركة مماثلة اقامت عدة انشاءات هامة مثل القصر الجمهوري ووزارة الخزانة وعدة فنادق . وقد تكررت التجربة في ساحل العاج وتانزانيا ، وتشاد ، وكينيا ، وجمهورية افريقيا الوسطى والكاميرون حيث قامت الشركات الافرو اسرائيلية بمئات المشاريع العمرانية من بناء المباني الحكومية والمطارات والمدارس والمزارع ورصف الطرق والفنادق الفخمة مثل فندق كلمنجارو في دار السلام الذي افتتح في سنة ١٩٦٥ وتم بناؤه بموجب قرض اسرائيلي طويل الاجل يبلغ مليون ونصف مليون جنيه استرليني وقامت ببنائه شركة التخطيط والاعمار الدوليـة المحدودة وهي شركة اسرائيلية تابعة لهستدروت (٢٥) .

وفي يوليو ١٩٦٩ وقع عقد بين سوليل بونيه وشركة بحاري بوتش للفنادق التي انشئت حديثا في تنزانيا لانشاء فندق ساحلي يكون على شكل قرية افريقية (٢٦) .

وفي نيجيريا كونت الشركات الاسرائيلية شركة نيجرسول بالمشاركة مع حكومة نيجيريا الغربية سنة ١٩٥٩ وشركة انشاءات نيجيريا الشرقية مع الاقليم الشرقي وقد نفذت الشركة الاخيرة عدة مشروعات ابرزها جامعة شرق نيجيريا والمدينة الجامعية ومشروع مياه الشرب وفندق كبير ومصنع للنسيج في لاجوس .

٣ ـ المشروعات الزراعية والري :

كما برزت المشاركات الاسرائيلية في ميدان النشاط الزراعي والري حيث قامت الشركات الاسرائيلية بمسح شامل للمشكلات الزراعية في الدول الافريقية وشاركت

---

٢٤ ـ الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ، ١٩٧٢/١٩٧٣ Israel Economist, March 1973
Tettegah, Tom, How Israel secret agents subvert Africa, Ghana, 1968, pp. 13-14

٢٥ جيروزاليم بوست ، ١٩٦٥/١٢/٩ .
الاهرام ، ١٩٦٦/٦/١٤

في تكوين عدة شركات افرو اسرائيلية لتطوير مصادر المياه مثـل شركـة WRD في نيجيريا التي قامت بتنفيذ عدة مشاريع مثل حفر ٥ بار ومد خطوط الانابيب وبناء كباري وسدود صغيرة وتشييد محطات لضخ المياه وتخزينها . وفي الكونغو برازافيل تكونت شركة افرو اسرائيلية للقيام بدراسات القطن وصناعته والابحاث المتعلقة به وفي غانا بـرز نشاط شركة WRD في تنفيـذ عـدة مشروعات خاصـة بمد انابيب المياه . وفي اثيوبيا قامت نفس الشركة بتطوير مصادر المياه . اما في النيجر فقد شاركت شركة Snetha الاسرائيلية الحكومـة في استغـلال المياه الجوفيـة . وفي تنزانيا تعاقدت شركة اجولايديف مع الحكومة التانزانية في ادارة ٣ مزارع نموذجية سنة ١٩٦٢ (٢٧) .

كما برزت المشاركات الاسرائيلية في الميدان التجري باقامة الشركات التجارية والمحال التعاونية التي احتكرت بها معظم اسواق افريقيا كما حـدث في غانـا وكينيا وملاجاشي وجابون وملاوي وتانزانيا وتشاد . وقد برز في هذه المشاركات الهستدرو ومؤسساته حيث يقدر ما انفقه حتى سنة ١٩٦٥ كاستثمارات في مشاركات ومشروعات مختلفة في القارة حوالى ٥٠٠ مليون دولار (٢٨) .

ويضاف الى هذا نشاط الشركات الاسرائيليـة الخاصة التي تمتلـك المصانع والمتاجر والاراضي كما حدث في اثيوبيا وليبيريا وكذلك الشركات الاسرائيليـة التي تسجل على انها افريقية مثل تأسيس ٤٠ شركة اسرائيلية في اثيوبيا وتسجيلها على انها اثيوبية . وتعاون الشركات الاسرائيلية مع مؤسسات اجنبية التنفيذ بعض المشروعات مثل تعاون شركة سوليل بونيه مع شركة رينولدز الاميركية في اثيوبيا وتكوين شركة مماثلة في زامبيا (٢٩) .

التعاون الفني والخبراء الاسرائيليون في افريقيا :

تقدم اسرائيل المعونة الفنية لافريقيا على اساس ثنائي او عن طريق المنظمـات الدولية (الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة) والواقع ان المعونات الفنية التي تطلبهـا الدول الافريقية من الامم المتحدة تستغرق وقتا لا يقل عن ٦ اشهر او عام حتى يتسنى للمنظمة الدولية اختيار الخبراء المطلوبين بينما تتميـز اسرائيـل بسرعـة استجابتها للطلبات الخاصة بالمعونة الفنية . فالسفارات الاسرائيلية في افريقيا لها صلاحية اتخاذ القرارات في هذا الصدد وهنا لا يستغرق الامر اكثر من اسابيع قليلة . ويتميز الخبراء الاسرائيليون بتنوع التخصصات التي تتراوح بين خبراء تخطيط المدن والطب والسياحة وامدادات المياه والتعاون (٣٠) . ويبين الجدول التالي عدد الخبراء الاسرائيليين الذين يعملون في الخارج حسب القارات :

---

٢٧ — الشوخي — المرجع السابق ص ٣٦٧ .

٢٨ — تقارير القاهرة رقم ٦١/٦٩٩٢ في ١٩٦١/٢/١١ ، ٦٥/١٤٢١ و ١٩٦٥/١٢/٣٠ .

٢٩ — Laufer, op. cit., p. 147

٣٠ — Kreinin, op. cit., p. 94

جدول رقم (٨)

عدد الخبراء الاسرائيليين الذين يعملون في الخارج حسب القارات

القارة	السنوات ١٩٧٠	من ١٩٥٨ – ١٩٧٠
افريقيا	٢٤٦	٢٤٨٣
سيـــا	٦٣	٤٣١
اميركا اللاتينيه	٩٥	٥٣٠
منطقة البحر الابيض المتوسط	٥٠	٥٠٤
المجموع	٤٥٤	٣٩٤٨

ويتضح من الجدول السابق ان اكبر عدد مـن الخبراء الاسرائيليين يعمـل في افريقيا اذ عمل بها في الفترة من ١٩٥٨ ١٩٧٠ حوالي ٦٣٪ من مجموع الخبراء الاسرائيليين في الخارج . اما في عام ٩٧٠. فقد عمـل بافريقيا حوالي ٥٤ر٢ مـن العدد الكلي للخبراء الاسرائيليين في الخارج (٣١) .

وقد جاء في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٧ – ١٩٦٨ بان لدى وزارة الخارجيـة ٤٣٠ خبيرا في افريقيا كمستشاريـن ومدربين ويعملـون فـي التخطيط الاقليمي وتدريب الشباب والطب والتعليم المهني والبناء والاقتصاد والادارة العامـة وغالبا يتم ارسال الخبراء الاسرائيليين الى افريقيا عن طريق اتفاقيات التعاون الفني التي توقعها اسرائيل مع الدول الافريقية وقد تم توقيع بعضها في القدس اثناء زيارة الوفود الافريقية لاسرائيل كما ان البعض الاخر قد وقع في العواصم الافريقية اثنـاء تواجد الوفود الاسرائيلية في افريقيا . ومن ابرز هذه الاتفاقيات الاتفاقية التي وقعت في القدس في يونيو ١٩٦٢ بين اسرائيل وجمهورية افريقيا الوسطى وقد جـاء في ديباجتها ان اسرائيل وجمهورية افريقيا الوسطى ترغبان في تنمية علاقات اوثق في مجال التعاون الاقتصادي والفني بين بلديهما ادراكا منهما بالفوائد التي تعود عليهما من جراء تحقيق ذلك واهمها تبادل المعرفة والنتائج التجريبية التي تتعلق بانشطة تساهم في تنمية الموارد الاقتصادية والامكانيات الانتاجية لبلديهما وقد نصت المادة الاولى من الاتفاقية على ميادين النشاط وتتلخص في :

١ – دراسة التنمية الزراعية والتعدين والتنمية الصناعية وتدريب القوى التي يحتاج اليها في مشاريع التنمية .

٢ – دراسة مشاكل الصحة العامة وتدريب العاملين في مجال الطب .

٣ – تطوير خدمات النقل الارضي والجوي وتدريب الاشخاص الضروريين لذلك .

كما نصت المادة الثانية من الاتفاقية على ان اسرائيل سوف تضع تحت تصرف حكومه افريقيا الوسطى عدد الخبراء اللازمين في ضوء احتياجات جمهورية افريقيا الوسطى (٣٢) .

٣١ – الموسى – المرجع السابق . ص ٢٨٥ .

٣٢ – الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٢/١٩٦٤ . نشرة النشاط الاسرائيلي في افريقيا – وزارة الارشاد القومي – القاهرة – ١٩٦٥ .

وقد عقدت اسرائيل عدة اتفاقيات اخرى للتعاون الفني مع الدول الافريقية ولا يخرج مضمونها عن الاتفاقية السابقة وابرزها الاتفاقية التي وقعت في اكرا في يونيو ١٩٦٣ وحددت المجالات التالية للتعاون وهي الزراعة والصناعة والصحة والاتصال والبناء والتعليم والتدريب المهني وتقدم البحوث وطرق التخطيط الاقتصادي والتعاونيات وتخطيط موارد المياه . وفي نوفمبر ١٩٦٤ ابرمت اتفاقية تعاون في الزراعة بين اسرائيل وغانا وقد تم خلال هذا العام (١٩٦٤) توقيع عدة اتفاقيات للتعاون الفني بين اسرائيل وكل من تشاد والسنغال وتوجو . وفي اغسطس ١٩٦٥ وقعت في القدس اتفاقية تعاون فني بين اسرائيل وسيراليون . وفي فبراير ١٩٦٦ وقعت في نيروبي اتفاقية تعاون فني وعلمي بين اسرائيل وكينيا . وقد نصت هذه الاتفاقية على تبادل المعلومات الفنية والعلمية والتنسيق والمعونة المتبادلة في البحث والعلوم التطبيقية وتخطيط وتنفيذ المشاريع الزراعية ومشروعات الانتفاع بالارض وتبادل الخبرة في ميادين استغلال الموارد الطبيعية . وقد ارسلت اسرائيل سبعة من الخبراء الزراعيين الى كينيا للعمل في تنفيذ بعض المشاريع الزراعية التي نصت عليها الاتفاقية (٣٣) وكذلك بالنسبة لغانا فقد كان لاسرائيل خبراء في المدرسة الفنية في كوماسي وفي فروع متعددة من الزراعة وعدد من الاطباء الاسرائيليين يعالجون الامراض المتوطنة في غانا . وقد عاد في مايو سنة ١٩٧٠ سبعة من الخبراء الزراعيين الغانيين الى بلادهم قادمين من اسرائيل بعد ان انهوا فترة تدريبهم [illegible] للاتفاقية المعقودة بين غانا واسرائيل في هذا الصدد . كذلك قام فريق من الخبراء الاسرائيليين بالاشراف على تدريب موظفي حكومة تانزانيا على شئون الادارة المالية والمستخدمين وذلك في اغسطس ١٩٦٤ — كما عين في سنة ١٩٦٤ مهندس اسرائيلي مستشارا خاصا في ديوان رئاسة حكومة ساحل العاج وكان يعمل منذ فترة طويلة خبيرا لبناء السدود في ساحل العاج (٣٤) .

العلاقات العسكرية بين اسرائيل والدول الافريقية

تتنوع الاساليب العسكرية التي تلجأ اليها اسرائيل من اجل استكمال دائرة نفوذها وسيطرتها غير المباشرة على المؤسسات السياسية في افريقيا . فقد امتد تغلغلها كي يشمل اقامة القواعد العسكرية ومراكز الاستخبارات بالاضافة الى دورها الهام في تدريب وتنظيم وتسليح الجيوش الافريقية سواء في اسرائيل او عن طريق خبراتها المرسلة الى دول القارة . وقد شملت بنشاطها في هذا الميدان حوالي ٢٢ دولة افريقية حتى سنة ١٩٧٠ ، كما يقدر عدد الضباط الاسرائيليين الذين يعملون في القارة بـ ٤٥٠ ضابطا وخبيرا عسكريا بجانب ١٠٠ امرأة من ضباط الجيش الاسرائيلي (٣٥) .

وقد قامت اسرائيل علاوة على تدريب الشباب الافريقي على غرار تنظيمي الناحال والجدناع ، كما سنرى ، بتدريب الضباط والجنود الافريقيين في مختلف

٣٣ — العويني — المرجع السابق — ص ٢٦٨ ، ٢٧٩ .

٣٤ — المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

٣٥ — Laufer, op. cit., pp. 171-173

الاسحة البريه والجوية والبحريه . كما اشرفت على انشاء كليات عسكرية سواء للجيش او للشرطة في بعض الدول الافريقية .

وقد كانت بدايتها في هذا المجال مع غانا حيث ساهمت اسرائيل في انشاء وادارة مدرسة الطيران منذ ١٩٦١ ثم مدرسة للشرطة ولا زالت تساهم في ادارة مدرسة بحرية في غانا . ثم اثيوبيا التي تغلغل فيها النفوذ العسكري الاسرائيلي على شكل مستشارين عسكريين وضباط يعملون في الكلية الحربية في اديس ابابا وكلية الشرطة . كما يتلقى عشرات من الضباط الاثيوبيين تدريباتهم سنويا في اسرائيل . كما اقامت اسرائيل مركزا للتجسس في اسمره وقد اكتشفت السودان عام ١٩٦٣ شبكة تجسس اسرائيلية درب افرادها في هذا المركز كذلك كشفت التحقيقات مع احدى شبكات التجسس في مصر عن ان الجواسيس كانوا يتلقون التعليمات مباشرة من مركز المخابرات الاسرائيلي في اسمره (٢٦) مما يوضح قوة الاستخبارات الاسرائيلية في اثيوبيا . وقد تولت اسرائيل تنظيم سلاح الطيران الاوغندي واقامة مدرسة للطيران في اوغندا وزودتها بالمستشارين العسكريين (٦٠ مستشارا) والاسلحة والطائرات اللازمة . وفي الكونغو ليوبولدفيل (زائير الآن) قامت اسرائيل بتدريب ٢٥٠ كونغوليا على المظلات سنة ١٩٦٣ وافتتحت مدرسة للمظليين في الكونغو تحت ادارة الضباط الاسرائيليين . وفي نوفمبر ١٩٦٥ اعلنت وزارة الدفاع في سيراليون ان اسرائيل وافقت على تزويدها بالخبراء العسكريين وضباط الجيش كي يقوموا بتدريب جيش سيراليون . وكانت بعثة عسكرية اسرائيلية قد زارت سيراليون سنة ١٩٦٤ للنظر في امكانية انشاء مدرسة عسكرية للتدريب في فريتاون عاصمة سيراليون (٢٧) .

وفي ساحل العاج اقامت اسرائيل مدرسة للتدريب العسكري ومدرسة لتنظيم الجيش النسائي . وقد امتد نشاطها العسكري سواء في تدريب الشرطة او الجيش الى ليبيريا وتشاد والنيجر وتوجو وفولتا العليا وداهومي والكاميرون ونيجيريا ومالي وكينيا وتانزانيا . كما عقدت دورات تدريبية مختلفة دعت اليها معظم الدول الافريقية مثل دورة لبحث اسباب الجريمة في الدول النامية التي نظمتها الجامعة العبرية سنة ١٩٦٢ والتي حضرها ٣٦ ضابط شرطة افريقيا .

وقد شاركت اسرائيل في اعياد استقلال الدول الافريقية بارسال فرق رمزية من الجيش تمثلها بجانب بيعها الاسلحة خاصة لاثيوبيا وتشاد ومالي واوغندا وكينيا وبيع الاسلحة للاستعمار البرتغالي للقضاء على حركات التحرير الافريقية في انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو . فضلا عن الدور الذي قامت به في تهريب الاسلحة الى المناطق التي تعاني من بعض المشاكل الاقليمية مثل تشجيعها لما حدث في بيافرا ودعمها للانفصاليين ضد الحكومة الاتحادية في نيجيريا (٢٨) .

---

٢٦ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٥ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - ص٥٨٨ .

٢٧ - اليوميات الفلسطينية ، المجلد الثاني - ص ٢١٢ - ١٩٦٥/١١/٩ .

٢٨ - الموسى - المرجع السابق ص ٢٢٥ .

١ ــ الزيارات العسكرية :

يبدو حرص اسرائيل الشديد على توثيق العلاقات الشخصية بين العسكريين الاسرائيليين والعسكريين الافريقيين نظرا لاهمية الدور الذي لا زالت تقوم به الجيوش في كثير من الدول الافريقية في سيطرتها على النظم القائمة وتغلغلها في الوظائف المدنية والبعثات الدبلوماسية الخارجية فضلا عن تأثيرها الحاسم على كثير من الاجهزة الاقتصادية في معظم دول القارة .

وهذه الزيارات تساعد على تحقيق الاهداف الرئيسية للسياسة الاسرائيلية في افريقيا لانها غالبا ما تقترن باستعراض اسرائيل لتجاربها في الجيش او البوليس او الجدناع والناحال مما يترتب عنه خلق جماعات من العسكريين الافريقيين الذين تبهرهم التجربة الاسرائيلية مما يساعد على تعميق ايمانهم بدور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية وبالتالي ايمانهم باسرائيل ومنجزاتها واهدافها .

ومن ابرز الزيارات العسكرية التي قام بها الافريقيون لاسرائيل زيارة وزير دفاع ليبيريا لتل ابيب في ٥ يونيو ١٩٦٢ . وزيارة رئيس هيئة اركان حرب الجيش السنغالي لاسرائيل في نفس العام . ثم زيارة رئيس اركان حرب جيش داهومي لاسرائيل في مايو ١٩٦٦ للاشتراك في الاحتفال بعيد قيام اسرائيل (٣٩) وفي مارس ١٩٧١ قام رئيس اركان جيش زائير بزيارة اسرائيل وقد صحبه في الزيارة مدير وزارة الدفاع ، وقابلا موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي وحاييم بارليف وكبار الضباط الاسرائيليين (٤٠) .

٢ ــ نشاط الاستخبارات (٤١) :

تشير عدة دلائل على ان اسرائيل تلعب دورا مباشرا في نشاط المخابرات في عديد من الدول الافريقية وابرز الامثلة على ذلك دورها في اثيوبيا فقد سمح لها بممارسة نشاط واسع في المجال العسكري والمخابرات وقد ادى فشل الانقلاب الذي قام به بعض الضباط الذين دربوا في الولايات المتحدة الى سحب المستشارين العسكريين الامريكيين من اثيوبيا وحل محلهم مستشارون اسرائيليون ومنذ ذلك الحين يمارس الاسرائيليون نشاطا واسعا في محاصرة القوى الوطنية التقدمية داخل اثيوبيا (٤٢) . والواقع ان هناك قسما خاصا بافريقيا في المخابرات الاسرائيلية وهو يقوم بجمع المعلومات عن الدول الافريقية والقوى السياسية والاجتماعية فيها كما يقوم باعداد تقارير دورية عن التطورات السياسية المتوقع حدوثها في الدول الافريقية . ويتعاون هذا القسم تعاونا وثيقا مع السفارات الغربية في الدول الافريقية حيث يتم تبادل التقارير بصفة منتظمة . ولا يقتصر الامر على ذلك ولكن يتعداه الى اقامة

---

٣٩ ــ اسرائيل وافريقيا ــ نشرة وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٨ ــ ص ٤٧ .

٤٠ ــ وكالة اسوشيتد برس ــ ٢٤ مارس ١٩٧١ .

٤١ ــ دراسة عسكرية بمركز الدراسات الصهيونية بالاهرام ــ ١٩٧٠ ، ص ٦ .

٤٢ ــ Middle East News Letter, Nov., Dec. 1972, pp. 7-11

مراكز اسرائيلية للتجسس على الدول العربية من الدول الافريقية المجاورة كما سبق ان اشرنا الى شبكة التجسس الاسرائيلية التي درب افرادها في مركز المخابرات الاسرائيلي باسمره والتي اكتشفتها حكومة السودان سنة ١٩٦٣ . كذلك هناك تجربة الرئيس كاوندا رئيس جمهورية زامبيا الذي وجه الشكر الى اسرائيل وخاصة جهاز المخابرات الذي استطاع احباط مؤامرة نسف جسر النحاس في زامبيا وذلك بابلاغ حكومة زامبيا مسبقا (٤٢) .

حالة للدراسة : غانا :

وقع في اكرا في ١٨ مارس ١٩٥٩ الاتفاق الغاني ــ الاسرائيلي الذي قامت اسرائيل بمقتضاه بتدريب سلاح الطيران الغاني . وكان من المقرر ان يتم التدريب في المدرسة الوطنية الغانية للطيران التي تقيمها اسرائيل . وفي خلال شهور قليلة تم ارسال ١٥ مدربا اسرائيليا الى غانا لبدء برنامج التدريب ثم تم ارسال عدد من ضباط البحرية الاسرائيلية لتزويد كلية الملاحة البحرية في غانا بالمدربين ولقيادة اليخت الخاص لنيكروما . وقد تم تزويد الجيش الغاني بازياء اسرائيلية . وفي العام ١٩٦٤/٦٣ اقيمت كتيبة للنساء على نمط التشين الاسرائيلي (وتشبه تلك التي اقامها المستشارون الاسرائيليون في داهومي وجابون) .

وكان ارتباط سلاح الطيران الغاني بسلاح الطيران الاسرائيلي قصيرا بعض الشيء . ولم يجدد الاتفاق الاصلي حين انتهت مدته في مارس ١٩٦١ ، ويعزى ذلك الى حد كبير الى الضغوط القوية الداخلية والخارجية التي اضطرت نكروما الى ابعاد سلاح الطيران الغاني عن النفوذ الاسرائيلي . حيث نلاحظ ان ذلك قد جاء في اعقاب اجتماع رؤساء دول ميثاق الدار البيضاء ، واعلان اسرائيل رأس جسر للاستعمار فضلا عن اشارة بعض الباحثين الى استياء بريطانيا نفسها في تلك الفترة من الوجود الاسرائيلي .

وقد تركز جوهر الصراع حول حقيقة ان سلاح الطيران الاسرائيلي كان مؤلفا الى حد كبير من طائرات فرنسية . واذا كان المطلوب ان تحقق غانا استفادة حقيقية من المدربين الاسرائيليين لكان من المنتظر منهم ان يدرسوا الطيارين على طائرات التدريب الفرنسية المألوفة لديهم . ولو اقتصر الامر على ذلك لما كان من العسير التغلب على المشكلة . لكن مما زاد المشكلة تدهورا ان سلاح الطيران الغاني كان سيزود بالنفاثات . وكذلك كان معنى استمرار الارتباط الاسرائيلي التحول الكامل لسلاح الطيران الغاني الناشىء الى نفاثات فرنسية ، الامر الذي يهدد بوضوح المصالح التجارية والسياسية الهامة لبريطانيا ، ان الضغط المشترك من جانب قائد سلاح الطيران الغاني (وهو ضابط بريطاني) الذي اراد تولي الاشراف على المدرسة ؛ ومن جانب الحكومة البريطانية التي شعرت بان موقفها في غانا قد تقوضه فرنسا (من خلال النفوذ الاسرائيلي) خلق موقفا اضطر معه نكروما ، الذي بدا انه لم يكن يدرك تعقيدات الموقف منذ البداية ؛ الى العمل على تجنب ازمة دبلوماسية . وهكذا وبعد

٤٢ ـ جيروزاليم بوست ، ١٩٦٦/١١/١٠ .

وقت قصير من انتهاء اول دفعة تدريب تخرج فيها عشرة طيارين ، تم شحنهم فورا للتدريب على النفاثات في بريطانيا ، تولى سلاح الطيران البريطاني مهمة توفير المدربين وتسهيلات التدريب لمدرسة الطيران (٤٤) .

حالة للدراسة : شرق افريقيا :

كانت العلاقات طيبة بين اسرائيل ودول شرق افريقيا وهي تنزانيا وكينيا واوغندا ولذلك لم يكن من المفاجآت الكبرى ان تتلقى عناصر سلاح الطيران الكيني التدريب في اسرائيل حتى قبل استقلال كينيا (٤٥) وقد اتخذ التعاون العسكري الاسرائيلي مع شرق افريقيا شكل تدريب الايدي البشرية الافريقية واقامة وحدات ناحال شبه عسكرية (٤٦) ، وفقا للاتفاقيات التي تم الدخول فيها في اوائل ١٩٦١ ، وكانت في الغالب اتفاقيات غير رسمية بل شفهية فقط ، .

ومن بين الوحدات التنزانية التي دربت في اسرائيل كانت هناك مجموعة من ١٢٠ من « قوات مظلات شرطة الحدود » ووحدات اخرى اجتازت تدريبات قوات المظلات. واتمت وحدة من الشرطة البحرية تضم ٢٤ شخصا تدريبها لمدة عام مع البحرية الاسرائيلية في يناير ١٩٦٥ (٤٧) ، وتم تخريج ٧٠٠ متطوع تنزاني بخدمة الشباب الوطنية في احتفال كبير في دار السلام في فبراير ١٩٦٥ عقب تدريبهم محليا على يد الضباط الاسرائيليين .

وقبل ذلك ، وفي ١٩٦٣ ، حصل ٦٠ من الخريجين الضباط من اوغندا وتنزانيا على شارة تخرجهم في اسرائيل بعد ان اجتازوا برنامجا متعجلا لمدة ١٩٣ يوما (٤٨) . وقد حضرت مجموعات صغيرة من شباب زنجبار حلقات دراسة عن « زعامات الشباب » في اسرائيل .

تجربة الجدناع والناحال في افريقيا :

حين نتحدث عن المساعدات الاسرائيلية في تشكيل وحدات الجدناع والناحال في افريقيا فانه يجب ان يكون من الواضح ان هذا شكل من اشكال المساعدة العسكرية ، لان معظم المدربين الاسرائيليين الذين تم ارسالهم الى افريقيا كانوا من ضباط الجدناع او الناحال ، كما تم فرض نموذج الناحال في حالات كثيرة على هياكل الجيوش الافريقية . وبالنسبة لحلقات الدرس حول « زعامة الشباب » في اسرائيل والتي تهدف الى تخريج قادة للجدناع من افريقيا واسيا ، فانها كانت تتم في معسكر حربي تحت اشراف ضباط اسرائيليين كما لو كان الهدف هو تأكيد الطبيعة العسكرية للتعاون من هذا النوع .

---

٤٤ — S. Decalo, op. cit., p. 265

٤٥ — افريكا ريبورت — واشنطن — يوليو ١٩٦٤ ، ص ٢٧ .

٤٦ — وقد سميت بأسم (خدمة الشباب الوطنية . وكانت تمولها الولايات المتحدة ، افريكا ريبورت — اغسطس ١٩٦٤ .

٤٧ — Decalo, op. cit., p. 268

٤٨ — كينيا جازيت — نيروبي — ٢٨ اكتوبر ١٩٦٤ .

وفيما يتعلق بالمساعدات التي كانت تقدمها اسرائيل لاقامة وحدات للرواد الشباب . الزراعيين في افريقيا كان المعتاد بوجه عام ان تقوم اسرائيل اولا بتدريب قادة في شكل مجموعة من المرشحين للمراكز الوسيطة في تسلسل القيادة الذي سيقام بعد ذلك وقد حدث ذلك في مناهج « زعامة الشباب » وهذه المناهج لا تتضمن تدريبا عسكريا . اما المرحلة الثانية فتتم بعد ان تعود هذه الكادرات المدربة الى بلادها . فهناك ينضم اليهم عدد من الضباط الاسرائيليين (يتراوح عددهم بين ٢ الى ٨ ــ ١٠ ضابط) ويشكلون معا هيئة تدريب الحركة المقامة حديثا . وبالطبع تاتي المرحلة الاخيرة حين يتم تدريب كادرات محلية كافية لجعل الوجود الاسرائيلي غير ضروري .

ومن الطبيعي ان يكون الخبراء الزراعيون من بين العاملين الاسرائيليين المرسلين الى افريقيا . ومن الواضح ان ذلك ينطبق عادة على الدول التي تقيم وحدات الناحال . رغم انه في بعض الحالات كانت حركة الجدناع في افريقيا تمنح طابعا زراعيا مميزا . وحين يجري التدريب العسكري في وقت واحد مع برنامج تدريب الناحال فانه في العادة ــ وان كان الامر ليس دائما ــ ان تتولى المهمة الدولة الاستعمارية السابقة . وهذا ينطبق بوجه خاص على افريقيا الناطقة بالفرنسية التي لها برامج تعاون عسكري واسعة مع فرنسا .

وقبل تحليل بعض الحركات التي اقيمت في افريقيا قد يكون من المفيد ان نتامل الجدول رقم (١) لاظهار الاختلافات بين نظامي الجدناع والناحال في اسرائيل وتلك التي اخذت بها افريقيا . وبما ان هذه النظم وكما تبنتها مختلف الدول الافريقية تختلف اختلافا عريضا في الوظيفة والتنظيم (وكل منها الى حد ما ــ يمثل انعكاسا للاحتياجات المحددة او الميول الخاصة بكل نظام سياسي . فان بعض الخصائص الواردة في الجدول (١) تختلف من بلد الى آخر . اما الجدول الآخر وهو الجدول رقم (٢) فهو سرد تجريبي لنوع البرامج التي تشرف عليها اسرائيل في مختلف دول افريقيا .

جدول رقم (١)

المقارنة بين تشكيلات الجدناع (ج) والناحال (ن) في اسرائيل وفي افريقيا

الخاصية	اسرائيل	افريقيا
الاعتبار الاساسي وراء الهدف من الانشاء	ج ــ اساسا الامن ، وثانويا الوحدة الوطنية ن ــ اساسا الامن	ج ، ن ــ تنمية الوعي المدني تعبئة الشباب والتنمية الزراعية .
الهيكل	ج ــ مرتبطة بالنظام التعليمي ن ــ جزء لا يتجزأ من قوات الدفاع	ج ، ن ــ متنوع لكنه في حالات كثيرة يستهدف بوجه خاص تاركي المدارس والمتعطلين .

الخاصية	اسرائيل	افريقيا
٥		ان الجدناع ليست دائمــا مرتبطــة بنظام الدفاع .
التدريب العسكري	ج ـ يوجد بعضه ن ـ نعم	ج ـ لا يوجد ن ـ لا يوجد مع عدة استثناءات
الاشتراك	ج ـ الى حد كبير ، اجباري لطلبة المدارس العليا ن ـ للمتطوعين من بين هؤلاء المجندين في الخدمة الوطنية.	ج، ن ـ بالغ التنوع لكنه في حالات كثيرة اجباري لمختلف قطاعات السكان .
الانشطة	ج ـ انشطة حركة الشباب علاوة على بعض التدريب العسكري. ن ـ الزيادة الزراعيــة واستيطان الحدود	ج ـ تختلف ما بين انشطة حركة الشباب والعمل الانشائي والزراعي الفعلي. ن ـ اساسا الزيادة الزراعية واستيطان الارض .

جدول رقم (٢)

التعاون العسكري الافرو اسرائيلي . تدريب العسكريين وتشكيل كادرات الارتياد الزراعـي وحركات الشباب ١٩٥٨/١٩٦٥

افريقيا الفرنسية	الجدناع	الناحال	الجيش	افريقيا البريطانية	الجدناع	الناحال	الجيش
الكاميرون		×		اثيوبيا	×		×
ج. افريقيا الوسطى		×		غانا	×	×	×
الكونغو برازافيل		×		جامبيا		×	
زائير		×	×	كينيا		×	×
داهومي	×	×	×	ليبيريا	×		
ساحل العاج	×	×	×	مالاوي	×		
ملاجاشي		×		نيجيريا		×	×
النيجر	×			تنجانيقا	×	×	×
السنغال		×		اوغندا	×	×	×
توجو		×		زنجبار	×		
فولتا العليا	×	×	×				

المصدر : S. Decalo op. cit., p. 300

وكما يتضح على الفور من الجدول رقم (٢) فان افريقيــا الفرنسية اختــارت بالاجماع تقريبا نظام الناحال كما اختارت دول قليلة الجدناع ايضا. اما الموقف فيختلف بالنسبة لافريقيا البريطانية التي فضلت نظام الجدناع وأن كانت قد اخذت في حالات اقل بهيكل الناحال ايضا .

ومن المناسب الآن ان نحط بتفصيل اكثر عمل النظامين في الاطار الافريقي .

ليبيريا : الجدناع :

من المفارقات ان مفهوم الجدناع الذي تم تقليده في ليبيريا يتشابه الى حد بعيد مع النمط الاسرائيلي مع بعض تعديلات قليلة فقط . وذلك رغم ان ليبيريا ترددت في ادخال هذا النظام على اساس منتظم قائم على التخطيط حتى عام ٦١ ، ١٩٦٢ وكانت هناك عدة دول قد اقامت مثل هذه الوحدات في ذلك الحين . ولكن الكادرات والزوار والدبلوماسيين الليبيريين العائدين الى بلادهم جعلوا مفهوم الجدناع مالوفا في ليبيريا . ولم يتخذ الرئيس توبمان قرارا بادخال نظام الجدناع للبلاد الا عقب زيارته لاسرائيل (١٩٦١) والتي تأثر خلالها بعمل هذا النظام (٤٩) .

وفي ديسمبر ١٩٦٠ سافر عشرة من شباب ليبيريا الى اسرائيل في رحلة دراسة طويلة كجزء من برنامج تجريبي يستهدف ادخال حركة شبيبة وطنية الى المسرح الليبيري . وقد عادت الكادرات الليبيرية الى بلادها في النصف الثاني من سنة ١٩٦١ وعملت بمساعدة عدد من الضباط الاسرائيليين على وضع خطة لحركة الشباب على نطاق الامة وهي الخطة التي اعلنت مسودتها لاول مرة في الصحف الليبيرية في ١٦ فبراير ١٩٦٢ (٥٠) فاصبحت الحركة تعرف باسم « منظمة الشباب الوطني الليبيري » . وكان الهدف الرسمي المعلن للحركة هو « تعليم الشباب بان يكونوا مستعدين معنويا وماديا لتلبية نداء بلادهم وفقا لاحتياجاتها المالية المقبلة » .

ومرت ستة شهور اخرى قبل اعلان تفاصيل هيكل التنظيم . ووفقا للمسودة النهائية للهيكل فقد اقيمت المنظمة في اطار الشبكة التعليمية المسئولة امام وزارتي التعليم العام والدفاع الوطني (كما هو الحال في اسرائيل) . وكانت وظيفتها المحددة هذه المرة هي اصلاح الاهمال (من جانب الحكومة) تجاه شباب الامة (والتأكيد على) احضار الشباب الى ليبيريا من مختلف البلدان والاقاليم لدعم الوحدة الوطنية (٥١) . وكانت المنظمة تضم الصبيان والفتيات في سن ١٤ ـ ٢٠ سنة ، مع اختلاف انظمتها بعض الشيء بالنسبة للمجموعتين : مجموعة ١٤ ـ ١٧ سنة : (ا) ومجموعة ١٧ـ٢٠ سنة : (ب) وكانت المجموعتان تجتمعان مرة او مرتين في الاسبوع لمدة ساعة او ساعتين (على اساس تطوعي محض ، وكانت انشطة المجموعتين ا ، ب تتركز حول اقامة المعسكرات والقيام برحلات سيرا على الاقدام ، وتعلم الاسعافات الاولية وممارسة الالعاب في الهواء الطلق واعداد برامج ، «اعرف عدوك» و «اعرف شعبك». وتم ادخال موضوعات شبه عسكرية للمجموعة ب . وخصصت المجموعتان قدرا معينا من الوقت للحياة في معسكرات خاصة للشباب (المجموعة ا من اسبوع الى اثنين) او في مناطق التنمية (المجموعة ب من اسبوعين الى اربعة اسابيع) . وقد شغلت

---

٤٩ ـ Decalo, op. cit., p. 269

٥٠ ـ Ibid, p. 270

٥١ ـ Ibid, p. 271

المجموعة ب نفسها بانشطة الانشاء مثل بناء الطرق او استصلاح الارض والزراعة والعمل اليدوي المماثل .

وبعد ثلاثة شهور من اعلان المشروع النهائي لمنظمة الشباب ، بدأ ٥٩ ليبيريا (منهم ١٢ فتاة) تدريبهم على يد سبعة مدرسين منهم اثنان من الاسرائيليين . وكان من المقرر ان يصبح هؤلاء نواة للمدربين المخلصين المطلوبين لتنفيذ المشروع تماما . وفي العام ١٩٦٤ بدات المنظمة تعمل على اساس منتظم .

ساحل العاج : الناحال :

ربما كانت ساحل العاج هي التي قلدت نظام الناحال في صدق مماثل . ان التعاون بين اسرائيل وساحل العاج والذي كان مثمرا في مجالات اخرى كثيرة . قد دعم ايضا في هذا المجال حين طلب الرئيس هوفيت بوانييه مساعدة الضباط الاسرائيليين في اقامة جيش ساحل العاج وفقا لخطوط الناحال .

وقد تم التوصل في عام ١٩٦١ الى اتفاق لادخال نظام الناحال في جيش ساحل العاج بين المسئولين الاسرائيليين وجان باني وزير دفاع ساحل العاج . ورغم ان شباب ساحل العاج كانوا يصلون الى اسرائيل منذ بعض الوقت . الا ان المجموعة الاولى التي ارسلت (وعددها ١٤) لغرض محدد هو دراسة نظام عمل الناحال واساليب استيطان الارض في المناطق الجرداء وصلت الى اسرائيل في منتصف عام ١٩٦١ (٥٢) ووفقا للاتفاق فان هذه المجموعة كانت ستعود الى ساحل العاج مع عدد من المدربين الاسرائيليين لاقامة مزارع رائدة في مناطق معينة يمكن منها ان تنتشر التجربة الى بقية انحاء الريف . كما نص الاتفاق على ان تساعد اسرائيل في اقامة نظام للجدناع بساحل العاج وان تقوم بتدريب عناصر من سلاح طيران ساحل العاج (٥٣) .

وفي اكتوبر ١٩٦١ وصل الى ابيدجان جنرال اميت من قوات الدفاع الاسرائيلي في زيارة قصيرة للدراسة وكان يرافقه الملحق العسكري الاسرائيلي بباريس . وتلت ذلك زيارات اخرى كثيرة الى ساحل العاج من جانب المستشارين الزراعيين والعسكريين الاسرائيليين بغرض تحديد الاحتياجات الدقيقة للبلاد . ومع منتصف ١٩٦٢ كان قد اكتمل العمل الاساسي وبدأ التدريب .

وقد بدأت المجموعة الاولى التي تضم ١٢٨ من الجنود وصف الضباط التدريب في معسكر داخل احراش ساحل العاج . وكانت الخطة ان يصبح هؤلاء هم قادة المستوطنات التعاونية . وكان الهدف الرئيسي للمشروع هو توفير التدريب العسكري والزراعي للجنود مع غرس الاحساس بالوطنية والاخلاص للارض فيهم وكانت الموضوعات العسكرية تدرس على يد ثلاثة ضباط افريقيين في حين قام سبعة من الضباط الاسرائيليين بادارة مناهج التدريب الزراعي والوعي المدني .

---

٥٢ – Ibid, p. 273

٥٣ – ابيدجان ماتان – ٣ اكتوبر ١٩٦١ .

ولتكملة الاحتياجات البشرية لنظام الناحال بساحل العاج فقد وافقت الجمعية الوطنية في جلستها في ١٧ يناير ١٩٦٣ على قانون يمكن بموجبه استدعاء المواطنين من كلا الجنسين وفوق سن الثامنة عشر للخدمة في الجيش او للعمل لفترة من الوقت في خدمة الدولة (٥٤) وقد نصت الاتفاقيات الجديدة مع اسرائيل على تدريب نساء ساحل العاج مستقبلا ، الامر الذي ضاعف من التناسق بين نظام الناحال الاسرائيلي الاصلي ونظام الناحال في ساحل العاج .

جمهورية افريقيا الوسطى : مشاكل الناحال :

ربما كانت افضل وسيلة لتوضيح بعض المشاكل التي واجهتها تجربة الناحال والجدناع في افريقيا هي عرض حالة محددة للدراسة . وقد اختيرت في هذا الصدد جمهورية افريقيا الوسطى .

كان الرئيس ديفيد داكو من بين الزعماء الافريقيين الذين تاثروا كثيرا بالتجربة الاسرائيلية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية . وقد نشأت بسرعة علاقات بالغة المتانة والحرارة بين البلدين ، وكجزء من التعاون المتبادل الناجم عن ذلك تقرر اقامة حركة على نمط الناحال في جمهورية افريقيا الوسطى . وتم ارسال نواة الكادرات لحضور حلقات « زعامات الشباب » في اسرائيل ولدراسة عمل الناحال هناك . وزار الخبراء الاسرائيليون جمهورية افريقيا الوسطى لتقييم احتياجاتها وامكانياتها بدقة (٥٥) .

وقد تم تدريب دفعة اخرى بمجرد ان اقيمت منظمة رواد الشباب الوطنية (كما تسمى الحركات القامة على نمط الناحال في افريقيا الناطقة بالفرنسية) التي بدات تقيم المعسكرات والمراكز في جميع انحاء البلاد . وقد تعرض برنامج تدريب الشباب الموجة من الانتقادات .

ففي ميزانية جمهورية افريقيا الوسطى للعام ١٩٦٣ ، هاجم اعضاء الجمعية الوطنية بشدة تخصيص مبلغ ٨٥٫٢٠٠٫٠٠٠ فرنك قديم للجنة العليا للرواد الشباب (التي يراسها كولونيل اسرائيلي) . وتتضمن الفقرة التالية من « النشرة الرسمية لافريقيا الوسطى » خلاصة الاعتراضات : (٥٦)

« يلاحظ ان الاعتمادات التي خصصت لهذه اللجنة العليا تفوق ما خصص لعدد من الوزارات . كما انها تفوق بصفة خاصة ميزانية رئاسة الجمهورية ووزارة المالية ووزارة الاقتصاد الوطني ووزارة العمل . ويعترف النواب بالحاجة الى انشاء منظمة الشباب الرائد الا ان هذه المنظمة تحتاج لكي تحقق اهدافها ان تخصص لها اعتمادات كبيرة ولعدة سنوات طويلة . ويرون من ناحية اخرى ان هذا العبء لا يتفق وميزانية جمهورية افريقيا الوسطى كما ان الاعتمادات المالية تشكل عبئا باهظا على الميزانية

---

٥٤ — Decalo, op. cit., p. 275

٥٥ — Ibid, p. 276

٥٦ — ارشيف منظمه التضامن الاسيوي الافريقي — ملف افريقيا الوسطى — القاهرة — ٦٦٤

الفعلية لجمهورية افريقيا الوسطى . وقد تعرقل تنفيذ بعض الخدمات الضرورية في البلاد .. وقد اعرب النواب من جديد عن املهم في ان تتحمل دولة اسرائيل جزءا من النفقات الكبيرة لمنظمة الشباب الرائد في اطار المساعدة الفنية ، خاصة وان موجهي ودعاه هذه المنظمة من الاسرائيليين .

وبالرغم من انه في حالة جمهورية افريقيا الوسطى تم التوصل الى حل وسط عقب اعادة التفاوض ول الاتفاقات بين اسرائيل وبينها ، فقبلت اسرائيل من حيث المبدا الاحتفاظ بمستشارين الناحال باعتباره مسئوليتها الا ان هذه الحالة موضع الدراسة توضح ما يمكن ان تولده البرامج التي لا تتلائم اساسا مع الواقع الافريقي الذي يزخر بالمشاكل والتناقضات الاجتماعية الحادة فقد اتضح مثلا ان برامج الناحال والجدناع مكلفة للغاية ولا يمكن ان تتحمل تكاليفها الميزانيات الافريقية المتواضعة الامر الذي يخلق اختلالا في هذه الميزانيات قد يؤدي الى ابطاء او عرقلة برامج التنمية للبلاد .

النشاط الاسرائيلي في الميادين الثقافية والاجتماعية والنقابية

لم يقتصر اهتمام اسرائيل على توطيد علاقاتها السياسية مع الدول الافريقية وتدعيم مصالحها الاقتصادية في القارة فحسب بل ركزت ايضا على المجالات التي تتيح لها التغلغل والتاثير في السواد الاعظم من الشعوب الافريقية سواء كان ذلك في المجال العسكري او الاعلامي كما فعلت ذلك في المجالات الاجتماعية المختلفة فارسلت الاطباء والممرضين واقامت مصانع للادوية كما ارسلت المدرسين والباحثين . كذلك حرصت على تدعيم العلاقات الثقافية بينها وبين المؤسسات النقابية بافريقيا وقد ساعد ارتباط الهستدروت بالاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة على ارتباطه بعدد من الزعامات النقابية الافريقية مما يسر تبادل الزيارات وعرض التجربة النقابية الاسرائيلية على القادة الافريقيين كما حاولت اسرائيل الاتصال بالمؤسسات الدينية الاسلامية في افريقيا وعلى سبيل المثال قام الزعيمان الدينيان المسلمان عبد الكريم غزالة والفاهم عبد القادر من سيراليون بزيارة اسرائيل سنة ١٩٦٢ وقابلا وزير الاديان الاسرائيلي وتباحثا معه في ارسال طلبة من سيراليون لدراسة اللغة العربية في اسرائيل (٥٧) .

ففي مجال الطب والصحة درست اسرائيل احتياجات الدول الافريقية في هذا الميدان وقامت بارسال الاطباء والمرضات والمتخصصين واستقبال عشرات الدارسين الافريقيين في ميدان الطب والتمريض والصحة العامة . كما قامت بابحاث ميدانية على بعض الامراض المتوطنة في افريقيا . وقد نفذت اسرائيل برامجها في هذا الميدان حتى سنة ١٩٦٩ في حوالي ١٥ دولة افريقية (٥٨) . وقد كانت ليبيريا اول الدول الافريقية التي استفادت بخدمات اسرائيل في هذا المجال حيث افتتحت اسرائيل عيادة لعلاج مرضى العيون في منروفيا وعولج فيها خلال عامين ما لا يقل عن ٢-١ الف

---

٥٧ – سامي حكيم ، اسرائيل والدول النامية . القاهرة ١٩٦٦ – ص ٥٠ .

٥٨ – Laufer, op. cit., p. 80

مريض كما اجريت بها حوالي ١٠ الاف جراحة لمرضى من ليبيريا والدول الافريقية المجاورة لها . كذلك استقبلت عددا من الممرضات الليبيريات للتدريب في مستشفى هداسا بالقدس . وافتتحت عيادة اخرى لعلاج الامراض التعدينية . وفي اثيوبيا ارسلت اسرائيل الاطباء والممرضات للعمل في مستشفيات اديس ابابا ومصوع وهرر وتتولى الخبرات الاسرائيلية ادارة هذه المستشفيات . كما افتتحت اسرائيل مركزا لتدريب فاقدي البصر في اديس ابابا وتتولى ادارته حتى الآن (٥٩) . وفي زامبيا وانجولا تدرب عدد كبير من المرضين والممرضات في اسرائيل بجانب ارسال الاطباء واقامة وحدة علاجية في لوزاكا سنة ١٩٦٤ .

وفي الكونغو (زائير) ارسلت اسرائيل عقب اعلان الاستقلال سنة ١٩٦٠ بعثة مكونة من ١٣ طبيبا على اثر النداء الذي وجهته منظمة WHO وقد قاموا على الفور بتنظيم ثلاث عيادات طبية خلال شهر واحد كما قدموا دورات تدريبية في الصحة العامة والتمريض . وقد امتد نشاط اسرائيل في هذا الميدان حتى شمل معظم الدول الافريقية بل والمستعمرات ايضا حيث ارسلت اسرائيل اطباءها سواء مباشرة بناء على طلب الدول الافريقية او ضمن برنامجها الفني او عن طريق وكالات الامم المتحدة كذلك قام اطباؤها بتدريب الافريقيين سواء في العيادات والمستشفيات التي افتتحتها وتتولى ادارتها في الدول الافريقية او في كلية هداسا الطبية التي نظمت دورات دراسية للافريقيين وقد بلغ عدد الطلبة الافريقيين في هذه الكلية سنة ١٩٦٨ ٨٦ طالبا ينتمون لـ ٢٠ دولة افريقية . بجانب تنظيم دورات على التمريض تتراوح مدتها بين تسعة اشهر وثلاث سنوات ، وقد اشترك فيها حوالي ٥٠٠ افريقي من١٩٦٢ ـ ١٩٦٨ كذلك قامت بتنظيم عدة مؤتمرات لبحث مشاكل الطفولة ودراسة الامراض المنتشرة في الدول النامية ودعت اليها العديد من الدول الافريقية (٦٠) .

وفي المجال الثقافي والتعليمي : ورغم ان هذا المجال لم يحظ بالاهتمام الكبير الذي اولته اسرائيل للميادين الاخرى ولكن يلاحظ ان اسرائيل كانت تدقق في اختيار خبرائها في هذا الميدان كما ان مساهمتها كانت تؤتى ثمارها تماما . فمثلا في مجال التعليم الجامعي ارسلت اسرائيل عدة اساتذة متخصصين للتدريس في الجامعات الافريقية انتهى بهم الامر الى ان اصبحوا عمداء ومديري جامعات اغلب الدول الافريقية التي اوفدوا اليها . هناك في جامعة هيلاسلاسي باثيوبيا احتل الاساتذة الاسرائيليون عمادة كليات العلوم والهندسة والآداب ، ومعهد فاقدي البصر . كذلك في غانا تولى عمادة كلية الهندسة في جامعة غانا استاذ اسرائيلي ، ونيجيريا استعانت بالاساتذة الاسرائيليين للتدريس في جامعاتها كما يرأس استاذ جامعي اسرائيلي كلية العلوم الطبيعية في جامعة منروفيا . وفي كينيا انشأت اسرائيل مدرسة للخدمة الاجتماعية افتتحت سنة ١٩٦٢ لتدريب النساء على الخدمات الاجتماعية وتطوير الريف وقد تولت خبيرات اسرائيليات ادارة المدرسة والتدريس بها . كما قامت اسرائيل بتزويد

٥٩ ـ Ibid, pp. 127-138

٦٠ ـ Tettegah, op. cit., pp. 25-26

١٢ دولة افريقية باحتياجاتهم مــن مدرسي المرحلة الثانوية ويبلغ عـــدد المدرسين الاسرائيليين الذين يعملون في المدارس الثانوية الافريقية حوالي ٦٨ مدرسا (٦١) .

وقد عقدت اسرائيل عدة اتفاقيات ثقافيه مع الدول الافريقية لتبادل الخبـرات والتعاون العلمي والثقافي . وفي الفترة من ١٩٦١ ـ ١٩٦٨ ابرمت اسرائيل حوالي ٦٠ اتفاقية مع الدول الافريقية خاصة ليبيريا التي ابرمت معها اسرائيل اتفاقية ثقافية وقعت في القدس في يو ـ ١٩٦٢ ونصت على تعهد الطرفين بتشجيع وتسهيل التبادل الثقافي بين البلدين وتسهيل التبادل في مجالات الثقافة والعلوم والاداب وتبـادل الباحثين والعلماء والمخطوطات والكتب المترجمة والدوريات والاعـلام والتسجيلات والطلبة وتنمية السياحة بينهما (٦٢) . وقد ابرمت اسرائيل اتفاقيات مماثلة مع كل من نيجيريا وملاجاشي وسيراليون وتوجو والكاميرون واثيوبيا وكينيـا وزامبيـا وغانـا والسنغال وداهومي والنيجر وروديسيا وفولتا العليا وغينيا وساحل العاج وتنزانيا. وقد حرصت اسرائيل على تقديم المنح الدراسية للـدول الافريقية بمناسبة اعـلان استقلالهم . فمثلا عندما اعلن استقلال الكاميرون قدمت اسرائيل للكاميرون عددا من المنح الدراسية . كما قدمت ٥٠ منحة دراسية لطلاب زامبيا بمناسبة استقلالها (٦٣) وقد امتد نشاط اسرائيل في هذا الميدان حتى وصل الى انشاء مدارس اسرائيلية في الدول الافريقية يديرها اساتذة اسرائيليون لتدريب ابناء الجاليات الاسرائيلية والخبراء ورجال السلك الدبلوماسي وبعض ابناء الافريقيين .وابرز مثل المدرسة الاسرائيلية في ابيدجان (ساحل العاج) والاخرى في منروفيا (ليبيريا) . وحرصا علـى تدعيـم علاقاتها الفكرية والاجتماعية بالشعوب الافريقية تقوم اسرائيل بترجمة الاعمال الادبية والسياسية لكبار الكتاب والمفكرين الافريقيين مثـل الترجمة التـي قدمتها لاشعار الرئيس السنغالي سنجور والشاعر الغاني داي انانج وكتابات الرئيس كاوندا (زامبيا) وجومو كينياتا (كينيا) (٦٤) .

اما في المجال الإعلامي والدعائي فقد نظمت اسرائيل دورات تدريبية للافريقيين للتدريب على الاذاعة والتليفزيون كما اقامت محطة اذاعة وتليفزيون بساحل العاج . كذلك سجلت مئات البرامج الاذاعية للاذاعات الافريقية التـي لا تصلهـا البرامـج الاسرائيلية الموجهة التي تبثها باللغات الافريقية . وقد بدات اسرائيل اولى برامجها الموجهة الى الدول الافريقية في ديسمبر ١٩٥٩ عندما بدات في اذاعة برنامج موجه لاثيوبيا باللغة الامهرية ثم افتتحت جولدا مائير سنة ١٩٦٠ محطة اذاعة سواحيلي (٦٥) وتخصص الاذاعة الاسرائيلية نشرة للانباء بالعبرية توجه لليهود خارج اسرائيل ومنهم يهود افريقيا . كما توجه محطة خاصة موجهة لهم تسمى (صوت صهيون الى يهود المنفى) . وتوالي اسرائيل تزويد الاذاعات الافريقية باحتياجاتها مـن المواد الدعائية

٦١ ـ **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧** .
٦٢ ـ نشرة **النشاط الاسرائيلي في افريقيا** ـ مصلحة الاستعلامات ـ القاهرة ـ اكتوبر ١٩٦٦
٦٣ ـ **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٦** .
٦٤ ـ د. عبد الملك عوده ـ **النشاط الاسرائيلي في افريقيا ـ المرجع السابق** ، ص ٦٢ .
٦٥ ـ د. سامي منصور ـ **المرجع السابق** ، ص ١٥ .

والموسيقى والبرامج العلمية وقد اشتركت اسرائيل في مؤتمر اتحاد الاذاعات الافريقية الذي عقد في لاجوس في سبتمبر سنة ١٩٦٤ (٦٦) .

وتقوم السفارات الاسرائيلية في افريقيا بتوزيع نشرات دعائية دورية تبرز الانجازات الاسرائيلية في ميادين الاقتصاد والفن والثقافة والسياسة . وتتميز هذه النشرات بالاسلوب العصري في اخراجها الصحفي وعرض مادتها الدعائية كذلك تقوم هذه السفارات بتوطيد علاقاتها مع اهم المؤسسات الصحفية ودور النشر في الدول الافريقية وتعمل على تجنيد بعض الصحفيين الافريقيين للكتابة عنها وينطبق هذا القول على عدد من الصحف الافريقية وخاصة في كينيا ونيجيريا والسنغال وساحل العاج وليبيريا وزامبيا حيث تتولى هذه الصحف الدفاع عن المصالح الاسرائيلية وتعمل على ابراز ايجابيات الدولة الاسرائيلية كما تتميز بانحيازها الكامل لوجهة النظر الاسرائيلية فيما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي (٦٧) . ولا تقتصر اسرائيل على ذلك بل تقوم باعداد نشرات اخبار سينمائية توزع على الدول الافريقية كما تخرج افلاما تسجيلية لعرضها في دور السينما ومحطات التليفزيون الافريقية كذلك تقوم اسرائيل بتنظيم المعارض الاعلامية المتنقلة، مثل المعرض الذي اقامته سنة ١٩٦٢ ، والذي زار غانا ونيجيريا وساحل العاج وليبيريا وسيراليون والسنغال . كما اقامت اسرائيل معرضا لمنتجاتها في اديس ابابا وقد قام الامبراطور هيلاسلاسي بافتتاحه في فبراير ١٩٦٨ واشتركت فيه حوالي مائة شركة صناعية اسرائيلية حيث عرضت آلات زراعية وادوات منزلية وصور عن اسرائيل وتطورها (٦٨) كذلك اشتركت اسرائيل في معرض نيروبي الدولي الذي اقيم في اكتوبر ١٩٦٩ وقد اشادت الصحف الكينية بالمعروضات الاسرائيلية مما يوضح طابع التحيز والاشادة بكل ما هو اسرائيلي لدى الصحافة في كينيا .

كذلك تقوم القنصليات والسفارات الاسرائيلية في افريقيا بنشر الدعاية السياحية لاسرائيل وتقديم تسهيلات وتخفيضات للسياح الافريقيين الذين يسافرون على بواخر شركة الملاحة الاسرائيلية او شركة العال للطيران الاسرائيلي . وتقوم القنصلية الاسرائيلية في جنوب افريقيا بدور بارز في هذا الميدان ولذلك يلاحظ ان معظم السياح الافريقيين * الذين يزورون اسرائيل هم من جنوب افريقيا اذ بلغ عددهم وحدهم سنة ١٩٦٦ حوالي ستة الاف سائح بينما لم يزد عدد السياح الافريقيين الاخرين عن ثلاثة الاف سائح (٦٩) .

وبالاضافة الى ما سبق تعتمد اسرائيل الى حد كبير على الخدمات التي تقدمها

---

٦٦ ـ رياض القنطار ـ **التغلغل الاسرائيلي في افريقيا وطرق مجابهته** ـ مركز الابحاث ـ م.ت.ف. بيروت ١٩٦٨ ، ص ٦٥ .

٦٧ ـ **تقارير** مكاتب الاعلام التابعة للجامعة العربية في نيروبي ولاجوس وداكار ـ ١٩٦٦ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٢ . ادارة الاعلام ـ الجامعة العربية ـ القاهرة .

٦٨ ـ د. منذر عنتبي ـ **المرجع السابق** ص ١٥١ ـ الاهرام ١٩٦٩/١٠/٥ .

* ـ معظم السياح الافريقيين الذين يزورون اسرائيل هم من جنوب افريقيا ويتكون هؤلاء من الافريكانز والجاليات الاسيوية وبعض الافريقيين السود الموالين للنظام العنصري في جنوب افريقيا .

٦٩ ـ الياس سعد ـ **اسرائيل والسياحة** ـ مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ـ بيروت ١٩٦٨ ـ ص ٣٤ .

لها الجاليات اليهودية في افريقيا وذلك عن طريق الاتصال بين سفاراتها في افريقيا وهذه الجاليات التي تزودها بالمعلومات عن الدول الافريقية والاوضاع الداخلية فيها كما تساعدها على الاتصال بالقوى المؤثرة في المجتمعات الافريقية وقد سبق ان اشرنا الى عدد هذه الجاليات واهميتها وعلى الاخص الجالية اليهودية في جنوب افريقيا التي تتمتع بنفوذ كبير وبفضلها استطاعت اسرائيل ان تحصل على معونات دورية بلغت ٣٠ مليون دولار بعد حرب يونيو بالاضافة الى موافقة حكومة جنوب افريقيا على السماح للاتحاد الصهيوني بارسال مليونجنيه استرليني فيسبتمبر سنة ١٩٦٧ الى اسرائيل لمساعدتها بعد حرب حزيران . وفي يناير ١٩٦٨ انشئت جمعيةالصداقة الاسرائيلية الافريقية بين اسرائيل وجنوب افريقيا . كما تشترك اسرائيل في بعض الشركات في جنوب افريقيا وابرزها شركة الاستثمارات الافرواسرائيلية التي كونها مجموعة من رجال الاعمال اليهود في جنوب افريقيا سنة ١٩٣٤ واصبحت اكبر شركات اسرائيل المساهمة التي تعمل في مجالات البناء والسياحة والتأمين والصناعة هذا عدا مساهمة اسرائيل في شركة دي بيرز المتخصصة في انتاج الماس وقد تم افتتاح خط جوي مباشر بين اسرائيل وجنوب افريقيا في ديسمبر ١٩٧٠ . كذلك وقعت اسرائيل اتفاقا مع هيئة التنمية الصناعية في جنوب افريقيا اغسطس ١٩٧٠ ينص على حصول اسرائيل على قرض قيمته ١٥ مليون دولار . ولا شك ان كل ذلك قد تم بفضل الجهود التي تبذلها الجالية اليهودية والمؤسسات الصهيونية في جنوب افريقيا (٧٠) .

اما في الميدان النقابي فقد اهتم الهستدروت بالنقابات العمالية الافريقية خاصة وان معظم قادة الدول الافريقية كانوا زعماء نقابيين بارزين وكما سبق ان اوضحنا الدور الذي قام به الهستدروت في التمهيد للتغلغل الاسرائيلي في دول القارة مستندا الى ارتباطاته الدولية وخاصة الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة او المؤسسات النقابية في الغرب مما اتاح له القيام بدور فعال في المؤتمرات الاشتراكية في دول الغرب وبالتالي يسر له مهمة التغلغل داخل النقابات الافريقية واستقطاب قادتها والمساهمة في تنظيم الاتحادات العمالية في بعض الدول الافريقية على غرار تنظيم الهستدروت مثل اتحاد عمال كينيا واتحاد عمال غانا واثيوبيا وتانزانيا . كذلك استقبل الهستدروت مئات الافريقيين حيث تلقوا تدريبهم في المعهد الافرواسيوي في تل ابيب وقد درس في هذا المعهد حوالي ٩ الاف مندوب منهم ٧٥٪ افريقيين ينتمون لـ ٢٧ دولة افريقية وذلك من ١٩٥٨ — ١٩٧٠ وقد جاء في الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ان اسرائيل قد استقبلت الف دارس نصفهم من افريقيا . وتشير الاحصاءات الاسرائيلية (٧١) الى ان عدد الافريقيين الذين تدربوا في اسرائيل منذ ١٩٥٨ بلغ ٤٣٥٨ كما صرح ابا ايبان في مارس ١٩٧٠ (ان هناك ١٣٠٠ دارس من ابناء العالم الثالث يستكملون دراساتهم في اسرائيل ،

---

٧٠ — د. جورج طعمه — **التحالف العنصري بين اسرائيل وجنوب افريقيا** — بحث مقدم لندوة الخرطوم مارس ١٩٧٢ — الجامعة العربية — القاهرة .

٧١ — نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، ١٩٧٠/٣/٢٤ — مركز الابحاث — م.ت.ف. — بيروت .

وقد نظمت اسرائيل في الفترة الممتدة من ١٩٦٢ - ١٩٦٩ حوالي ٢٦ مؤتمرا متخصصا شارك فيه ٨٢٠ شخص عالجت قضايا التنمية والمشاكل النقدية والاجتماعية في الدول النامية وشاركت فيها بعض الدول الافريقية ، كما عقدت اسرائيل مؤتمرا دوليا في معهد وايزمان للعلوم في رحبوت عالج دور العلم في تقدم الدول النامية وذلك في اغسطس سنة ١٩٦٣ واشتركت فيه ست دول افريقية (٧٢) .

وفي ديسمبر ١٩٦٨ تخرج ١٧ طالبا افريقيا من كلية هداسا الطبية كما تقوم اسرائيل بتدريب المدرسين الذين يدرسون في مدرسة التدريب المهني بومباسا في كينيا .

وقد ساهم الهستدروت في انشاء معهد كمبالا للدراسات النقابية الذي اقيم على غرار المعهد الافرواسيوي وبمساعدة الخبرات الاسرائيلية وقام بتمويله الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة (٧٣) .

ومما يجدر ذكره ان المعهد الافرواسيوي بتل ابيب كان يقوم باعداد دورات تدريبية منتظمة للدارسين من آسيا وافريقيا بمعدل دورتين كل عام وكان يغلب على برامجه الصفة النظرية والدعائية وقد كان يركز على التجربة الاسرائيلية والتعاون والتنظيمات النقابية والتنمية الاقتصادية وكان المعهد يتكفل بنفقات الدارسين اثناء اقامتهم في اسرائيل ودعوتهم على نفقته (٧٤) .

---

٧٢ - كتاب اسرائيل السنوي ١٩٦٧/١٩٦٨ ، ١٩٦٨/١٩٦٩ .
Laufer, op. cit., pp. 157, 173-192
٧٣ - د. عبد الملك عوده - النشاط الاسرائيلي في افريقيا - المرجع السابق - ص ٥١ .
٧٤ - د. فايز صايغ - المعهد الافرو الاسيوي في تل ابيب - بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٣ - ١٦ .

الفصل الخامس

العلاقات الافريقية الاسرائيلية ١٩٦٧ - ١٩٧٣

بدء مرحلة التدهور في العلاقات الافرواسرائيلية ١٩٦٧ - ١٩٧٣

عندما بدأت اسرائيل نشاطها في القارة الافريقية ١٩٥٧ لم يكن لها علاقات سياسية تذكر مع الدول النامية كلها باستثناء بعض العلاقات ذات الاهمية المحدودة مثل علاقاتها القنصلية مع بورما وليبيريا واثيوبيا ، وفي خلال عشر سنوات اقامت اسرائيل علاقات سياسية مع اكثر من ٨٠ دولة من الدول النامية واصبح برنامج تعاونها السياسي والاقتصادي والفني والدعائي مع هذه الدول يمثل احد الاسس البارزة لسياستها الخارجية . ويمكن القول ان العلاقات الافرواسرائيلية بلغت ذروتها في اوائل سنة ١٩٦٧ . اذ نجحت اسرائيل حتى ذلك العام في اقامة علاقات دبلوماسية مع ٣٢ دولة افريقية بالاضافة الى تمثيل قنصلي فخري مع ٥ مناطق إفريقية اخرى كانت معظمها لا تزال مستعمرات مثل غينيا بيساو وسوازيلاند وانجولا وموزمبيق وروديسيا . كما اقامت ١١ دولة افريقية تمثيلا دبلوماسيا لها في اسرائيل . وقد استطاعت اسرائيل من خلال تسخير امكانياتها الاقتصادية لخدمة استراتيجيتها واهدافها السياسية في افريقيا ان تحقق انجازات بارزة تبلورت في خلق مكانة دولية لاسرائيل لم تبلغها في اي وقت مضى وقد انعكست هذه المكانة والكسب السياسي والاقتصادي الذي احرزته اسرائيل في افريقيا في تأييد الدول الافريقية لاسرائيل في قضاياها في المحافل الدولية .

ويمكن القول ان اسرائيل حققت الى حد كبير اهدافها في القارة الافريقية من حيث انتشارها وتواجدها في شتى الميادين وعلى كافة المستويات فنلاحظ رغم افتقار اسرائيل للموارد التمويلية واستيرادها لمئات الملايين من الدولارات سنويا لسد العجز في ميزانها التجاري ومقابلة متطلبات الاقتصاد الاسرائيلي الا انها تنفق سنويا حوالي ٥ ملايين دولار كاتفاق حكومي وتنفق شركاتها ومؤسساتها القومية اضعاف هذا المبلغ لنفس الغرض بحيث تبلغ جملة نفقاتها السنوية على تنفيذ برامجها في الدول الافريقية حوالي ٣٥ مليون دولار (١) كما انها قدمت اكثر من ٥٠ مليون دولار قروضا لدول القارة ولا شك ان هذه الاعتمادات الضخمة التي خصصت لخدمة الاهداف الاسرائيلية في القارة الافريقية قد اتت ثمارها فقد حققت اسرائيل نجاحا ملموسا

---

١ - S. Decalo, op. cit., p. 328

في دعم علاقاتها بالمؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية اي نجحت في كسب تأييد قطاعات مختلفة من الراي العام في الدول الافريقية وقد برز ذلك في وجود قيادات سياسية واقتصادية وثقافية ونقابية تؤيد اسرائيل وتدافع عن مصالحها كما برز في النفوذ السياسي الاسرائيلي (في جنوب افريقيا واثيوبيا وروديسيا) ودعم هذه الجاليات لاسرائيل سياسيا ودعائيا وماليا ، كما حققت اسرائيل مكاسب اقتصادية لا يمكن تجاهلها فقد ارتفعت نسبة صادرات اسرائيل الى افريقيا بمعدل ٢٢ ٪ سنويا (٢) واصبحت افريقيا تستورد سنويا نحو ٤ ـ ٥ ٪ من مجموع صادرات اسرائيل مما جعل افريقيا سوقا رئيسيا لبعض المنتجات الاسرائيلية .

كذلك تستورد اسرائيل ٥ر١ ٪ من جملة وارداتها من القارة تتركز جميعها على المواد الخام ، ورغم ان الميزان التجاري للتجارة الاسرائيلية مع دول القارة ظل في عجز مستمر حتى ١٩٦٩ ولكن يلاحظ ان الفجوة بين صادراتها ووارداتها من القارة آخذة في النقصان بل حقق الميزان التجاري فائضا كبيرا سنة ١٩٧١ بلغ حوالي ٢٢ مليون دولار . كما ان التجارة التي بدات من طرف واحد ، اسرائيل ، مع الكثير من الدول الافريقية تطورت الى احتكار اسرائيل لتجارة بعض السلع الاساسية في هذه الدول واحتكار الكثير من الاسواق . كذلك احرزت اسرائيل نجاحات مطردة في ميدان اقامة المشاريع لشركاتها العاملة في القارة والتي تزيد عن ٧٠ شركة ومؤسسة متخصصة واقامت اكثر من ٤٢٠ مشاركة مع الحكومات الافريقية يزيد راسمالها عن ٥٠٠ مليون دولار .

وقد برز الجهد الاسرائيلي لخدمة مخططها في الميدان العسكري ، فقد حرصت اسرائيل على الاسراع في اجابة طلبات الدول الافريقية في هذا الصدد ويقدر عدد الضباط الاسرائيليين العاملين في القارة باكثر من ٥٠٠ ضابط وخبير عسكري بينهم ١٠٠ امرأة من ضابطات الجيش الاسرائيلي يعملون في تدريب الجيوش الافريقية في مختلف الاسلحة البرية والبحرية والجوية والشرطة والمخابرات هذا عدا الجهود التي بذلتها اسرائيل في افتتاح كليات للشرطة والطيران والبحرية والحربية وادارتها في عدد كبير من الدول الافريقية كما استقبلت اسرائيل المئات من الافريقيين لتدريبهم في كلياتهم العسكرية ، وقد غطى نشاطها في هذا الميدان اكثر من ١٦ دولة افريقية (٣) .

هذا عدا انجازات اسرائيل في الميادين الافريقية الاخرى كما سبق ان اسلفنا وخاصة الميدان الزراعي حيث اقامت اسرائيل اكثر من ١١٠ مزرعة في اكثر من ٢٠ دولة افريقية حتى سنة ١٩٦٧ على غرار مزارع الكيبوتس والموشاف وارسلت اكثر من ١٨٠٠ خبير من جملة خبرائها المرسلة للقارة للعمل في هذا الميدان كما قامت بتدريب حوالي ٦٠ ٪ من جملة المتدربين الافريقيين في الميدان الزراعي ، وقد اولت اسرائيل

---

٢ ـ تصريح ليلومنتال المسئول المالي في شركة كور الاسرائيلية ورئيس مجلس غرفة التجارة الافرو اسرائيلية في يونيو ١٩٧١ ـ المصدر . د. غسان العطيه ، التحرك الاسرائيلي في افريقيا ـ بيروت ١٩٧٣ ص ٥٠ .

٣ ـ Laufer, op. cit., p. 132

عنايتها لتنظيمات الشبيبة في الدول الافريقية بل وربطتها بالمشروعات الزراعية حيث ارسلت خبراءها واستقبلت مئات من الشباب الافريقيين للتدريب في اسرائيل وسرعان ما انتشرت تنظيمات الشبيبة في القارة على غرار تجربتي الجدناع والناحال واصبحت تغطي حوالي ١٥ دولة افريقية .

ولا شك ان هذه الانجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي احرزتها اسرائيل في افريقيا كان لها اثارها النفسية على القيادات والشعوب الافريقية التي كانت تنظر الى اسرائيل باعتبارها (الدولة التي لا تفشل ابدا) وانها (تعد نموذجا فذا ومصدر الهام) وعلى الدول الافريقية الاقتداء بها اذا ارادت التقدم والنمو (٤) وعلى اساس ذلك وطبقا لما سبق استعراضه نستطيع ان نؤكد ان اسرائيل قد سجلت نجاحا مؤكدا في تحقيق اهداف سياستها الخارجية في افريقيا ولكن هذا التقييم الاحادي يظل ناقصا ومبتورا ما لم نهتم بابراز الجانب الآخر للصورة وهو جانب العوامل السلبية التي تكاثفت وظلت تنمو ببطء على مدى الخمسة عشر عاما الماضية حتى تبلورت اخيرا في شكل مواقف محددة وتغييرات اساسية في ملامح الصورة القديمة للعلاقات الافرو اسرائيلية .

فاذا كان عام ١٩٦٧ يمثل ذروة النشاط الاسرائيلي في افريقيا فهو في ذات الوقت يمثل بداية التدهور الفعلي في اتجاه العلاقات الافرو اسرائيلية . ويرجع ذلك الى اسباب عديدة ومتداخلة بعضها يرجع الى مؤثرات خارجية مثل زيادة التقارب العربي الافريقي ومضاعفات حرب يونيو ١٩٦٧ واثرها على مكانة اسرائيل في الدول الافريقية بالاضافة الى التغييرات التي طرات على الخريطة السياسية لافريقيا منذ الستينات حتى الان . والبعض الاخر يرجع الى عوامل ذاتية تتعلق بالثغرات التي شابت المشروعات الاسرائيلية في افريقيا والتناقضات التي حفلت بها المواقف الاسرائيلية تجاه القضايا الافريقية .

وقد ساهمت هذه الاسباب مجتمعة في كشف حقيقة اسرائيل ونواياها التوسعية بالنسبة للدول الافريقية مما ساهم في النهاية في بلورة الموقف الافريقي الجديد تجاه اسرائيل . ذلك الموقف الذي يتسم بالرفض الجماعي لاسرائيل وقد انعكس هذا على اجراءات القطع الجماعي للعلاقات الدبلوماسية بين ٢٩ دولة افريقية واسرائيل عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ولعله من المفيد ان نبدأ في تناول الاسباب التي ساهمت في بلوغ هذه النتيجة ويمكن تقسيمها الى :

١ - اسباب ذاتية .

٢ - اسباب موضوعية .

وتتضمن الاسباب الذاتية العوامل السلبية التي ادت الى فشل كثير من المشروعات

---

٤ - الشوحي - المصدر السابق ، ص ٥٣٢ - ٥٣٦ .

الاسرائيلية في افريقيا بالاضافة الى موقف اسرائيل المعادي لكثير من القضايا الافريقية ، فضلا عن معاناة الافريقيين من التفرقة العنصرية داخل اسرائيل .

اما الاسباب الموضوعية فهي تتعلق **اولا** : بتطورات الصراع العربي الاسرائيلي وموقف الدول الافريقية منه واجراءات المقاطعة العربية لاسرائيل ومدى فاعليتها ثم التقارب العربي الافريقي وانعكاسه على العلاقات الافرو اسرائيلية . **ثانيا** : التغيرات السياسية التي طرأت على القارة الافريقية وعلاقاتها الدولية .

الاسباب الذاتية :

لا شك ان المشكلة الاولى التي اثرت على تنفيذ برامج المخطط الاسرائيلي في افريقيا هي مشكلة التمويل فافتقار اسرائيل للمصادر التمويلية واعتمادها اساسا على المساعدات الاجنبية لسد العجز في ميزانها التجاري يشكل عقبة رئيسية تحول بينها وبين تلبية طلبات الدول الافريقية خاصة وان البرامج والمشاريع تتكلف الكثير كما تتحمل اسرائيل كثيرا من النفقات المالية سواء على بعثاتها الدبلوماسية في افريقيا او في ارسالها الخبرات او استقبال المتدربين الافريقيين وتقديم المنح لهم على حسابها فضلا عن القروض والاعانات التي تقدمها للدول الافريقية . كذلك الظروف الاستثنائية التي تعيشها اسرائيل منذ حرب يونيو ١٩٦٧ التي تتمثل في زيادة متطلبات الامن التي تمتص ٢٥ ٪ من الناتج القومي في المتوسط سنويا وبروز المقاومة الفلسطينية والخسائر المادية والبشرية المتزايدة يوميا وانخفاض معدلات السياحة لعدم توفر الامن فيها . وتناقص تدفق رأس المال الاجنبي والاستثمارات الخاصة على اسرائيل فنلاحظ ان الموارد السياحية في اسرائيل انخفضت سنة ١٩٦٧ بنسبة ٥ر٧ ٪ عن ١٩٦٦ كما انخفضت سنة ١٩٦٩ ، بنسبة ٨٠ ٪ عن سنة ١٩٦٤ (٥) .

كذلك الاستثمارات الخاصة انخفضت من ٧ر٩٢ مليون دولار سنة ١٩٦٥ الى ٣ر١٤ مليون دولار سنة ١٩٦٧ . وعلاوة على ذلك هناك المشاكل الاقتصادية الداخلية التي تعاني منها اسرائيل سواء تمثلت في التضخم وزيادة الضرائب والنقص الكبير في الاحتياطي من النقد الاجنبي وزيادة الديون الداخلية والخارجية وما ترتب على ذلك من نشوء اختناقات صناعية وعدم القدرة على الاستجابة لاحتياجات التصدير مما اضطر اسرائيل في النهاية الى العجز الفعلي عن تنفيذ كثير من تعاقداتها والتزاماتها مع الدول الافريقية، وفي الجانب الآخر واجهت اسرائيل كثيرا من المشاكل التي أثرت تأثيرا سلبيا واضحا على نشاطها في الميادين الافريقية المختلفة مثل فشل اقامة وتنفيذ بعض المشروعات وخاصة تجربة المزارع في القارة الافريقية على غرار ما هو متبع في اسرائيل وذلك بسبب عدم تلاؤمها مع الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في القارة مثل مشاكل الاجور والمراة وامتلاك الاراضي وغيرها من المشاكل التي لا تواجه اسرائيل في تجربتها في المستعمرات الاسرائيلية بالاضافة الى بروز مشاكل الاسرة وسيادة الروح القبلية والاعتماد على الحكومة وانتشار الامراض والآفات الزراعية في معظم الدول الافريقية .

٥ – الاهرام ١٩٦٩/١/٢١ و Israel Economist, 31 Jan. 1970,

كما ادى طابع السرعه الذي اتسمت به المشروعات الاسرائيلية في افريقيا الى نشوء ثغرات كبيرة اساءت لسمعة الشركات والمؤسسات الاسرائيلية واوقفت اي احتمال لتجديد تعاقدها لمشاريع جديده مع الدول الافريقيه . وابرز مثال على ذلك مطار اكرا الذي اضطرت الشركات الاسرائيلية الى اعادة بنائه اذ تبين انه بني على غير المواصفات التي تم الاتفاق عليها كذلك اعيد بناء البرلمان ودار البلدية في منروفيا مرة اخرى حيث رشح سطح المبنى مما اثار استياء الحكومة ودفعها الى فرض رقابة على نشاط الشركات الاسرائيلية . وفي سنة ١٩٦٦ انهت تانزانيا الاتفاقية الزراعية المعقودة مع اسرائيل سنة ١٩٦٣ وامرت الخبراء الاسرائيليين بتسليم الآلات والمعدات الزراعية ومغادرة البلاد فورا . وذلك بسبب فشل الخبرات الاسرائيلية في تنفيذ الاتفاق واكتشاف تصرفات مالية مشبوهة ادت الى تبديد ١٥٠ الف جنيه استرليني خلال الثلاثة اعوام وهو المبلغ الذي اقرضته اسرائيل لتانزانيا بفائدة ٦ ٪ لتنفيذ المشروع . وقد بدد المبلغ في شراء آلات من اسرائيل ومرتبات/ومصاريف الخبراء الاسرائيليين كما فشلت اسرائيل في اقامة الجمعيات التعاونية في تانزانيا واستغلت الاعفاءات التي منحتها حكومة تانزانيا للشركات الاسرائيلية لتوريد مواد البناء للقيام بعدة مشروعات عمرانية فاستغلتها لتصريف كميات ضخمة في السوق السوداء . كما اكتشفت تانزانيا ان القرض الذي قدمته لها اسرائيل بسعر فائدة ٦ ٪ اقترضته من المانيا بفائدة ٣ ٪ فقط (٦) . وفي سيراليون اصاب الفندق الذي اقامته اسرائيل الخلل في معظم اجزائه . وفي غانا قامت الحكومة التي اطاحت بنكروما باجراء تحقيقات واسعه سنة ١٩٦٨ في بعض الاختلاسات والرشاوى من قبل ممثلي شركة [illegible] الاسرائيلية وكذلك في الاقليم الشرقي من نيجيريا حققت الحكومه الانفصالية سنة ١٩٦٦ في الكثير من الرشاوى التي تدفعها الشركات الاسرائيلية لبعض كبار المسئولين في الحكومة من اجل ارساء العطاءات عليها في المشروعات الكبيرة وقد ترتب على ذلك استبدال السفير الاسرائيلي في نيجيريا (٧) كذلك فشل مشروع الانابيب الارتوازية في النيجر وقد اكتشف اختلاس مبالغ كبيرة في الشركة النيجيرية الاسرائيلية وتم اجراء تحقيق كشف عن توجيه الاتهام الى بعض الخبراء الاسرائيليين في الشركة . هذه بعض امثلة قليلة من الاعمال التي ادت الى فقد ثقة المسئولين الافريقيين في الشركات الاسرائيلية وعدم التعاقد معها في الغالب مرة اخرى .

كذلك هناك عدة صعوبات كانت تواجه الخبراء الاسرائيليين الوفدين للعمل في الدول الافريقية منها صعوبة تكيفهم مع المناخ الاجتماعي وافتقاد اللغة المشتركة . هذا بجانب الافتقار للمرافق والخدمات الاساسية كضرورة لتكامل المشروعات وسرعة تنفيذها خاصة وان الاقتصاد الافريقي يفتقر للايدي العاملة المدربة والمعدات الحديثة فضلا عن انعدام وسائل الاتصال داخل الدول الافريقية ذاتها بجانب صعوبات الحياة اليومية . واحيانا كانت ترسل الخبرات الاسرائيلية في مواعيد غير ملائمة كأن يرسل خبراء لزراعة القطن في اوغندا في غير مواعيده مثلا مما يترتب عليه ان يعمل الخبراء

---

٦ – تقارير **المقاطعة** الجامعة العربيه ١٩٦٣/٢/٤ ، ١٩٦٤/٢/٢٢ ، **الاهرام** ١٩٦٦/١٠/٦ ، ٢ ، ١٩٦٨٠١

٧ – المنوفي – **المرجع السابق** ، ص ٥٠٣ .

الاسرائيليون في مجالات غير تخصصهم فلا تستفيد منهم الدول الافريقية الفائدة المرجوة . علاوة على عدم قدرة اسرائيل لتلبية الطلبات المتزايدة من الدول الافريقية في مجال الخبرة الفنية وخاصة من المهندسين الفنيين والممرضين كما ان الخبرات الاسرائيلية كانت متوفرة عند بدء النشاط الاسرائيلي في افريقيا ولكن توزيعها على شتى الميادين في القارة وزيادة الطلب عليها الغى هذه الميزة فيما بعد . كذلك يواجه المتدربون الافريقيون مشاكل عديدة اثناء تدريبهم في اسرائيل مما يقلل استفادة الدول الافريقية بهم بعد عودتهم . فالدورات التدريبية لا تحقق فائدتها بسبب كثرة اعداد المتدربين وتفاوت مستوياتهم العلمية والحضارية بالاضافة الى انهم بعد انتهاء الدورات التدريبية لا تحرص الحكومات الافريقية على الاستفادة منهم في مواقع تخصصية لعدم توفر متطلبات نجاح المشاريع التي يتدربون عليها في اسرائيل مما يؤدي الى عقم البرامج التدريبية (٨) كما ان كثيرا من الدورات التدريبية لا تتلائم والواقع الافريقي . كذلك يصادف الطلبة الافريقيون اثناء وجودهم في اسرائيل صعوبات اجتماعية ومعيشية عديدة ابرزها احتكاكهم المباشر بالمتناقضات التي يزخر بها المجتمع الاسرائيلي والتي تكشف عن العنصرية الكامنة في نفوس الاسرائيليين . فالافريقيون في اسرائيل يطلق عليهم كلمة كوشي Kushi اي زنجي مما يثير الشعور بالعداء والعزلة لديهم لعدم تقبل المجتمع الاسرائيلي لهم . وكثيرا ما عانى الطلبة الافريقيون من مشاكل التفرقة والتمييز في اسرائيل التي تطورت الى حد وقوع مصادمات متتالية كما حدث في يناير ١٩٦٦ مما ادى الى تدخل رئيس الوزراء الاسرائيلي بنفسه لحل مشاكل المتدربين والطلبة السود في اسرائيل خاصة وانهم يشعرون بان الاسرائيليين يعاملونهم كمواطنين من الدرجة الثالثة (٩) بل وصل الامر الى ان بعض المنشورات السرية وزعت في الجامعات ومراكز التدريب وتتضمن هجوما وسخرية من الطلبة الافريقيين الذين يدرسون في اسرائيل وقد إعترفت وسائل الاعلام الاسرائيلية بذلك.

اما العلاقات الاجتماعية للاسرائيليين الذين يعملون في افريقيا فقد اتسمت بالعزلة الكاملة واتجاههم الى الاقامة في حي واحد وانعدام اندماجهم بالافريقيين وذلك رغم ما تتظاهر بذله الحكومة الاسرائيلية من محاولات التقريب بين الخبراء الاسرائيليين والافريقيين .

موقف اسرائيل من القضايا الافريقية :

لقد تنبهت الدول الافريقية اخيرا الى موقف اسرائيل ازاء كثير من القضايا الافريقية سواء مواقفها السابقة من قضايا الاستقلال الافريقي او مواقفها الحالية في تأييد الحركات الانفصالية والتعاون مع الانظمة العنصرية في افريقيا فقد صوتت اسرائيل ضد استقلال الجزائر سنة ١٩٥٦ وعارضت سنة ١٩٥٩ مشروع الامم المتحدة لاجراء انتخابات عامة في الكاميرون تحت اشراف المنظمة الدولية كما وقفت سنة ١٩٥٦ ضد مشروع منع فرنسا من اجراء تجاربها الذرية في الصحراء الافريقية

٨ – Kreinin, op. cit., pp. 160-172

٩ – Laufer, op. cit., pp. 69, 79, 163

وامتنعت عن التصويت لمنح تنجانيقا ورواندا وبوروندي الاستقلال سنة ١٩٦٠ كما امتنعت عن التصويت لادانة جنوب افريقيا سنة ١٩٦٠ في الامم المتحدة . كذلك عارضت مشروع ليبيريا الخاص بمنح الحكم الذاتي للاقاليم المستعمرة سنة ١٩٥٩ .

كذلك يثار موقف اسرائيل من مأساة جنوب السودان وازمة الكونغو والحرب الاهلية في نيجيريا ويدل موقفها على تأييدها ودعمها للحركات الانفصالية في افريقيا رغم ما اكدته منظمة الوحدة الافريقية من ضرورة احترام سيادة كل دولة افريقية وعدم المساس بوحدة اراضي كل دولة والحفاظ على الحدود الموروثة من الاستعمار رغم ما يترتب على ذلك من صعوبات . كما يثار موقف اسرائيل من التفرقة العنصرية وهي بصفة عامة تعلن معارضتها لها . ولكنها في الواقع تخالف القرارات الدولية المتعلقة بذلك ودليل ذلك تعاونها الوثيق مع نظم الاقلية العنصرية في روديسياوجنوب افريقيا . كذلك يثار موقف اسرائيل من الاستعمار فهي تنادي بضرورة تصفية الاستعمار ولكنها في الواقع تدعم السلطات المستعمرة وابرز مثال على ذلك دعمها للاستعمار البرتغالي ضد انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو (اعلنت استقلالها في صيف ١٩٧٣) .

وفيما يتعلق بموقف اسرائيل من قضية جنوب السودان فقد اكد الدكتور مزروعي استاذ العلوم السياسية بجامعة ماكريري في اوغندا (١٠) ان كثيرا من زعماء الانفصال في جنوب السودان اللاجئين في اوغندا يحصلون على معونات من اسرائيل كما ان بعضهم كان يلجأ الى سفارة اسرائيل في كمبالا للحصول على معونات مادية وعسكرية. كذلك اشارت صحيفة نيوزويك الامريكية الى المعونات العسكرية التي يتلقاها المتمردون في جنوب السودان من اسرائيل وان بعض المراقبين الغربيين لاحظوا استخدام المتمردين للاسلحة الآلية المصنوعة في اسرائيل المعروفة عوزي .

وقد اشارت بعض الصحف السودانية (١١) الى زيارة زعماء حزب سانو لتل ابيب في اوائل عام ١٩٧٠ سعيا وراء الحصول على معونات عسكرية تتعلق بالتدريب والاسلحة . كذلك كشفت محاكمة شتاينر في الخرطوم سنة ١٩٧١ عن التعاون الوثيق بين منظمة الانيانيا وحزب سانو في جنوب السودان والسلطات الاسرائيلية . اما موقف اسرائيل من الحرب الاهلية في نيجيريا فقد اصدر حزب الاغلبية في اسرائيل بيانا طالب فيه بالعمل على انقاذ شعب بيافرا كما اعلنت وزارة الخارجية الاسرائيلية عن تطوع اكثر من ٥٠٠ طبيب وممرضة وباحث اجتماعي لاعمال الاغاثة في بيافرا فضلا عن الدعم العسكري الذي قدمته اسرائيل للمتمردين في بيافرا (١٢) ، وقد طالبت بعض الصحف النيجيرية الحكومة بعد انتهاء الحرب الاهلية في نيجيريا بضرورة اعادة النظر في علاقتها مع اسرائيل (١٣) .

---

١٠ ـ ندوة عن العلاقات بين الدول الافريقية المستقلة ، **مجلة السياسة الدولية** ، **المرجع السابق** ، يوليو ١٩٧٠ ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١ .

١١ ـ **اليوميات الفلسطينية** ، **المجلد الحادي عشر** .

١٢ ـ **الاهرام** ١٩٧٠/١/٢٢ .

١٣ ـ يوناسد برس ١٩٧١/١/٢٠ .

اما موقف اسرائيل من ازمة الكونغو سنة ١٩٦٠ فقد اعلنت اسرائيل انها اقامت علاقات مع زعماء الكونغو وشاركت في مجهودات الوساطة التي ادت الى تشكيل الحكومة الاولى ولكنها لم تتخذ موقفا من الاوضاع الداخلية بل ايدت دور الامم المتحدة (١٤) واثناء احداث الكونغو ، يوليو ١٩٦٠ ، استقبلت اسرائيل توماس تشومبي شقيق رئيس الحكومة الانفصالية في كاتنجا . وقد صرح بانه ناقش الاعتراف باستقلال كاتنجا مع المسئولين الاسرائيليين . ورغم حضور مراقب اسرائيلي في افتتاح مؤتمر وزراء الخارجية الافريقيين في ليوبولدفيل في اغسطس ١٩٦٠ ـ الذي افتتحه الرئيس لومومبا . فان اسرائيل امتنعت عن التصويت في الامم المتحدة في نوفمبر ١٩٦٠ عندما نوقشت مسألة الاعتراف بوفد الرئيس كازافوبو رئيس جمهورية الكونغو (١٥) وقد حاولت اسرائيل ان تؤكد عدة مرات بان موقفها من قضية الكونغو يتسم بالحياد التام وان الكونغو للكونغوليين وان اسرائيل قامت بما تستطيع القيام به لتدريب الكونغوليين من اجل الحكم الذاتي (١٦) ولكنها في الواقع ايدت انفصال كاتنجا وساعدت على توتر الموقف في الكونغو .

وتكشف العلاقات الوثيقة بين اسرائيل ونظم الاقلية العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا عن الطبيعة الاستغلالية العنصرية الكامنة في النظام الصهيوني وترجع العلاقات بين اسرائيل وحكومة افريقيا الى سنة ١٩٤٨ فقد كانت حكومة بريتوريا من اوائل الحكومات التي بادرت الاعتراف باسرائيل وكان مالان رئيس حكومة جنوب افريقيا في ذلك الحين اول رئيس حكومة اجنبي يزور تل ابيب . وتعتمد اسرائيل على نفوذ الجالية اليهودية في جنوب افريقيا (١١٦ الف نسمة) في دعم العلاقات الثنائية بين البلدين وخاصة في المجال العسكري وتنظيم مشاريع المساعدات المالية واستقطاب المتطوعين اليهود الذين انهوا خدمتهم العسكرية .

ولكن رغم العلاقات الوثيقة التي تربط اسرائيل بالانظمة العنصرية في الجزء الجنوبي من القارة فهي تحاول التظاهر بعدم رضائها عن سياسة التمييز العنصري المطبقة في جنوب افريقيا وذلك مراعاة لشعور اصدقائها من الدول الافريقية على حد قول بن جوريون في الكنيست الاسرائيلي في نوفمبر سنة ١٩٦١ ، عندما اشار الى اسباب تغير سياسة اسرائيل تجاه جنوب افريقيا فقال ، ان ذلك يرجع الى عدم قدرتنا على غض النظر عن شعور اصدقائنا من الدول الافريقية الاخرى خاصة وان اسرائيل تعتبر اكثر الدول دراية بمساوىء التفرقة العنصرية ، (١٧) .

ومن ابرز الامثلة على ذلك تصويت اسرائيل لاول مرة في نوفمبر ١٩٦١ الى جانب مشروع القرار الخاص بفرض عقوبات اقتصادية على جنوب افريقيا في الجمعية العامة . وقد حدث ذلك عقب صدور قرار مؤتمر الدار البيضاء يناير سنة ١٩٦١

١٤ – Middle East Record, 1960, pp. 36-37

١٥ – Ibid, p. 37

١٦ – الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٥/١٩٦٦ ، ص ١٣٢ .

١٧ – د. سامي منصور ، في مواجهة اسرائيل . المرجع السابق ص ٣٣ . سوخ رض ، اسرائيل وافريقيا . المرجع السابق ص ٤١٢ .

الذي ادان اسرائيل باعتبارها قاعدة استعمارية ودليل ذلك تعاونها وتأييدها لسياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا . وقد اثار موقف اسرائيل حكومة جنوب افريقيا التي شنت حملة عنيفة ضدها . واعلن فيرفورد في يناير ١٩٦١ (اذا كانت اسرائيل ترى اخطاء في سياسة جنوب افريقيا فإن استمرار وجود اسرائيل نفسه كدولة وعدم قيام الدول العربية بابتلاعها هو الخطأ بعينه) *

وكذلك في نوفمبر ١٩٦٧ هاجم مندوب اسرائيل جنوب افريقيا مرة اخرى في اللجنة السياسية الخاصة التابعة للامم المتحدة ردا على هجوم المندوب الجزائري على اسرائيل ومحاولته ابراز التشابه بين سلوك النظامين العنصريين في كل من بريتوريا وتل ابيب . وقد ردت الصحف واجهزة الاعلام في جنوب افريقيا على اسرائيل موضحة ومؤكدة هذا التشابه واتهمت سلوك اسرائيل بالبعد عن الشجاعة (١٨) .

واذا كانت اسرائيل قد غيرت موقفها المعلن من جنوب افريقيا وادانت التفرقة العنصرية فان ذلك يرجع الى اسباب تكتيكية . فقد ظل الاتجاه العام داخل اسرائيل وجنوب افريقيا يواصل العمل من اجل مزيد من تدعيم العلاقات بينهما ، فقد تزعم حاييم هرتزوج مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية السابق حملة واسعة داخل اسرائيل من اجل تدعيم العلاقات بين البلدين . كذلك حرص كبار المسئولين في جنوب افريقيا على اظهار تضامنهم الكامل مع اسرائيل في حرب الشرق الاوسط رغم انحيازها الى جانب اعداء جنوب افريقيا في الامم المتحدة (١٩) . فقد صرح كبير حاخامات جنوب افريقيا في اكتوبر سنة ١٩٦٧ بانه يتوقع ان تؤدي نتائج حرب الشرق الاوسط الى مزيد من التفاهم بين جنوب افريقيا واسرائيل خاصة وان اسرائيل تقدر تماما موقف التعاطف والتضامن الذي تبديه نحوها حكومة جنوب افريقيا ليس بسبب وجود الجالية اليهودية ولكن ايضا بسبب تأييد الحكومة لموقف اسرائيل في الحرب (٢٠) ، كذلك صرح وزير العمل في جنوب افريقيا في يوليو ١٩٦٧ تعليقا على حرب حزيران قائلا بان (فشل العرب في هزيمة اسرائيل يدعم موقف جنوب افريقيا اذ انه سوف يجعل كثيرا من الزعماء الأفريقيين المتطرفين يعيدون النظر فيما يتعلق بتهديداتهم ضد حكومة جنوب افريقيا) .

لا شك ان كل ذلك يؤكد التعاون الوثيق بين اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا والتقاء مصالحهما التي تتناقض جذريا مع مصالح الشعوب الافريقية والعربية فضلا عن وحدة المنطلق العنصري التي تربط النظامين في تل ابيب وبريتوريا (٢١) وذلك رغم الاعتراض الشكلي الذي تبديه اسرائيل حول النظام العنصري في جنوب افريقيا .

• كذلك تتعاون اسرائيل مع حكومة الاقلية البيضاء في روديسيا اذ توجد هناك جالية

---

* — د. سامي منصور ، **في مواجهة اسرائيل** ، القاهرة ١٩٦٦ — ص ١٣٤ .

١٨ — **اسرائيل وافريقيا** ، وزارة الارشاد القومي ، **المرجع السابق** ، ص ٢٤ (١٩٦٧/١١/٦) .

١٩ — العويني ، **المرجع السابق** ص ٢٢٨ .

٢٠ — **اسرائيل وجنوب افريقيا** ، وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥ — ٣

٢١ — د. بطرس غالي ، « بين حكومة تل ابيب وجنوب افريقيا » ، **الاهرام الاقتصادي** ١٥/٥/ ٧٠

يهودية (٥ الاف نسمة) تساهم في تعميق التعاون بين البلدين. وقد امتنعت اسرائيل عن التصويت في مشروعات القرارات التي اتخذت في الامم المتحدة ضد حكومة روديسيا وخاصة القرار الخاص بفرض اجراءات اقتصادية وعسكرية لمقاطعة النظام العنصري الابيض في روديسيا سنة ١٩٦٩ . وهناك تعاون عسكري ملحوظ بين اسرائيل وسلطات الاستعمار البرتغالي ضد نضال الشعوب الافريقية في انجولا وموزمبيق. وقد اشارت الحركة الشعبية لتحرير انجولا في نشرتها الثورية في مقال طويل الى المساعدات التي تقدمها اسرائيل للاستعمار البرتغالي وخاصة في مجال الاسلحة والتدريب العسكري . وقد اكدت الصحيفة الثورية ان القوات الوطنية قد استولت على اسلحة اسرائيلية عند استيلائها على احدى الثكنات البرتغالية قرب مدينة كواندو في يناير ١٩٧١ (٢٢) .

كذلك اشار المناضل الراحل اميلكار كابرال-زعيم حزب الاستقلال الافريقي في غينيا بيساو في فبراير ١٩٧٢ الى تعاون اسرائيل مع البرتغال ضد حركات التحرر الافريقية. يقول هذا المناضل (ان القنابل التي تستعمل ضدنا في غينيا بيساو والرأس الاخضر مستوردة من الولايات المتحدة وجميع المواصلات في البرتغال صناعةبريطانية والسفن الحربية فرنسية ومعظم الاسلحة اسرائيلية وللبرتغال تحالف قوي معاسرائيل وهذا طبيعي لان الشعب العربي يناضل من اجل تحرير فلسطين ونحن نحارب ضد البرتغاليين من اجل تحرير ارضنا . ان ما يحدث في فلسطين يحدث ايضا في جنوب افريقيا . وفي انجولا وفي منطقتنا المحررة من غينيا . ان مساهمة اسرائيل غير محدودة في اعطاء البرتغاليين الوسائل التي يحتاجونها لتدمير شعبنا ، تحاول اسرائيل ايضا تعطيل مقاومتنا باستخدامها جماعات صغيرة من الشعب في غينيا بيساو وينتمي اصلا الى شعبنا ويطلقون على انفسهم الوطنيين وهم ليسوا الا عملاء للاستعمار البرتغالي يرسل هؤلاء الى اسرائيل للتدريب ولدينا تقارير عن محاولات اسرائيل التسرب الى صفوفنا ولكننا حذرون (٢٣) .

ورغم هذا الموقف المعادي لحركات التحرير الافريقية فان اسرائيل قد حاولت ايهام حركات التحرير الافريقية بانها تقف الى جانبها وتؤيد نضالها المشروع من اجل تحرير الشعوب الافريقية في انجولا وموزمبيق وزامبيا وغينيا بيساو . لذلك بادرت الحكومة الاسرائيلية في يونيو ١٩٧١ بالاعلان عن تبرعها بمبلغ عشرة آلاف جنيه لحركات التحرير الافريقية وذلك استجابة للنداء الذي وجهته منظمة الوحدةالافريقية ووزعته الامانة العامة للامم المتحدة على الدول الاعضاء من اجل دعم الصندوق الخاص بالنضال ضد الاستعمار والتمييز العنصري في القارة الافريقية . وقد صدرتبيانات متناقضة عن المسئولين الاسرائيليين اذ قيل ان المبلغ لن يدفع نقدا وسيدفع علىشكل منح دراسية للطلاب وقيل انه سيكون على شكل هدية او مواد غذائية وطبية تعطى لمنظمة الوحدة الافريقية لاغراض انسانية بحتة . وقد كان رد الفعل من جانب حركات التحرير الافريقية فوريا وحاسما اذ اعلنت في بيان وقع عليه ممثلوها في تانزانيا

٢٢ — جيروزاليم بوست ١٩٧١/١/٢٧ .

٢٣ — ستاندرد التانزانية ١٩٧٢/٧/١٠ ، البعث السورية ١٩٧٣/٢/٦ .

رفضها المطلق لهذه (الرشوة المقنعة) . كما اثار هذا النبأ ثائرة حكومة جنوب افريقيا التي اعلنت عن منع اليهود المقيمين بها من تحويل مبالغ نقدية كبيرة الى اسرائيل وذلك انتقاما من اسرائيل لانها اعلنت عن استعدادها لمساعدة منظمة الوحدة الافريقية . وقد قررت حكومة جنوب افريقيا تجميد تحويل مبالغ كبيرة الى اسرائيل تصل الى ١١ مليون جنيه وهذه الاموال هي التي جمعها يهود جنوب افريقيا ابان حرب يونيو ١٩٦٧ ونظرا لان حكومة جنوب افريقيا لم تسمح بتحويل مثل هذا المبلغ الضخم الى اسرائيل دفعة واحدة فقد جرى تحويله على دفعات صغيرة متتالية (٢٤) .

الاسباب الموضوعية :

لقد سبق ان استعرضنا الاسباب الذاتية التي نبعت من النشاط الاسرائيلي ذاته في الدول الافريقية والتي تمت وتفاعلت مع سواها من العوامل خلال الخمسة عشر عاما الماضية وادت في النهاية الى الوضع الراهن للعلاقات الافرو اسرائيلية الذي يتسم بالقطيعة السياسية الكاملة رغم وجود بعض النشاطات الاسرائيلية التي لا تزال مستمرة في الميادين الاقتصادية والفنية في معظم الدول الافريقية التي اعلنت قطع او تجميد العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . ولعله من الضروري استكمالا لمختلف جوانب الصورة ان نتناول الاسباب الاخرى التي ساهمت بدور اساسي في صياغة الشكل النهائي للاوضاع الراهنة . وتتنوع هذه الاسباب وتختلف درجات تاثيرها ولكن يمكن تحديدها في عدة نقاط ابرزها :

اولا : التغيرات التي طرات على خريطة العلاقات الدولية والخريطة السياسية لافريقيا منذ عام ١٩٦٠ الذي عرف بعام الاستقلال الافريقي وحتى نهاية ١٩٧٣ .

ثانيا : التقارب العربي الافريقي الذي بدا في اوائل الستينات وانعكاسه على العلاقات الافرو اسرائيلية بجانب احكام القاطعة العربية واثارها في هذا الصدد .

ثالثا : تطور الصراع العربي الاسرائيلي وموقف الدول الافريقية منه منذ حرب حزيران ١٩٦٧ الى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

رابعا : موقف مؤتمرات العالم الثالث ودول عدم الانحياز من اسرائيل واثارها في عزلة اسرائيل على المستوى الافريقي والدولي . (وقد سبق ان اوضحناها ص ٤٧ — ٥٠) .

اولا : التغيرات السياسية في افريقيا :

لقد ساعد الواقع السياسي الدولي المعاصر لافريقيا في بداية الستينات على دخول اسرائيل الى المجتمعات الافريقية الجديدة وتغلغلها في مختلف المواقع واحرازها نجاحات بارزة في شتى الميادين كما سبق ان راينا، فان حالة التخلف الاجتماعي والاقتصادي والعلمي وندرة الكوادر الفنية والاستثمارات والراسمال الوطني وسائر

---

٢٤ ـ **تقارير** مصلحة الاستعلامات المصرية ، ادارة افريقيا ، ١٩٧٢ ، **تقارير** مكتب الجامعة العربية في نيروبي ١٩٧٢/١٩٧١ . **لوموند دبلوماتيك** اغسطس ١٩٧١ ، ارشيف **الجمعية الافريقية** بالقاهرة .

مظاهر التركة الاستعمارية في القارة كل ذلك هيأ ميدانا فسيحا امام اسرائيل كي تملأه بخبرائها ومساعداتها وقروضها . وقد قامت القيادات الحاكمة الافريقية المتأثرة فكريا وحضاريا باوربا والغرب بدور اساسي في الترحيب باسرائيل وافساح المجال لها على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الى حد بلغ تبنيهم لوجهة النظر الاسرائيلية والدفاع عنها محليا ودوليا . هذا بجانب المساعدات التي قدمتها دول الاستعمار التقليدي وخاصة فرنسا لاسرائيل في تغلغلها داخل افريقيا خصوصا في المستعمرات الفرنسية السابقة في غرب افريقيا والتسهيلات التي منحتها بريطانيا للنشاط الاسرائيلي في دول شرق افريقيا (اوغندا – كينيا) تانزانيا . فضلا عن مساندة الولايات المتحدة الامريكية للتغلغل الاسرائيلي داخل اثيوبيا وليبيريا .

ولكن طرات خلال هذه الفترة (منذ بداية الستينات وحتى الآن) ، تغيرات اساسية عدلت ملامح الصورة السياسية لافريقيا فالدول الافريقية التي نالت استقلالها السياسي في الستينات وهي لا تملك المقومات المادية للاستقلال الفعلي ومن هنا جاء خضوعها للنفوذ الاقتصادي والمالي للدول الاستعمارية التي حكمت هذه البلاد سابقا، هذه الدول بدات مرحلة نضالها الثانية من اجل استكمال استقلالها الحقيقي وتحقيق تحررها الاقتصادي والاجتماعي والخروج من دائرة التخلف التي تفرضها عليها ظروف التبعية السياسية والاقتصادية للدول الاستعمارية . والواقع ان الدول الاستعمارية قد لجات الى اشكال جديدة من الاستعمار الجديد في اواخر الستينات و السبعينات فزادت من استثماراتها في افريقيا (دون احتساب جنوب افريقيا) بنسبة ٣٥٪ من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٧١ فمن ٢٠,٠٠٠ مليون دولار التي تمثل مجموع الاستثمارات الاجنبية والمحلية في افريقيا تبلغ حصة بريطانيا وفرنسا وبلجيكا ١٦,٠٠٠ مليون دولار . كما يبلغ معدل المساعدات الامريكية للدول الافريقية خلال السنوات الاخيرة ٣٥٠ مليون دولار في السنة اي حوالي ٢٠٪ من مجموع المساعدات الخارجية لافريقيا (٢٥) . وبلغت الاستثمارات الخاصة الامريكية في افريقيا في عام ١٩٦٨ حوالي بليوني دولار . وقد انقسمت الدول الافريقية المستقلة الى مجموعتين في نضالها ضد محاولات الاستعمار الجديد للسيطرة عليها وابقائها في دائرة التخلف . المجموعة الاولى اتبعت طريقا غير راسمالي للتطور او اتجاها اشتراكيا مثل تانزانيا ومصر وغينيا والكونغو برازافيل وزامبيا . والمجموعة الثانية سارت في طريق التطور الراسمالي مثل ساحل العاج وكينيا وليبيريا . وبجانب هاتين المجموعتين توجد مجموعة ثالثة من الدول الافريقية تتكون من الدول التي تخوض كفاحا مسلحا ضد الاستعمار البرتغالي في انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو وضد الانظمة العنصرية في روديسيا وناميبيا وجنوب افريقيا . وتواجه الدول الافريقية في مجموعها سواء تلك التي استقلت او التي لا زالت تناضل من اجل حريتها ، صراعا عسكريا وسياسيا مركبا يتمثل في تحالف الاستعمار الجديد مع الانظمة العنصرية في جنوب القارة ضد الشعوب الافريقية بالاضافة الى تحالف الرجعية الافريقية مع القوى المعادية لشعوب القارة .

---

٢٥ – د. غسان العطيه ، **الرجع السابق** ، ص ٩ .

وبعد التايد العسكري الصريح لحكومة البرتغال الاستعمارية والاتفاقية الامريكية البرتغالية التي تمنح الولايات المتحدة بمقتضاها البرتغال ٣٦ مليون دولار (اتفاقية ازور) (٢٦) وتزويد حلف الاطلنطي لجنوب افريقيا وروديسيا بالاسلحة يعد كل ذلك ابرز سمات المرحلة الراهنة في نضال القارة الافريقية من اجل استكمال تحررها السياسي والاقتصادي ، ولا شك ان الصراع المحلي والدولي الذي تخوضه الشعوب الافريقية في الوقت الحالي يترك انعكاساته السلبية على الانظمة الافريقية ويفرض عليها تغيرات مفاجئة وتناقضات داخلية تصل الى حد الحرب الاهلية وتعمل اسرائيل تجاه هذه الاحداث من منطلق معاداة العرب فهي تتخذ مواقف معارضة او مؤيدة لاي تحرك افريقي بناء على تقييم اسرائيل للنتائج والآثار المحتملة لهذا التغير على الصراع العربي الاسرائيلي . ومن التناقضات الافريقية التي برزت خلال السنوات الاخيرة احداث الكونغو بعد الاستقلال والثورة الارتيرية والحرب الاهلية في نيجيريا وحركة جنوب السودان والثورات الوطنية في انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو وقد التزمت اسرائيل تجاه هذه الاحداث موقفا معاديا للشعوب الافريقية وحركات التحرر الوطني ومواليا للقوى الامبريالية والانفصالية والرجعية في القارة .

وقد خسرت اسرائيل بموقفها هذا تايد قطاعات كبيرة من الراي العام الافريقي بل كشفت بانحيازها وتواطئها مع الاستعمار البرتغالي والانظمة العنصرية حقيقة ارتباطها بالمعسكر الاستعماري المعادي لحركة التحرر الوطني الافريقي .

واذا كانت دول المعسكر الغربي قد منحت لاسرائيل جميع التسهيلات التي مكنتها من التغلغل داخل الدول الافريقية وذلك بسبب الارتباط العضوي بين الوجود الاسرائيلي والاستعمار ولكن لا يعني ذلك انتفاء وجود تناقضات بين اسرائيل والدول الاستعمارية بل توجد بينهما تناقضات ثانوية هي من قبيل التنافس الذي ينتهي عند الاصطدام بخطر خارجي. فعلاقة اسرائيل بالغرب والولايات المتحدة تحمل ضمنيا بذور هذا التناقض الذي نتج عنه بالفعل حدوث صدام بين المصالح الاسرائيلية ومصالح الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا وفرنسا في القارة الافريقية. وتبلور هذا الصدام في المنافسة الحادة التي واجهتها السلع الاسرائيلية من المنتجات الفرنسية والبريطانية والامريكية واليابان وغيرها من الدول المتقدمة اقتصاديا والتي لا تستطيع اسرائيل ان تصمد طويلا امام منافستها . وقد سبق ان اشرنا الى الخلافات التي وقعت بين الشركات البريطانية والمصالح الاسرائيلية في غانا وانتهت في البداية نتيجة لتدخل حكومة غانا لصالح البريطانيين . وفي سيراليون وساحل العاج وقع صدام بين الشركات الاوربية التي تتولى تصنيع الماس ، وبين الشركة الاسرائيلية انتهى برضوخ اسرائيل وقبولها التعاون معهم بدلا من محاولتها احتكار السوق لصالحها . وفي اثيوبيا ادى الصراع بين المستشارين العسكريين الامريكيين والاسرائيليين الى طرد الامريكيين نتيجة لوشاية الاسرائيليين بهم لدى الامبراطور وانهم كانوا يشتركون في تدبير انقلاب ضده وانتهى الامر باستئثار الاسرائيليين بالمناصب العسكرية الهامة في الجيش الاثيوبي .

---

٢٦ ـ مجلة دراسات اشتراكية ، ص ١٣١ ، عدد ١٩٧٣/١٠/١٠ ـ القاهرة ، ص ٦٢ .

وقد احست المؤسسات الاقتصادية الغربية التي تعمل فيافريقيا بنوايا اسرائيل في حرصها على الاستئثار بالاسواق الافريقية واضفاء طابعها الذاتي على الانشطة التي تقوم بها حتى ولو تعارض ذلك مع المصالح الغربية في القارة .

وبجانب هذه التناقضات الثانوية بين مصالح اسرائيل والدول الغربية هنالك التغيير الذي طرا على موقف بعض الدول الغربية من القضية العربية وخاصة فرنسا وقد ظهر هذا بوضوح بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وزيادة التقارب العربي الفرنسي وقد انعكس ذلك على دول غرب افريقيا التي كانت مستعمرات فرنسية سابقا ، ولا شك ان هذا كان له اثره في فتور موقف بعض القيادات الافريقية في غرب القارة ازاء اسرائيل وخاصة بعد حرب حزيران .

واذا كانت هذه التناقضات الثانوية قد اسفرت عن بعض التغييرات الجزئية في مواقع اسرائيل داخل الدول الافريقية فان هناك تناقضات اساسية بين اسرائيل والدول الاشتراكية قد اثرت فعليا في اهتزاز صورة اسرائيل لدى الافريقيين ولا زالت تؤرق المصالح الاسرائيلية المتبقية في القارة . وابرز مثال على ذلك موقف الاتحاد السوفييتي الذي لا يتوانى عن انتهاز المناسبات القومية والشعبية في الدول الافريقية للتنديد باسرائيل وبانها تمثل حصان طروادة للنشاط الاستعماري بوجهه الجديد . وكذلك الصين الشعبية التي اسهمت بدور هام في كشف حقيقة اسرائيل (كقاعدة عدوانية للاستعمار الجديد في الشرق الاوسط والعالم الثالث وخاصة افريقيا) . [illegible] حركات التحرر الوطني الافريقي بابعاد التحالف الاسرائيلي مع الاستعمار البرتغالي والانظمة العنصرية في جنوب القارة ، كما برز دور يوغوسلافيا اقتصاديا وفنيا في القارة فقد مدت نشاطها لمختلف الميادين . وعلى سبيل المثال استقبلت في الفترة من ١٩٥٩ — ١٩٦٥ حوالي الف طالب افريقي للتدريب الفني فيها وارسلت حوالي الفي خبير الى افريقيا في نفس الفترة وانفقت حوالي مليوني دولار على برامجها الفنية في القارة كما نفذت ١١٢ مشروعا كبيرا واستثمرت اكثر من ٣٦٠ مليون دولار في مختلف المشاريع الافريقية (٢٧) . كذلك عقدت عدة اتفاقيات ثقافية واقتصادية وتوسعت في علاقاتها الافريقية بدعمها موقفها كدولة اشتراكية تعتنق مبدأ الحياد الايجابي وليس لها ارتباطات بالاستعمار او الاحلاف العسكرية ولديها الامكانيات التي تفوق اسرائيل ، واذا علمنا ان موقف يوغسلافيا يسير في اتجاه معادي لاسرائيل ومؤيد للعرب في قضاياهم وموقفهم لتبين لنا مدى ما يشكله نشاطها على المخطط الاسرائيلي من اخطار .

ثانيا : التقارب العربي الافريقي :

يعتبر هذا العامل من ابرز الاسباب التي حدت من التغلغل الاسرائيلي في افريقيا بل وساهمت في انكماشه وتدهوره في الكثير من الدول الافريقية ، فقد اقامت الدول العربية مجتمعة علاقات دبلوماسية مع ٢٢ دولة افريقية من الـ ٣٥ دولة جنوب الصحراء . كما قامت الجامعة العربية بافتتاح عدة مكاتب اعلامية في شرق وغرب افريقيا

٢٧ — Laufer, op. cit., p. 255

، كينيا والسنغال ونيجيريا ، وقامت باجراء عدة اتصالات سياسية واقتصادية مع الدول الافريقية عن طريق البعثات والوفود العربية كذلك شاركت في معظم المؤتمرات التي انعقدت في القارة . وقد ساهمت الدول العربية الافريقية بالقدر الاكبر في تحقيق التقارب بين الدول العربية والافريقية وذلك بحكم موقعها الجغرافي وتعاونها مع الدول الافريقية المجاورة بجانب دورها في منظمة الوحدة الافريقية . هذا وقد استضافت بعض الدول العربية حركات التحرير الافريقية وقدمت لها تيسيرات عديدة تضمن لها حرية الحركة والقيام بدورها لخدمة القضية الوطنية في افريقيا مثال ذلك مصر والجزائر وسوريا .

كذلك شكلت المقاطعة العربية كجهد عربي متسق في ظل الجامعة العربية احد الوسائل الهامة لتضييق الخناق على الكيان الاسرائيلي منذ اقامته . فهي قد فرضت على اسرائيل حصارا كاملا حرمها من اسواقها الطبيعية سواء في صادراتها او وارداتها فضلا عن تحميلها نفقات كبيرة تصل الى ١١ ٪ كنفقات نقل اضافية من ثمن السلع المصدرة او المستوردة لاضطرارها الى الالتجاء الى الاسواق البعيدة في الدول النامية . ويضاف الى ذلك نفقات الدفاع والامن وتجنيد كافة مواردها للمتطلبات العسكرية وما تفرضه ضرورة مواجهة المقاطعة العربية سياسيا واقتصاديا وعسكريا مما يضيف عليها اعباء جسيمة تصل الى ١٠ ٪ من مجمل ناتجها القومي سنويا في المتوسط (٢٨) ، كما تنص احكام المقاطعة على مقاطعة المؤسسات الاجنبية التي تتعامل مع اسرائيل مما يضطرها لعدم التعامل معها مفضلة التعامل مع العالم العربي بامكانياته الضخمة واسواقه الفسيحة وفرص الاستثمار المربحة فيه وكذلك تنص على منافسة اسرائيل في اسواق وارداتها واسواق صادراتها لتكبيدها خسائر اقتصادية اضافية، وقد كانت المقاطعة العربية احد الدوافع الهامة للتغلغل الاسرائيلي في القارة الافريقية في محاولة للنفاذ من طوق العزلة المفروض عليها . وعلى حد قول ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية بعد عودته من احدى جولاته في افريقيا سنة ١٩٦٩ (نحن قلنا ان الوضع الطبيعي بالنسبة لاسرائيل هو الانسجام الاقليمي ولكن اذا تعذر تحقيق ذلك فسنعمل على زرع العلم الاسرائيلي في مئات العواصم ونعمل على خلق وجود دولي لاسرائيل يمتد عبر جميع قارات العالم) (٢٩) .

وتتكامل اجراءات المقاطعة العربية مع الجهود العربية الاخرى لمجابهة اسرائيل في الساحة الافريقية . ويبرز في هذا الصدد الدور الهام الذي قامت به مصر على المستويين السياسي والاقتصادي ، فمنذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وتشكل افريقيا احد الدوائر الاربع الرئيسية في السياسة الخارجية المصرية . وقد برزت جهود مصر في المؤتمرات السياسية منذ ١٩٥٥ في مؤتمر باندونج وما تلاه من مؤتمرات سواء على المستوى الافريقي في مؤتمرات الدول الافريقية المستقلة او في مؤتمرات القمة الافريقية او على مستوى المؤتمرات الافرواسيوية او مؤتمرات عدم الانحياز حيث نجحت مصر بمساندة الدول العربية الاخرى في ان تمنع اسرائيل من الانضمام الى

---

٢٨ – المتوحي ، المرجع السابق ، ص ٥٤٣ .

٢٩ – نشرة م.د.ف ، بيروت ١٩٧٢/١/١٦ نقلا عن هآرتس ١٩٧٢/١/٦ .

هذه المؤتمرات سواء الشعبية منها او الرسمية كما نظمت مصر الكثير من هذه المؤتمرات في القاهرة . وقد ساهمت هذه المؤتمرات في دعم التفاهم العربي الافريقي حيث تمكنت القيادات العربية من خلال اللقاءات المباشرة مع الكثير من القادة الافريقيين من شرح القضية العربية بكامل ابعادها وكشف حقيقة اسرائيل واظهار مدى اعتمادها في حياتها على امريكا والمعسكر الغربي في صورته الاستعمارية التقليدية وارتباطها به كل ذلك ساعد على خلق تقارب عربي افريقي وفي الوقت نفسه ساهم في خلق تباعد افريقي اسرائيلي بنفس القدر .

وقد تبلور التقارب العربي الافريقي في عدة صور خصوصا بعد توضيح القضية العربية وكشف حقيقة اسرائيل وقد برز هذا عندما قوطعت وزيرة خارجية اسرائيل في زيارتها لنيجيريا سنة ١٩٦٤ وقوبلت بمظاهرات عدائية كما ادى التقارب العربي مع الكونغو برازافيل وخاصة مع الجزائر ومصر الى زيادة التعاون الاقتصادي والسياسي والفني مما ترتب عليه الغاء الكونغو للبروتوكول المعقود مع اسرائيل والاستعانة بالخبرات العربية من مصر والجزائر والصين الشعبية (٣٠) .

والواقع ان الجهود العربية في افريقيا لم تثمر الا في منتصف الستينات عندما بدأت نشاطها الاقتصادي وعلاقاتها مع بعض الدول الافريقية كضرورة لمواجهة التغلغل الاسرائيلي في المجالات الاقتصادية ، وقد حدث تقارب عربي افريقي واضح في السنوات الاخيرة تمثل في تطور التبادل التجاري والتمويل وتقديم المنح الدراسية وارسال الخبراء . وقد شاركت بعض الدول العربية في المعارض التجارية الافريقية مثل اشتراك المغرب ولبنان في معرض غانا الدولي في فبراير ١٩٦٧ كذلك قامت الدول العربية بعقد الاتفاقات مع السوق الاوربية المشتركة لمزاحمة اسرائيل في الاسواق الافريقية وتقوية العلاقات العربية مع الدول الافريقية المنتسبة للسوق . وقد بدأت لبنان بعقد اتفاق مع السوق المشتركة ثم تلاها دول المغرب العربي في مارس ١٩٦٩ وكذلك مصر في ديسمبر نفس العام (٣١) .

وقد حرصت الدول العربية على توسيع شبكة مواصلاتها مع القارة الافريقية فنظمت الخطوط الجوية العربية ٢٤ رحلة اسبوعية للدول الافريقية من مصر ولبنان والجزائر والسودان (٣٢) وقد اسفرت هذه الجهود عن نتائج ملحوظة في المجال الاقتصادي فمثلا نقصت واردات مالي من اسرائيل سنة ١٩٦٤ الى ٣٠٠ الف فرنك افريقي بعد ان كانت ٢٢ مليون فرنك سنة ١٩٦١ ولم تصدر مالي اي شيء لاسرائيل وارتفعت صادراتها الى الدول العربية الى ١٥٢ مليون فرنك سنة ١٩٦٤ بعد ان كانت ٢٧ مليون فرنك افريقي سنة ١٩٦١ واصبحت وارداتها ٧٢٦ مليون فرنك سنة ١٩٦٤ بعد أن كانت ٣٢٥ مليون فرنك افريقي . وكذلك في الكاميرون التي بلغت وارداتها من الدول العربية سنة ١٩٦٢ ٣٥٠ مليون فرنك في حين بلغت وارداتها من اسرائيل

---

٣٠ – Laufer, op. cit., pp. 204-206

٣١ – د. صلاح العقاد ، الاهرام الاقتصادي ١٩٦٩/٤/١٥ .

٣٢ – الجامعة العربية – المجلس الاقتصادي – دورة الانعقاد العاشرة ١٩٦٤/١٢/٢٨ .

في نفس العام نصف مليون فرنك بينما بلغت وارداتها من اسرائيل سنه ١٩٦٠ ٦ ملايين فرنك (٣٣) .

٤ وفيما يتعلق بالتمويل فقد ساهمت بعض الدول العربية بدور ملحوظ في هذا المجال مثل مصر والكويت التي ساهمت كل منهما بثلث راس مال البنك العربي الافريقي الذي يبلغ ١٠ ملايين جنيه استرليني . كذلك انشأت الكويت شركة كويتية نيجيرية للاستثمارات برأس مال قدره ٥ ملايين دولار وانشأت الكويت ايضا شركة للاستثمارات الاجنبية والمقاولات للقيام بنشاط في الدول النامية وخاصة الدول الافريقية ويبلغ راسمالها ٢٠ مليون دولار . وقد قدمت الكويت ولبنان بعض المنح الدراسية للطلبة الافريقيين . كما اوفدت السعودية ٣٠ واعظا دينيا للدول الافريقية الاسلامية وتبرعت بانشاء ٣ مدارس في توجو (٣٤) . وبدات البنوك العربية تحرص على اقامة فروع لها في افريقيا مثل البنك العربي وفروعه في نيجيريا وتانزانيا وبنك انترا وفروعه في منروفيا وابيدجان .

اما مصر فقد اسندت لشركة النصر للتصدير والاستيراد سنة ١٩٦٥ مهمة القيام بالنشاط الاقتصادي في الدول الافريقية . كما امتد نشاطها الى ميدان المساعدات الفنية للدول الافريقية حيث ارسلت الكثير من الخبراء والفنيين وفق برنامج مخطط . كما استقبلت العديد من الطلبة الافريقيين للدراسة في الجامعات المصرية والمعاهد (٣٥) .

من خلال العرض السابق يتضح لنا كيف ساهمت الجهود العربية سواء تمثلت في المقاطعة العربية أو جهود الدول منفردة في اعاقة وتجميد النشاط الاسرائيلي في كثير من الدول الافريقية وقد انعكس ذلك على مواقف الدول الافريقية من القضية العربية وظهر هذا جليا في دورة الجمعية العامة للامم المتحدة في سبتمبر ١٩٦٩ .

وبالرغم من ان هذه الجهود قد اسفرت عن نتائج واضحة ولكنها تمت ببطء شديد خاصة وان اسرائيل كانت قد وثقت علاقاتها مع الدول الافريقية بدرجة كبيرة ودون اي عائق من جانب الدول العربية خصوصا في بداية تغلغلها . وقد اسفرت الجهود العربية عن خلق تحول متفاوت الدرجات في مواقف الكثير من الدول الافريقية من القضية العربية مثل نيجيريا ومالي والسنغال وتانزانيا وبوروندي وغيرها من الدول التي بدات تميل للجانب العربي بالاضافة الى تحول بعض الدول الافريقية من انحيازها الكامل ووقوفها بجانب اسرائيل الى موقف شبه حيادي مثل غانا وتوجو والكاميرون والنيجر وكينيا .

ثالثا : الصراع العربي الاسرائيلي وانعكاسه على العلاقات الافرو اسرائيلية :

من خلال استعراضنا لمراحل تطور النشاط الاسرائيلي في الدول الافريقية

٣٣ ـ تقارير المقاطعة رقم ١٩٦٥/٨٨٨٤ ـ ١٩٦٥/٨/٢٢ ، الجامعة العربيه .
٣٤ ـ جريدة الاهرام ١٩٦٦/١٢/٢٥ Laufer, op. cit., p. 250
٣٥ ـ ارشيف جريدة الاهرام ـ ملف مصر وافريقيا .

يمكن القول ان اسرائيل بلغت في اوائل سنة ١٩٦٧ مكانة سياسية واستراتيجية في القارة لم تبلغها في اي وقت مضى . ولقد انعكست هذه المكانة في تأييد الدول الافريقية لاسرائيل في قضاياها في المحافل الدولية وابرزها قضية الصراع العربي الاسرائيلي . ففي سنة ١٩٦٧ رغم وضوح الحق العربي ورغم العدوان الاسرائيلي على الدول العربية واحتلالها أرض عربية تقع في افريقيا فاننا نجد ان الدول الافريقية قد ايدت اسرائيل في عدوانها عند عرض القضية في الدورة الطارئة للامم المتحدة في يونيو ١٩٦٧ . ولقد اظهرت هذه الدورة مدى ما وصل اليه النفوذ الاسرائيلي داخل الدول الافريقية وتأثير ذلك على السياسات الخارجية الافريقية . فمن خلال مشاريع القرارات التي عرضت على الجمعية العامة وهي مشروع القرار السوفيتي والآخر الامريكي ومشروع قرار دول عدم الانحياز الذي كان يدعو اسرائيل الى سحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة ومشروع دول امريكا اللاتينية الذي كان يعد تأييدا للسياسة الاسرائيلية ورغم ان الجمعية العامة لم تفلح في اقرار كل هذه المشاريع الا ان موقف الدول الافريقية منها يعد مؤشر أساسيا هاما لمدى تأثير السياسة الاسرائيلية على الدول الافريقية (٢٦) .

١ ــ المشروع الالباني :

مع القرار : موريتانيا .

ضد القرار : بتسوانا ــ الكونغو كنشاسا ــ داهومي ــ اثيوبيا ــ ساحل العاج ليسوتو ــ ليبيريا ــ مدغشقر ــ ملاوي ــ رواندا ــ سيراليون ــ توجو ــ اوغندا ــ فولتا العليا ــ جامبيا ــ غانا .

امتناع عن التصويت : بوروندي ــ الكاميرون ــ افريقيا الوسطى ــ تشاد ــ الكونغو برازافيل ــ الجابون ــ غينيا ــ كينيا ــ مالي ــ النيجر ــ نيجيريا ــ السنغال ــ الصومال ــ جنوب افريقيا ــ تانزانيا ــ زامبيا .

٢ ــ مشروع قرار دول عدم الانحياز :

مع القرار : بوروندي ــ الكاميرون ــ الكونغو برازافيل ــ الكونغو كنشاسا ــ الجابون ــ غينيا ــ مالي ــ موريتانيا ــ نيجيريا ــ السنغال ــ الصومال ــ اوغندا ــ تانزانيا ــ زامبيا .

ضد القرار : بتسوانا ــ جامبيا ــ غانا ــ ليسوتو ــ ليبيريا ــ مدغشقر ــ ملاوي ــ توجو .

امتناع عن التصويت : افريقيا الوسطى ــ تشاد ــ داهومي ــ اثيوبيا ــ ساحل العاج ــ كينيا ــ النيجر ــ رواندا ــ سيراليون ــ جنوب افريقيا ــ فولتا العليا .

---

٢٦ ــ د. عبد الملك عوده «العدوان الاسرائيلي وموقف الدول الافريقية» مجلة **السياسة الدولية** العدد ٩ ، يوليو ١٩٦٧ ، د. جورج ديب ، **العدوان الاسرائيلي في الامم المتحدة** ــ مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ .

٣ ـ مشروع قرار دول امريكا اللاتينية :

مع القرار : بتسوانا ـ الكاميرون ـ افريقيا الوسطى ـ تشاد ـ الكونغو كنشاسا ـ داهومي ـ أتيوبيا ـ جامبيا ـ غانا ـ ساحل العاج ـ ليسوتو ـ ليبيريا ـ مدغشقر ـ ملاوي ـ سيراليون ـ توجو ـ فولتا العليا .

ضد القرار : بورونـدي ـ الكونغو برازافيل ـ غينيا ـ مالي ـ موريتانيا ـ السنغال ـ الصومال ـ اوغندا ـ تانزانيا ـ زامبيا .

امتناع عن التصويت : الجابون ـ رواندا ـ جنوب افريقيا ـ كينيا ـ النيجر ـ نيجيريا .

ومن خلال ما سبق يمكن تصنيف مواقف الدول الافريقية من تأييد اسرائيل والقضية العربية الى ثلاث فئات كالآتي :

اولا : دول معادية للعرب وايدت اسرائيل بشدة وهي بتسوانا وجمبيا وغانا وليسوتو وليبيريا وملاجاشي وملاوي وتوجو . وهناك دول ايدت اسرائيل وهي افريقيا الوسطى وداهومي وساحل العاج وفولتا العليا وتشاد ورواندا وسيراليون واثيوبيا . وقد امتنعت هذه الدول عن التصويت على مشروع قرار دول عدم الانحياز وايدت مشروع قرار دول امريكا اللاتينية .

ثانيا : دول ايدت العرب بشدة مثل موريتانيا والصومال وتانزانيا وغينيا وزامبيا والكونغو برازافيل ومالي والسنغال واوغندا وبوروندي . وهناك دول ايدت العرب مثل جابون ونيجيريا فأيدتا مشروع عدم الانحياز وامتنعتا عن التصويت على مشروع امريكا اللاتينية مما يدعو للغرابة .

ثالثا : دول اتخذت موقفا سلبيا مثل النيجر وكينيا [٢٧] .

ولم يقتصر موقف الدول الافريقية على تأييد اسرائيل في الامم المتحدة بل امتد الى المستوى الشعبي . فقد انهالت برقيات التأييد والتهنئة لاسرائيل من الاتحادات والنقابات العمالية وتنظيمات للشبيبة مثل حركة الشباب الوطني في سيراليون ونقابة عمال توجو واتحادات عمال كينيا واثيوبيا وليبيريا بل قام اتحاد عمال جنوب افريقيا وبعض التجمعات بمساندة الجالية اليهودية هناك بارسال ٣٠ مليون دولار كهدية لاسرائيل وارسال ٨٦١ متطوعا للمشاركة في القتال . هذا بجانب برقيات تهنئة من بعض الرؤساء الافريقيين مثل باندا رئيس مالاوي وبوانييه رئيس ساحل العاج [٢٨] .

وفي نوفمبر ١٩٧٠ وافقت الجمعية العامة على مشروع قرار أفرو آسيوي يحث على تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الخاص بانسحاب القوات الاسرائيلية من

٣٧ ـ ج.هـ. جانسن . **اسرائيل والدول الافرو آسيوية** ـ مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٩ ـ ٤٠ .

٢٨ ـ الشوخي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٣٩ .

الاراضي العربية التي احتلت نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ وكانت نتيجة التصويت كالآتي: ايدت القرار كل من بوروندي وتشاد والكاميرون والكونغو برازافيل وغينيا الاستوائية والسنغال واثيوبيا وجابون وغانا وجامبيا وغينيا وكينيا وموريشوس ومالاجاشي وسيراليون والصومال واوغندا وتانزانيا وفولتا العليا وزامبيا بينما عارضته كل من داهومي وملاوي وامتنعت عن التصويت كل من بتسوانا وافريقيا الوسطى وساحل العاج وليسوتو وليبيريا والنيجر وجنوب افريقيا وسوازيلاند وتوجو بينما لم تحضر الجلسة كل من رواندا وزائير . ويلاحظ ان ... وغانا ومالاجاشي التي كانت من ضمن الدول الافريقية التي ايدت اسرائيل بشدة عام ١٩٦٧ وافقت على مشروع القرار الافرو اسيوي عام ١٩٧٠ . كما أن هناك دولتين جديدتين هما موريشوس وغينيا الاستوائية ايدتا المشروع (٣٩) .

وفي ديسمبر ١٩٧١ اصدرت الجمعية العامة قرارا يدعو الى انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضي العربية التي احتلت أثناء النزاع الاخير ويعيد تأكيد عدم الاعتراف بالاستيلاء على الاراضي عن طريق القوة وانهاء حالة الحرب واحياء مهمة يارنج ويقدر الرد الايجابي لمصر على يارنج ويدعو اسرائيل الى الرد بشكل ملائم على مذكرة يارنج وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية وتحقيق تسوية عادلة للاجئين . وقد اسفر التصويت عن تأييد كل من الكاميرون وبوروندي وتشاد والكونغو برازافيل وغينيا الاستوائية واثيوبيا وغامبيا وغينيا وكينيا ومالي وموريتانيا والصومال وسيراليون ونيجيريا وزامبيا واوغندا وتوجو وامتنعت عن التصويت بتسوانا وافريقيا الوسطى والنيجر وجابون وغانا وساحل العاج وليسوتو وليبيريا ومالاجاشي والسنغال وملاوي وفولتا العليا وزائير ولم تشارك موريشوس وسوازيلاند في التصويت . ويلاحظ ان السنغال امتنعت عن التصويت لانها طالبت بادخال تعديلات على المشروع ولما رفض طلبها اتخذت هذا الموقف الذي يعد تراجعا عن موقفها السابق ولا شك ان هذا الموقف السنغالي الجديد يكشف المؤثرات السياسية المتضاربة التي تخضع لها حكومة السنغال . كما يلاحظ ان عدد الدول الافريقية التي امتنعت عن التصويت قد زاد هذا العام (٤٠) .

منظمة الوحدة الافريقية

وقد انعكست مواقف الدول الافريقية ازاء تطورات الصراع العربي الاسرائيلي بوضوح على جلسات وقرارات منظمة الوحدة الافريقية منذ قيامها في مايو سنة ١٩٦٣ . هذا بجانب المواقف المنفردة التي اتخذتها بعض الدول الافريقية ازاء قضية الصراع العربي الاسرائيلي مثل غينيا التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في ٥ يونيو ١٩٦٧ احتجاجا على العدوان . ففي مؤتمر القمة الافريقي الاول الذي عقد في اديس ابابا في مايو ١٩٦٣ اعلن عبد الناصر في الجلسة الافتتاحية انه لن يطرح للمناقشة مشكلة اسرائيل كاداة للتسلل الاستعماري مستندا الى ان الوعي الافريقي

---

٣٩ ـ العويني ، المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

٤٠ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

سوف يكتشف حقيقتها مع الزمن ولذلك لم يتخذ المؤتمر اي قرار بادانة اسرائيل .
وفي مؤتمر القمة الافريقي الثاني الذي عقد في القاهرة في يوليو ١٩٦٤ لم يتضمن بيان المؤتمر اية اشارة الى القضية الفلسطينية وتقول بعض المصادر (٤١) ان حكومات الدول العربية الواقعة في افريقيا شنت هجوما حادا على اسرائيل داخل جلسات المؤتمر ولكن لم يتحمس احد من الرؤساء الافريقيين لمناقشة قضية الصراع العربي الاسرائيلي . وكذلك في مؤتمر القمة الافريقي الثالث الذي انعقد في اكرا في اكتوبر ١٩٦٥ لم يبحث قضية الصراع العربي الاسرائيلي في جلساته كما لم يشر اليها مطلقا في بيانه الختامي (٤٢) . وقد علق ابا ايبان على ذلك بقوله (ان رفض زعماء الدول الافريقية تبني اقتراحات مضادة لاسرائيل في مؤتمر اكرا يعكس مدى التقدم الذي احرزته اسرائيل في دائرة هامة من سياستها الدولية (٤٣) . اما في المؤتمر الرابع او الدورة الرابعة لمؤتمر القمة الافريقي الذي عقد في اديس ابابا في نوفمبر ١٩٦٦ فلم يرد ذكر القضية الفلسطينية او الصراع العربي الاسرائيلي الا عندما اعترض مندوب مالاجاشي لعدم دعوة السفير الاسرائيلي لحضور الجلسة الافتتاحية للمؤتمر (٤٤) .

وفي سبتمبر ١٩٦٧ عندما انعقد مؤتمر القمة الافريقي في كنشاسا لم يدرج مسالة العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية في جدول اعماله مما يشير الى حرص بعض الدول الافريقية على تجاهل الموضوع . ولكن المؤتمر اتخذ في النهاية قرارا نص على تأكيد تمسكه بمبدأ احترام سيادة الدول الاعضاء والمحافظة على سلامة اراضيها. كما اعرب عن قلقه ازاء الموقف الخطير الناتج عن احتلال قوة اجنبية لجزء من اراضي بلد افريقي وهي الجمهورية العربية المتحدة. واعرب المؤتمر عن تعاطفه مع الجمهورية العربية المتحدة وقرر السعي داخل الامم المتحدة من اجل اتمام الجلاء عن اراضيها (٤٥). ثم دعا المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية الذي انعقد في اديس ابابا في فبراير ١٩٦٨ جميع الدول الاعضاء لتقديم مساندتهم المادية والمعنوية للجمهورية العربية المتحدة وباقي الدول العربية التي كانت ضحية لعدوان يونيو . وكان لهذا القرار رد فعل عنيف لدى بعض الاوساط الاسرائيلية التي طالبت بقطع المساعدات عن الدول الافريقية التي ايدت هذا القرار . وقد علق ابا ايبان على هذا الموقف في الكنيست في ١٩٦٨/٢/٢٦ بقوله (ان موقف الدول الافريقية من هذا القرار لا يجب ان يدفعنا الى قطع علاقاتنا مع الدول الافريقية بل يدعونا الى بذل مزيد من الجهد في شرح وجهة نظرنا لهم ومحاولة اقناعهم بها) (٤٦) .

اما مؤتمر القمة الافريقي السادس الذي انعقد في الجزائر في سبتمبر ١٩٦٨ فقد طالب بانسحاب القوات الاجنبية من جميع الاراضي العربية التي احتلت منذ

٤١ ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٤ ، ص ٣٢٤ ، الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٦٦/١٩٦٥ ، ص ١٧٢ .
٤٢ ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٦ ، ص ٥٥٤ .
٤٣ ـ جيروزاليم بوست ١٩٦٦/١/٢٨ .
٤٤ ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٦ ، ص ٥٥٥ .
٤٥ ـ قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، مصلحة الاستعلامات المصرية ، ادارة افريقيا .
٤٦ ـ د. خالد اسماعيل ، المرجع السابق ص٢٦ ـ ٢٧ .

٥ يونيو ١٩٦٧ طبقا للقرار الصادر عن مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وناشد جميع الدول الاعضاء في المنظمة باستخدام نفوذها من اجل ضمان التنفيذ الدقيق لهذا القرار . وقد اعترضت بعض الدول الافريقية على هذا القرار (٤٧) .

وقد ادرج مؤتمر القمة الافريقي السابع الذي أنعقد في اديس ابابا في سبتمبر ١٩٦٩ ازمة الشرق الاوسط للمرة الاولى في جدول اعماله كبند قائم بذاته وليس ضمن موضوعات اخرى . وقد اكد من جديد تضامنه مع ج. ع. م واكد ضرورة تطبيق قرار مؤتمر القمة السابق في الجزائر الذي نص على ضرورة قيام الدول الاعضاء في المنظمة باستخدام نفوذها من اجل ضمان تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الخاص بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة . وقد اكد مؤتمر القمة الافريقي في دورة انعقاده الثامنة في اديس ابابا في سبتمبر ١٩٧٠ من جديد قراراته السابقة التي تدعو الى انسحاب القوات الإجنبية من جميع الاراضي العربية المحتلة الى حدود ٤ يونيو ٦٧ تنفيذا لاحكام قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (٤٨) .

ويتضح مما سبق ان منظمة الوحدة الافريقية قد قطعت شوطا بعيدا منذ اجتماعها في سبتمبر ١٩٦٧ الذي كان يعكس مدى تجاهل الدول الافريقية لمسألة الصراع العربي الاسرائيلي رغم وقوع عدوان مسلح على احدى اعضاء المنظمة بل وصعوبة ادراج هذا الموضوع في جدول اعمال المنظمة ثم صعوبة اتخاذ قرار بادانة التوسع الاسرائيلي . وقد راينا كيف تبينت الدول الافريقية تدريجيا خطورة الموقف واتجهت نحو تبني القرارات التي تدين التوسع الاسرائيلي وترفضه وذلك رغم ان هذه القرارات لا تعارض الوجود الاسرائيلي في حد ذاته ولكنها تدعو الى انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلية فحسب . وقد تصاعد الموقف داخل منظمة الوحدة الافريقية حتى وصل الى اتخاذ قرار بتشكيل لجنة من عشر دول افريقية للمساهمة في حل ازمة الشرق الاوسط . وقد اتخذت المنظمة هذا القرار في دورة انعقادها التاسعة في اديس ابابا في يونيو ١٩٧١ حيث أعربت عن تأييدها الكامل لجهود الممثل الخاص لسكرتير الامم المتحدة من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ولمبادرته من أجل السلام في ٨ فبراير ١٩٧١ بصفة خاصة . كما أعربت عن تقديرها للموقف الايجابي الذي اتخذته مصر ازاء الجهود التي يقوم بها يارنج وأبدت اسفها لعدم استجابة اسرائيل للتعاون مع يارنج وتحديها لمقترحاته الخاصة بالسلام . ويعتبر هذا القرار اقوى قرار اتخذته المنظمة منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ كما يعكس التغير الذي حدث داخل منظمة الوحدة الافريقية (٤٩) . وبناء على هذا القرار تم تشكيل لجنة من عشر دول هي : موريتانيا وأثيوبيا وليبيريا والكاميرون وساحل العاج والسنغال وتانزانيا وكينيا وزائير ونيجيريا وقد تفرع عنها لجنة الحكماء الاربعة برئاسة الرئيس السنغالي سنجور واشترك في عضويتها رؤساء الكاميرون وزائير ونيجيريا . وقد زارت هذه

---

٤٧ – قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، المرجع السابق ص ١٢

٤٨ – المرجع السابق ، ص ١٣ – ١٤ .

٤٩ – العويني ، المرجع السابق ص ٢٤٥ .

اللجنه القدس في نوفمبر ١٩٧١ وأجرت مناقشات مكثفة مع جولدا مائير وابا ايبان واستمعت الى بيان من موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي. ومن القدس اتجه لعضاء اللجنه الى القاهره للقيام بزيارة مماثلة . وقد اجتمعت لجنة العشرة اللذين اصبحوا سبعة بسبب غياب تانزانيا في داكار من ١٠ ــ ١٢ نوفمبر واعد الرؤساء الاربعة مذكرة ضمنوها اهداف مهمتهم واوضاع الطرفين كما فهموها اثناء زيارتهم لها كما ضمنوها ستة مقترحات للطرفين (٥٠) .

وقد قام الرئيس سنجور والجنرال يعقوب جوون رئيس نيجيريا يصحبهما وزير خارجية زائير وممثل الكاميرون بزيارة ثانية للقاهرة (٢١ ــ ٢٣ نوفمبر) والقدس (٢٤ ــ ٢٥ نوفمبر) وعرضوا المذكرة على الرئيس المصري ورئيسة الوزراء الاسرائيلي كل على حدة موضحين مضمون المذكرة وطالبين الرد كتابة على الاقتراحات. ثم اعد الرؤساء الافريقيون تقريراً عن مهمة البعثة الى السكرتير العام للامم المتحدة وقد احتوى هذا التقرير وجهتي نظر مصر واسرائيل في مهمة يارنج والحدود الآمنة والضمانات وحرية الملاحة في مضايق تيران وقناة السويس (٥١) وقد انتهت مهمة الرؤساء الافريقيين الى الطريق المسدود وذلك بسبب امتناع اسرائيل عن الرد على مذكرة يارنج (٨ فبراير ١٩٧١) ومطالبتها باستئناف مهمة يارنج بدون شروط وقد حاولت اسرائيل التأثير على مجموعة الدول الافريقية في الامم المتحدة اثناء بحث الازمة في ديسمبر ١٩٧١ من اجل تقديم مشروع قرار يستند الى تقرير لجنة الحكماء الافريقيين والردود التي يتضمنها ويدعو الى استئناف مهمة يارنج بدون شروط ولكن مصر نجحت وساندها عدد كبير من الوفود الافريقية في القضاء على هذا المشروع الذي كان يتعارض مع مشروع القرار الافرو اسيوي الذي يدعو الى مطالبة اسرائيل بالرد بشكل مقنع وحاسم على مذكرة يارنج قبل استئناف مهمته . وقد صدر هذا القرار عن الجمعية العامة للامم المتحدة في ديسمبر ١٩٧١ وايده معظم اعضاء لجنة العشرة (تانزانيا ــ زامبيا ــ نيجيريا ــ اثيوبيا ــ الكاميرون) وفي المرحلة الاخيرة للمناقشات حاول الوفد السنغالي ادخال بعض التعديلات على القرار لصالح وجهة النظر الاسرائيلية ولما فشل امتنع عن التصويت وقد سبق ان أوضحنا هذا .

وقد واصلت منظمة الوحدة الافريقية تأييدها للموقف العربي وقد انعكس هذا بشدة على قرارها الذي اتخذته في دورة انعقادها العاشرة في الرباط في يونيو ١٩٧٢ . اذ استنكرت رفض اسرائيل لقرار الجمعية العامة الصادر في ديسمبر ١٩٧١ ورفضها الاستجابة لمبادرات منظمة الوحدة الخاصة بتأكيد مبدأ عدم ضم الاراضي العربية المحتلة . وهنأت مصر على تعاونها مع لجنة العشرة وموقفها الايجابي. كما حثت جميع الدول الاعضاء بالمنظمة على تقديم كل مساعداتها الى مصر وتكثيف عملها في المحافل الدولية ومجلس الامن والجمعية العامة لاتخاذ جميع المبادرات من اجل انسحاب اسرائيل الفوري غير المشروط من الاراضي العربية المحتلة . وادانت موقف اسرائيل الذي يعرقل تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولم تكتف منظمة

---

٥٠ ــ الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٧١/١٩٧٢ ، الاهرام ، ١٩٧١/١١/٢٦ .

٥١ ــ المرجع السابق .

الوحدة الافريقية بهذا بل طالبت الدول الاعضاء بالامتناع عن تزويد اسرائيل باية اسلحة او معدات عسكرية او تأييد معنوي قد يمكنها من تعزيز قدرتها العسكرية وتماديها في الاستمرار في احتلال الاراضي العربية والافريقية (٥٢) .

صدى ذلك القرار في اسرائيل :

لم يثر القرار المعادي لاسرائيل الذي وافقت عليه منظمة الوحدة في يونيو ١٩٧٢ اية دهشة في اسرائيل وصرحت الدوائر السياسية بان ذلك القرار لن يؤثر باي حال على علاقات اسرائيل مع الدول الافريقية .

واشارت هذه الدوائر الى انه ما من دولة افريقية من التي زارها ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي خلال جولته الاخيرة في افريقيا (مايو ١٩٧١) قد مثلت في ذلك الاجتماع برئيس لها وانه قد سبق لمنظمة الوحدة الافريقيه ان اصدرت في العام الماضي قرارا ضد اسرائيل الا انه لم يكن له اي تأثير خاص على العلاقات الاسرائيلية مع الدول الافريقية فلذلك لا تعلق الدوائر السياسية الاسرائيلية اهمية كبيرة على ذلك القرار المعادي لاسرائيل .

وتؤكد الدوائر السياسية الاسرائيلية وجود تناقض بين العلاقات الطيبة والوثيقة للغاية في بعض الاحيان بين اسرائيل ومعظم دول القارة الافريقية وبين موقف هذه الدول المعادي والمناصر للعرب في المؤتمرات الدولية والافريقية .

وتعتقد هذه الدوائر ان ذلك التناقض يرجع الى ان الزعماء الافريقيين لا يعطون اهمية كبيرة للقرارات التي تتخذ في الاجتماعات ويعلمون ان هذه القرارات لن تترتب عليها اية نتيجة (٥٣) .

واضافت هذه الدوائر : ان ذلك الاجراء يعد عملا تقليديا اكثر من كونه قرارا يصدر عن تفكير . وكانت تلك الدوائر تشير بذلك الى القرار الذي يطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي التي احتلت بعد حرب الايام الستة وان ذلك القرار قد اتخذ (بالمناداة) دون ان يسبقه اقتراع وهو الامر الذي اثار الاحتجاج من جانب مندوب غانا الذي كان قد طالب بان تعطى مهلة من الوقت للتمكن من قراءة النص المقترح (٥٤) .

واستطردت هذه الدوائر قائلة : انه لا ينبغي ان نفاجأ اذا ما جاءت الحكومات الافريقية الصديقة لاسرائيل الواحدة تلو الاخرى لكي تؤكد انها لم تكن متحمسة لذلك القرار المعادي لاسرائيل ومن ثم فهي لا تشعر بانها مرتبطة به .

كما اكدت هذه الدوائر ان ذلك القرار كان متوقعا خاصة وانه لم يحضر المؤتمر احد كبار القادة الافريقيين من اصدقاء اسرائيل مثل الرئيس هوفيت بوانييه او الجنرال موبوتو .

---

٥٢ ـ قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، المرجع السابق ص ١٥ .
٥٣ ـ الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٧٢/١٩٧٣ .
٥٤ ـ لوموند ، ١٩٧٢/٧/١٣ .

وقد كتبت صحيفه « يديعوت احرونوت » ٨ يوليو ١٩٧٢ تقول : ان القرار المعادي لاسرائيل الذي اتخذ في اديس ابابا لم يكن مصدر دهشة في القدس خاصة بعد ان سيطرت الدول الموالية للعرب والدول الواليه للشيوعيين على منظمة الوحدة الافريقية التي تضاءل مركزها في افريقيا الى حد كبير (٥٥) .

واستطردت الصحيفة قائلة : ان احد عشر رئيسا من بين الرؤساء الافريقيين الواحد والاربعين هم الذين حضروا اجتماعات المؤتمر كما ان عددا كبيرا من هؤلاء القادة الافريقيين كانوا قد اوصحوا قبل ذلك لممثلي اسرائيل في بلادهم ان على اسرائيل الا تعتبر صدور قرار ضدها في منظمة الوحدة دليلا على حقيقة موقفنا منها .

وقد جاء قرار منظمة الوحدة الافريقية في مايو ١٩٧٣ باعتباره آخر حلقة في سلسلة قراراتها من ازمة الشرق الاوسط كي يشير الى حدوث تغير حقيقي في موقف الدول الافريقية وفهمها لمسألة الصراع العربي الاسرائيلي اذ لاول مرة تعترف المنظمة بان احترام حقوق شعب فلسطين يشكل عنصرا اساسيا في اي حل عادل ومنصف للازمة ، بالاضافة الى انه عامل لا غنى عنه لاقامة سلام دائم في المنطقة . بالاضافة الى التحذير الذي وجهته الى اسرائيل من (ان موقفها قد يحمل الدول الاعضاء في المنظمة على ان تتخذ على المستوى الافريقي بصورة فردية او جماعية تدابير سياسية واقتصادية ضد اسرائيل تمشيا مع المبادىء الواردة في ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة) (٥٦) . وقد كانت المنظمة تلمح بذلك الى ما حدث فيما بعد من اجراءات قطع العلاقات الدبلوماسية التي اتخذتها الدول الافريقية ضد اسرائيل وكانت اوغندا قد اعلنت عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في مارس ١٩٧٢ وتبعتها تشاد ثم الكونغو برازافيل والنيجر ومالي وبوروندي وزائير . وقد تصاعد الموقف بعد نشوب حرب اكتوبر ١٩٧٣ اذ وصل عدد الدول الافريقية التي اتخذت قرارا بقطع علاقاتها مع اسرائيل الى ٢٩ دولة ، هذا وقد كلفت المنظمة وزراء خارجية نيجيريا وتشاد وتانزانيا وغينيا والجزائر وكينيا والسودان كي يعرضوا وجهة نظرها حول مسألة الشرق الاوسط امام مجلس الامن نيابة عن المنظمة وذلك في اجتماعه يومي ٤ ، ٥ يونيو ١٩٧٣ .

مواقف الدول الافريقية ازاء الصراع العربي الاسرائيلي

لقد تتبعنا مواقف الدول الافريقية ازاء قضية الصراع العربي الاسرائيلي سواء داخل الامم المتحدة او منظمة الوحدة الافريقية او في البيانات والتصريحات التي صدرت في اوقات زمنية متفاوتة من رؤساء الدول والحكومات او وزراء الخارجية والسفراء الافريقيين وكلها تشير الى ان جميع الدول الافريقية تعترف باسرائيل باستثناء الصومال وموريتانيا . كما تدل على ان الامر تعدى ذلك الى المناداة بوجهة النظر الاسرائيلية مثل المفاوضات دون غيرها والحدود الآمنة . وكذلك ذهب بعضها

٥٥ — الارشيف العبري ، مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينيه ، بيروت .

٥٦ — قرارات منظمه الوحده الافريقيه ، المرجع السابق ، ص ١٦ — ١٧ .

الى تأييد التوسع الاسرائيلي الذي حدث عام ١٩٦٧ . وقد راينا كيف تطور الموقف الافريقي داخل منظمة الوحدة الافريقية وانعكس ذلك على موقف المجموعة الافريقية في الامم المتحدة. فتبدل الموقف من الانحياز الكامل لوجهة النظر الاسرائيلية الى محاولة لتفهم ابعاد القضية العربية وخاصة بعد عدوان يونيو ، وقد اتخذت المنظمة عدة قرارات نصت اساسا على انسحاب القوات الاجنبية من الاراضي المحتلة مع تحفظات عدة دول افريقية ثم تصاعد الموقف بالتدريج حتى اتخذت منظمة الوحدة الافريقية قرارا بالاجماع في يونيو ١٩٧١ يدعو اسرائيل الى الانسحاب من كل الاراضي العربية التي احتلت في حرب يونيو ١٩٦٧ . ويعتبر هذا اقوى قرار اتخذته المنظمة في هذا الصدد منذ حرب يونيو . كما ان القرار لم يقتصر على الاراضي المصرية المحتلة بل تعداه الى كافة الاراضي العربية المحتلة ولاول مرة تستخدم منظمة الوحدة الافريقية في قراراتها الخاصة بالصراع العربي الاسرائيلي عبارات قوية نسبيا مثل (التحدي الذي تقوم به اسرائيل) . كما قررت المنظمة الاسهام فعليا في حل النزاع العربي الاسرائيلي بتشكيل لجنة من الزعماء الافريقيين سبق ان استعرضنا مهمتها . كما تبين لنا من خلال تتبع المواقف الافريقية ان قضايا الوجود والامن الاسرائيلي تعد حقيقة تسلم بها جميع الدول الافريقية وقد يكون من الضروري ان نتتبع المواقف المنفردة التي تبنتها بعض الدول الافريقية ازاء اسرائيل والتي تتنوع وتختلف اسبابها ولكن الصراع العربي الاسرائيلي يشكل احد عناصرها الرئيسية .

غينيا والصراع العربي الاسرائيلي :

كانت غينيا هي اولى الدول الافريقية التي اعلنت عن قطع علاقاتها مع اسرائيل في ٥ يونيو ١٩٦٧ ووقفت موقفا صريحا في ادانتها لاسرائيل بسبب عدوانها على الدول العربية ، وكان الرئيس احمد سيكوتوري قد صاغ موقف غينيا عند قطع علاقته باسرائيل على اثر حرب يونيو على احسن ما يكون الفهم للقضية الفلسطينية باعتبارها جزءا من حركة التحرر العالمية منطلقا من ان شعب غينيا نفسه كان معرضا ليكون بديلا للشعب الفلسطيني والشعوب العربية . وقد عاد لشرح موقفه تفصيلا في حديث مع التليفزيون الفرنسي وبعض مندوبي الصحف الفرنسية والافريقية في مايو ١٩٧٠ بمناسبة احتفالات الحزب الديموقراطي الغيني بذكرى تأسيسه . اذ قال (ان المشكلة الفلسطينية مطروحة بطريقة سيئة فهناك جانب من الراي العام يعتقد انها مشكلة دينية وآخرون يعتقدون انها مشكلة خاصة بالشرق الاوسط اي انها مشكلة علاقات بين مجتمع يهودي ومجتمع عربي بينما هي في الواقع مشكلة سياسية لانها ليست دينية كما انها ليست عنصرية لان اليهود آدميون لهم نفس الحقوق البشرية ، وغينيا تدين الواقع السياسي الذي ادى الى اغتصاب جزء من الاراضي الفلسطينية لفرض دولة يهودية خاصة وان غينيا كاد ان يتعرض جزء من اقاليمها (منطقة الفوتا جالون) لمثل هذا الموقف من جانب اليهود خلال الحرب العالمية الاخيرة . ان الاستعمار فرض وجود دولة يهودية على حساب شعب آخر هو الشعب الفلسطيني وغينيا تعارض الاغتصاب كما ان جميع الدول المعادية للاستعمار ايا كان حبها لليهود ينبغي ان تتفهم الطابع القومي للوحدة الاقليمية لاي مجتمع من المجتمعات وينبغي ان تساعد فلسطين

على اعادة الحقيقة التاريخية وبعد ذلك يأتي دور الحقيقة الاجتماعية التي يدافع عنها اليهود وهي وان كانت حقيقة مشروعة ولكنها تأتي بعد الحقيقة التاريخية فبعد ان تستعيد فلسطين سيطرتها على اراضيها ينبغي ان يتمتع اليهود بجميع الحقوق المعترف بها للانسان وينبغي تمكين اليهود والعرب من العيش في سلام (٥٧) .

ومن هنا يتضح لنا ان قرار غينيا بقطع علاقاتها مع اسرائيل ينبع من الموقف السياسي والفكري لحكومة غينيا ازاء حركة التحرر الوطني في العالم العربي باعتبارها جزءا من حركة التحرر العالمية .

اوغندا والصراع العربي الاسرائيلي :

لقد بدأت العلاقات بين اوغندا واسرائيل تتوتر عقب البيان المشترك لمحادثات الرئيس الاوغندي عيدي امين والرئيس الليبي معمر القذافي الذي صدر في شهر فبراير ١٩٧٢ ، وقد ايد ذلك البيان كفاح الشعب العربي ضد الصهيونية والاستعمار وحق الشعب الفلسطيني في استعادة اراضيه المسلوبة بكل الوسائل . وقد هاجمت وزارة الخارجية الاسرائيلية ذلك البيان ووصفته بانه قائم على غير اساس ويسيء للعلاقات بين اوغندا واسرائيل . وفي ٢٣ مارس ١٩٧٢ اعلن الرئيس عيدي امين انه لن يجدد الاتفاقيات الخاصة بالتدريب العسكري بين بلاده واسرائيل ولن يجدد اية اتفاقيات معها واتهم الحكومة الاسرائيلية وسفارتها في كمبالا بممارسة نشاط تخريبي ضد حكومته واصدر امرا لرجال المخابرات الاسرائيلية في اوغندا بمغادرة البلاد والعودة الى اسرائيل كما ذكر انه قد وجه تحذيرا الى دافيد لازود السفير الاسرائيلي في كمبالا في شهر فبراير ١٩٧٢ بانه سيغلق السفارة اذا ثبت ان اسرائيل تعمل ضد مصالح اوغندا . وفي اليوم التالي اصدر الرئيس الاوغندي بيانا قرر فيه ابعاد السكرتير الاول في سفارة اسرائيل باوغندا وجميع عملاء المخابرات الاسرائيلية الذين يعملون معه . وفي ٢٦ مارس اعلن الرئيس عيدي امين وقف كل المشروعات التي تنفذها الشركات الاسرائيلية في بلاده وفي مقدمتها مشروع انشاء مطار في شمال اوغندا (٥٨) .

وقد تحدث الرئيس الاوغندي عن الاسلحة التي قدمتها اسرائيل الى اوغندا وصرح بانها قد استخدمت من قبل ثم اصلحت وبيعت لاوغندا ولا يمكن لاوغندا ان تدفع اموالا في شراء معدات مستعملة . كما اعرب الرئيس عيدي امين عن دهشته عندما اكتشف ان عدد الاسرائيليين في اوغندا ٧٠٠ شخص بينما توضح سجلات ادارة الهجرة ان عددهم يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ شخصا فقط مما يوضح ان عددا من الاسرائيليين قد دخلوا البلاد بطريقة غير مشروعة . وفي ٢٧ مارس تم ترحيل جميع الخبراء العسكريين الاسرائيليين من اوغندا تنفيذا لقرار الرئيس الاوغندي بسحب كل البعثات العسكرية الاسرائيلية من اوغندا . كما اصدر قرارا بترحيل جميع الاسرائيليين المقيمين في اوغندا ويبلغ عددهم نحو ٧٠٠ شخص كلهم من المدنيين وذلك بعد ان تم ترحيل

٥٧ ـ مجلة افريكاسيا ، باريس ، يونيو ١٩٧٠ .

٥٨ ـ تقارير الجامعة العربية ـ ادارة الاعلام ـ مارس وابريل ١٩٧٢

العسكريين . وفي ٣١ مارس اعلن الرئيس عيدي امين في خطاب القاه امام كبار الضباط الاوغنديين انه اصدر قرارا باغلاق السفارة الاسرائيلية في كمبالا وانه قد تم ابلاغ الحكومة الاسرائيلية بهذا القرار الذي اتخذه بسبب النشاط الهدام من جانب بعض الاسرائيليين في اوغندا (٥٩)

صدى قرار الرئيس الاوغندي في اسرائيل :

ان استعراض رد الفعل الاسرائيلي للقرار الاوغندي والذي تمثل في تعليقات الصحف الاسرائيلية او تصريحات المسئولين هناك يعكس لنا التظاهر باللامبالاة ومحاولة التخفيف من الحدث في البداية ثم تصاعد الاهتمام حتى اصبح دعوة شاملة لاعادة النظر والتقييم للسياسة الاسرائيلية بكاملها في افريقيا. فقد اصدرت وزارة الخارجية الاسرائيلية بيانا في ٢ ابريل ١٩٧٢ اعلنت فيه ان الشائعات التي تحدثت عن قيام الاسرائيليين بنشاط هدام في اوغندا لا اساس لها من الصحة وان اي مواطن اسرائيلي لم يدخل اوغندا او يعمل بها دون موافقة السلطات الاوغندية (٦٠) وقد كان هذا البيان بمثابة رد على الرئيس عيدي امين الذي اعلن انه اكتشف دخول عدد كبير من الاسرائيليين الى اوغندا بطرق غير مشروعة .

وقد اعلنت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل في ١٣/١٠/١٩٧٢ بانها (لا تعتبر موقف رئيس اوغندا من اسرائيل بمثابة فشل باي صورة من الصور بل ان تغير اوغندا يرجع في اساسه الى امتناع اسرائيل عن تزويد اوغندا بطائرات الفانتوم التي طلبتها) (٦١) .

كذلك حاول ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل في البداية التهوين من قيمة الحدث ثم ارجعه الى شذوذ الرئيس عيدي امين اولا والى رفض اسرائيل الاستجابة لطلب اوغندا بشأن منحها قرضا ماليا ثانيا وقد فعلت اسرائيل ذلك لاقتناعها بان هذا القرض لن يحل مشاكل اوغندا (٦٢) .

اما الاعلام الاسرائيلي فقد ابدى غضبه ودهشته وخاصة في الايام الاولى التي اعقبت صدور القرار الاوغندي وظهر كثير من التفسيرات التي تغلب عليها طابع الانفعال الا ان ذلك لم يمنع من ظهور اراء اسرائيلية اخرى تطالب باعادة النظر والتقييم للسياسة الاسرائيلية ككل في افريقيا . فقد عالج موشى شامير الموضوع في معاريف في ١٤/٤/١٩٧٢ تحت عنوان (افريقيا نهاية الامل الطيب) قال (يبدو ان الاموال التي انفقتها اسرائيل على نشاطها في افريقيا كادت تذهب مع الريح . فقد تلاشت جميع الاحلام الاسرائيلية في الاحتفاظ بافريقيا كرصيد احتياطي لمساندة اسرائيل في المجالات السياسية والاقتصادية . ولكن ما يخفف من المأساة ان الدول الكبرى ، الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي ، قد تلقت صفعات حادة من افريقيا .

٥٩ — د. غسان العطيه ، المرجع السابق ، ص ٨٩ ، تقارير ادارة افريقيا — هيئة الاستعلامات المصرية .
٦٠ — نشرة رصد الاذاعة اسرائيل ، العدد ٦٥ ، ١٤/١٠/١٩٧٢ .
٦١ — المرجع السابق ، العدد ٩٦ ، ١١/١١/١٩٧٢ .
٦٢ — د. غسان العطيه ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

لقد حذرنا اصدقاؤنا من بقائنا وحدنا بشكل مطلق في الميدان الدولي ومن احتمال فقدان آخر اصدقائنا . فالسبب ليس رفضنا الانسحاب من الاراضي المحتلة بل هناك اسباب اخرى . فعلى الاسرائيليين الذين يعملون في اسيا وافريقيا ان يؤمنوا بحقها في التحرر والتطور لانهم لو فعلوا ذلك فانهم سوف يخدمون اسرائيل اكثر مما لو عملوا لتحقيق مصالح اخرى وعقد صفقات تجارية بحتة ، لقد مضى شهر عسل تحرر الدول الافريقية وانتهت الاسطورة الجميلة وبدات الحقائق تبدو بشكلها البشع في الكونغو وغانا . نيجيريا ــ اوغندا ــ زنزبار) . ويطالب الكاتب في نهاية المقال بضرورة انتهاج سياسة تحكمها الاعتبارات السياسية اكثر من الاعتبارات الاقتصادية وذلك بالنسبة للقارة الافريقية ويدعو الى توجيه المعونات الى الشعوب مباشرة وليس الى الحكام لانهم غير مستقرين سياسيا كما يطالب باستثمار الاموال الاسرائيلية في مجالات التربية والتصنيع وتطوير الزراعة في القرى بدلا من توجيهها للاستثمار في المجالات العسكرية التي تستلزم بالضرورة التدخل في الشئون الداخلية لهذه الدول وبالتالي الاصطدام بهم . ويوجه نقدا الى السياسة الاسرائيلية في افريقيا بسبب اعتمادها على الصفقات التجارية ومساعدة الحكام غير المستقرين ولم تركز على المشروعات التي تحدث تغييرا في البنية الافريقية على المدى البعيد (٦٣) .

هذا وقد فسرت بعض الصحف الاسرائيلية الموقف تفسيرا ميكانيكيا فارجعته الى عوامل خارجية في محاولة للابتعاد عن مناقشة الاسباب الحقيقية لتدهور العلاقات الاسرائيلية الاوغندية وقد عبرت عن هذا التيار صحيفة جيروزاليم بوست اذ ذكرت في ١٩٧٢/٥/٨ ان ليبيا قد عرضت على اوغندا معونة مالية ضخمة بشرط ان يتخذ عيدي امين موقفا معاديا لاسرائيل يصل الى حد قطع العلاقات معها . وقد طالبت الصحيفة حكومة تل ابيب بالرد على اجراءات عيدي امين لانقاذ نفوذ اسرائيل في افريقيا ومنع احتمال التدهور في دول افريقية اخرى (٦٤) .

كما اثار القرار الاوغندي مخاوف كثير من الدوائر الاسرائيلية التي خشيت ان يمتد التأثير الى باقي الدول الافريقية فتحذو حذو اوغندا . وقد عبر عن هذا الاتجاه تمارجولان مراسلة معاريف في افريقيا التي كتبت في ١٩٧٢/٦/١٥ ، تحت عنوان (سنة الانتكاسات في افريقيا) تشير فيه الى القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الافريقي في الرباط في مايو ١٩٧١ بادانة العدوان الاسرائيلي على مصر والاراضي العربية واستنكار موقفها من مهمة يارنج ويطالب بضرورة انسحابها من الاراضي المحتلة وبالامتناع عن تزويدها بالسلاح والمساندة مما يساعد على تماديها في تحدي الراي العام العالمي ، والامم المتحدة . وترى الكاتبة ان هذا القرار يمثل بداية انتكاس العلاقات الافرو اسرائيلية ، اذ ان هذا العام الذي بدأ منذ مايو ١٩٧١ الى مايو ١٩٧٢ يعتبر اكثر الاعوام اشتعالا في تاريخ العلاقات الاسرائيلية الافريقية رغم توقع اسرائيل انه سيكون عام مليء بالآمال الكبيرة ولكنه كان عام الهزائم الكبيرة . ففي مطلع العام صدر قرار اديس ابابا الخاص بتشكيل لجنة الحكماء الافريقيين للمساهمة في حل ازمة الشرق

٦٣ ــ ارشيف الصحف العبرية ، مركز الابحاث ، بيروت .
٦٤ ــ د. غسان العطيه ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

الاوسط ولم تسفر جهودهم عن نتائج ايجابية اذ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في النهاية في ديسمبر ١٩٧١ قرارا يؤيد العرب ويدين اسرائيل ولولا المساندة الافريقية لما صدر القرار بهذا الاجتماع ، وقد احدث ذلك رد فعل سيئا في اسرائيل كما اثبت لنا ذلك عدم جدوى الاعتماد على الدول الافريقية في صراعنا الدولي . وقد اكد هذه الحقيقة موقف اوغندا من اسرائيل ومواقف الجنرال عيدي امين المعادية لاسرائيل والذي سبب ازعاجا واضحا في القدس ..ان ما حدث في اوغندا سيكون له رد فعل بعيد المدى في افريقيا واسرائيل . وقد بدات البوادر باحجام بعض الدول الافريقية وترددها في قبول المشروعات والمساهمات الاسرائيلية تاثرا بما حدث في اوغندا . وكذلك الشركات الاسرائيلية بدات تخشى استثمار اموالها في افريقيا خشية تكرار ما حدث في اوغندا ولم تنجح وزارة الخارجية الاسرائيلية في اقناعهم . ورغم ان الموقف لا يزال وديا تجاه اسرائيل في بعض الدول الافريقية مثل ساحل العاج ، فان الدول التي تتميز بعدم الاستقرار السياسي من المحتمل جدا ان يتغير موقفها من اسرائيل ومن الصعب اعادة الزمن الى الوراء : فالموقف الآن مختلف تماما بالنسبة لاسرائيل في افريقيا . فعلى الجماهير الاسرائيلية ان تدرك انه من الصعب ان تمسك العصا من طرفيها فعلينا ان نعيد النظر في موقفنا من القرارات التي تتخذ ضد اسرائيل في المحافل الدولية وتكون اكثر مرونة . وفيما يتعلق بالدول الافريقية الصغيرة مثل داهومي والنيجر وتوجو لا يمكن ولا نستطيع ان نعوضها او نمنعها من الوقوع اسيرة للضغوط الفرنسية او العربية (٦٥) .

وقد حاول المعلق السياسي الاسرائيلي الياهو سلفطر في صحيفة هآرتس ان يستخلص بعض الدروس من التجربة فكتب في ١٩٧٢/٣/١٧ يقول (اذا تعلمت اسرائيل ودول الغرب من تجربتها في مشاريع المساعدات فلن يكون العرفان بالجميل بحد ذاته غاية هذه المساعدات . ان اية دولة لا ترغب في ان تكون اسيرة فضل دولة اخرى ، وعندما تكون العلاقة المعنية بين دولة فقيرة ودولة كبيرة قد تتحول المساعدة الى عامل حساسية يسيء الى العلاقات بين الدولة التي تعطي وتلك التي تأخذ) . وقد دعا سلفطر الراي العام الاسرائيلي الى عدم تضخيم اثار المساعدات الاسرائيلية للدول الافريقية وبالتالي عدم توقع عرفان بالجميل كما اوضح لهم خطأ التصور بان اسرائيل لا تحصل على فوائد من المساعدات التي تقدمها بل انها عمليا تحقق لاسرائيل الكثير من الفوائد . كذلك اشار الى عدم ضخامة المساعدات التي تقدمها اسرائيل لافريقيا اذ انها لا تزيد عن ٣ ملايين ليرة اسرائيلية سنويا . وقد اتفق سلفطر مع شامير في وجهة النظر التي تنادي بضرورة عدم الاعتماد على المساعدات العسكرية فحسب بل يجب ان تمتد العلاقة الى مجالات اخرى ترتبط بالسكان انفسهم كذلك طالبا بضرورة مراعاة عامل الاستقرار السياسي والاقتصادي واخيرا يجب عدم فقدان الاعصاب امام تصريحات الزعماء الافريقيين استنادا الى واقع التجربة الاسرائيلية في افريقيا التي تؤكد المد والجزر (٦٦) .

---

٦٥ — ارشيف الصحف العبرية ، المرجع السابق .

٦٦ — د. غسان العطيه ، المرجع السابق ص ١٠٢ ، نقلا عن نشرة م.د.ج. ١٩٧٢/٤/١ .

تفسير التحول الاوغندي :

من الخطأ تبني التفسير الاسرائيلي او الغربي لقرار الرئيس الاوغندي عيدي امين بتصفية النفوذ الاسرائيلي في اوغندا، هذا التفسير الذي يرجع التحول الاوغندي الى الصفقة المالية التي تمت بين ليبيا واوغندا . فقد نفى عيدي امين هذا الاتهام واكد ان استقلال اوغندا لا يمكن ان يباع بالاموال و (ان طرد اسرائيل يرجع اساسا الى حرصي على تحرير اقتصاد اوغندا من السيطرة الاسرائيلية) . كما صرح بانه قد اتخذ قرارا لطرد اسرائيل في يناير ١٩٧٢ اي قبل زيارته لليبيا. والواقع ان هناك عدة عوامل داخلية وخارجية تكاتفت وساعدت على حدوث هذا التغير وتتلخص في ان الرئيس عيدي امين قد تسلم الحكم عقب انقلاب عسكري اطاح بحكم الدكتور اوبوتي الذي كان قد بدأ في نهاية حكمه سياسة تجريبية ذات طابع اشتراكي وقد جاء عيدي امين وقرر الغاء معظم القرارات الاشتراكية التي اتخذها اوبوتي بشأن التأميم الكامل والجزئي لبعض القطاعات الاقتصادية وسعى الى كسب تأييد الطبقات التي اضيرت بسبب السياسة الاشتراكية للدكتور اوبوتي . ومن الناحية القبلية عمل عيدي امين على اضعاف العناصر القبلية المعروفة بتأييدها للدكتور اوبوتي وقام بتصفية جميع انضباط الموالين له . كذلك في السياسة الخارجية حرص الرئيس عيدي امين على توطيد علاقاته مع الدول المناوئة لسياسة اوبوتي واتجه نحو تدعيم علاقاته الاقتصادية والعسكرية مع اسرائيل ، وخفف من حدة سياسة اوغندا المعادية للغرب وفي النهاية وجد نفسه معزولا عن الدول الافريقية التي تعاطفت مع اوبوتي وهي تانزانيا والصومال وزامبيا والسودان . كما ازداد اعتماده على اسرائيل والغرب وقد ادى ذلك الى مزيد من التغلغل الاسرائيلي داخل اجهزة الحكم والقوات المسلحة في اوغندا وبتصاعد الازمة الاقتصادية في اوغندا والتي انعكست على انخفاض احتياطي العملات الاجنبية بها فقد وصلت من ٤٤٫٨ مليون دولار في يناير ١٩٧١ الى ٥ ملايين دولار في نهاية العام (٦٧) . وقد طلبت اوغندا من اسرائيل تعديل شروط دفع ديون اوغندا لاسرائيل . ولكن اسرائيل لم تهتم بالامر كذلك خشي الرئيس عيدي امين بسبب زيادة تغلغل اسرائيل وتوطيد علاقتها بكبار الجنرالات في اوغندا من احتمال قيام انقلاب مضاد بمساندتها ويبدو ان الرئيس عيدي امين قد بدأ يدرك عقم الخط السياسي الذي تبناه وانه سوف يقوده الى طريق مسدود بالنسبة لمستقبل اوغندا السياسي والاقتصادي فلذلك بدأ يعيد النظر في سياسته ككل وقد كان قراره ضد اسرائيل يمثل بداية جديدة لخط سياسي مختلف بدأ الرئيس عيدي امين يتبناه ، هذا الخط الذي قاده الى الاصطدام بالجالية الاسيوية في اوغندا والذي انعكس على سياسة اوغندا الخارجية حيث بادر بتحسين علاقاته مع دول الكتلة الاشتراكية وسعى لانهاء القطيعة مع السودان مما ساعد على انهاء الحرب الاهلية في جنوب السودان ، وقد ادى هذا الى فتح مجال واسع للتعاون بين البلدين كما ساعد على حل مشكلة اللاجئين السودانيين في اوغندا وقد كانوا يشكلون عبئا اقتصاديا عليها . كما بدأ يلتزم بسياسة افريقية اكثر تحررا وقد اعلن مساندة اوغندا وتأييدها لحركات التحرر الوطني

---

٦٧ - المرجع السابق ، ص ٩٦ .

الافريقي وهاجم الانظمة العنصرية في جنـوب القاره . ولذلك لا بـد قبـل مناقشة اسباب الموقف الاوغندي من اسرائيل ان نضع علاقة اسرائيل مع اوغندا فـي اطارها الصحيح ، وحينئذ نستطيع ان نتوصل الى التفسير الموضوعـي وهـو ان القـرار الاوغندي ضد اسرائيل لم يكن حدثا شاذا عن مجريات الامور داخل اوغندا بل يعتبر جزءا من سياسة كاملة بدأتها حكومة اوغندا بهذا القرار ولا زالت تواصلها حتى الآن. ولا شك ان الرئيس عيدي امين قد استفاد من اصطدامه بالاسرائيليين لتحسين علاقاته مع الدول العربية وبالذات الافريقية منها وقد قام بزيارة عواصم تسع دول عربيـة خلال شهري يونيو ويوليو ١٩٧٢ . كما قام بجولة اخرى لعواصم الدول العربية التي تعرضت للعدوان الاسرائيلي في اكتوبر ١٩٧٣ .

قطع العلاقات بين تشاد واسرائيل :

اعلن الرئيس فرانسوا تومبالباي رئيس جمهـورية تشاد في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٢ في فورت لامي عاصمة تشاد في بيان له بمناسبة ذكرى اعـلان الجمهورية ان بلاده قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ووقف كل اشكال التعاون معها . وصرح الرئيس تومبالباي بانّ وجود الاسرائيليين في تشاد يهـدد امـن البلـد وامن البـلاد الافريقية المجاورة . واضاف قائلا انـه قـرر قطع العلاقات مـع اسرائيل لازالة كل العوائق التي تعترض تضامن افريقيا الكامل مع العرب . وقد ذكرت وكالة انباء تشاد ان هذا القرار هو قرار تاريخي يتسم بالشجاعة وان المسألة بوضوح تتعلق بتأكيد مساندتنا للشعب الفلسطيني الذي طرد من اراضيه وسلبت منه حقوقه كمـا تتعلق برغبتنا في ابداء تضامننا ازاء اشقائنا الافريقيين من ابناء الامة العربية الذين تقـوم بينهم وبين الدولة اليهودية حرب مباشرة (٦٨) .

رد الفعل الاسرائيلي :

اعربت الدوائر الرسمية في اسرائيل عن اسفها لقرار تشـاد الخاص بقطـع العلاقات واشارت الى ان تشاد اول بلد افريقي يحذو حـذو اوغندا التـي قطعت علاقاتها باسرائيل في بداية العام (مارس ١٩٧٢) . وقد دعا ايجال الون نائب رئيسة وزراء اسرائيل في تصريح ادلى به في ٢٩ نوفمبر ١٩٧٢ قبل سفره الـى الولايات المتحدة الى ضرورة اعادة النظر في دراسة وتقييم مركز اسرائيل الدبلوماسي فـي افريقيا بعد انقطاع العلاقات مع تشاد . وقال محاولا التخفيف مـن صدى القـرار التشـادي (انه يتعين على اسرائيل الا تشعر بخيبة امـل كبيرة لاعـلان تشاد قطع العلاقات الدبلوماسية مـع اسرائيل خاصة وانه لا توجـد اسباب جوهـرية لهذا القرار) (٦٩) .

وقد حاول ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي ان يعطي تفسيرا لهذا القرار فادلى بتصريح في ٢٩ نوفمبر ١٩٧٢ في القدس في كلمة القاها امام المجموعة البرلمانية بجبهة حزب المابام قال (ان القرار الذي اعلنته تشاد بقطع العلاقات الدبلوماسية مع

٦٨ــ هيئة الاستعلامات المصرية ــ ادارة فلسطين . نشرة خاصه . م.
٦٩ ــ الاهرام ، ١٩٧٢/١١/٣٠ .

اسرائيل قد اتخذ تحت الضغط الشديد من جانب ليبيا والمملكة العربية السعودية وعلى اثر وعد بمساعدة هاتين الدولتين لتشاد) . كما اشار ايبان الى ان تشاد وبعض الدول الافريقية الاخرى في حاجة الى اعتمادات مالية كبيرة ولا تملك اسرائيل الوفاء بها ولذلك فان هذه الدول تتجه الى الدول العربية الغنية التي تضع شرطها الاول لتقديم مساعدتها قطع العلاقات مع اسرائيل (٧٠) .

اما الاعلام الاسرائيلي فقد اعرب عن احساسه بخيبة الامل والقلق بسبب القرار التشادي واعتبره بمثابة ضربة نفسية لا تقل تاثيرا عن قرار اوغندا بقطع علاقاتها مع اسرائيل . وقد كتب بنجامين توبيرجر في صحيفة يديعوت احرونوت في ١٩٧٢/١٢/٣ يقول (رغم قلة الاستثمارات الاسرائيلية في تشاد فان الخلاف السياسي مع تشاد له صدى اكثر قوة بسبب تاثير الرئيس تومبالباي على مجموعة الفرانكوفون في غرب افريقيا) . ويفسر الكاتب قرار قطع العلاقات بانه يرجع الى التقارب بين الرئيس تومبالباي والقذافي الذي تم بتشجيع من فرنسا التي اشترطت على ليبيا وقف مساندتها للثوار في تشاد من اجل تزويدها بالطائرات الفرنسية وقد استجابت ليبيا للضغط الفرنسي من اجل الحصول على الميراج اولا ثم من اجل المساهمة في ابعاد اسرائيل عن المجال الافريقي ثانيا ، ويشير الكاتب الى ان سياسة شراء الزعماء الافريقيين قد لعبت دورا هاما في هذا الصدد فقد استطاعت دول النفط ان تشتري الرئيس تومبالباي . ويحذر الكاتب من ان هذا الخطر لا يزال قائما بالنسبة لباقي الدول الافريقية الاخرى التي تعاني من مشاكل اقتصادية وخاصة الدول الافريقية الاسلامية (مالي ـ النيجر ـ نيجيريا ـ سيراليون) سواء كان المسلمون في الحكم أم لا فلو كانوا حكاما سيتطلعون الى اخوانهم الاغنياء في المنطقة العربية واذا كانوا في المعارضة فستلجأ الحكومات الى اساءة العلاقات مع اسرائيل كوسيلة رخيصة لارضائهم) (٧١) ولا تخفي الصحافة الاسرائيلية مخاوفها من امتداد الموجة الى باقي الدول الافريقية كما انها لا تجد وسيلة لتبرير هزيمتها في افريقيا امام الراي العام الاسرائيلي سوى تركيزها على (المال العربي) وانه هو الذي كان وراء التحول في هذه الدول ثم القول بان (الاسلام) هو السبب الاخر لما حدث . وقد قدم هذا النوع من التبرير احد المعلقين البارزين في الصحافة الاسرائيلية وهو (دان مرجليت) في صحيفة هآرتس في ١٩٧٢/١٢/٨ وقد تضمن هذا التبرير الاعتراف بحقيقة العلاقات التي كانت قائمة بين اسرائيل وبعض الدول الافريقية كما انه يشير الى ان الحكومة الاسرائيلية كانت تفرض حظرا على الصحافة يمنعها من الخوض في شئون الدول والانظمة الافريقية . يقول مرجليت : (ان كافة وسائل الاعلام في اسرائيل تشترك في الجهد المبذول من اجل عدم اغضاب رؤساء الدول في القارة السوداء . وبدا احيانا انه حتى في اللحظات الاكثر حساسية في شبكة العلاقات الاسرائيلية الافريقية لم يبذل جهد اساسي ومركز الى هذا الحد لضمان سكوت وسائل الاعلام الاسرائيلية كما حدث بنجاح تكريما لبعض رؤساء القبائل الذين اصبحوا رؤساء دول صغيرة في افريقيا .

---

٧٠ ـ ارشيف مركز الابحاث ، ملف (اسرائيل وافريقيا) .

٧١ ـ الارشيف العبري ، مركز الابحاث ، المرجع السابق .

ففي بداية الازمة مع اوغندا الحجج عيدي امين على خبر نشر في صحيفه دافار . ولم يكن امين وحيدا في احتجاجه فهناك حكام افريقيون يجيزون لانفسهم توبيخ اسرائيل بسبب ما ينشر في صحفها فعندما ينشر في صحيفة اسرائيلية حرة خبرا عن احدى الدول الافريقية تسمح حكومة افريقية فزمة لنفسها بدعوة المندوب الاسرائيلي لديها وتوبيخه وفي حالات معينة تهدده . ويتخذ رؤساء القبائل في القارة السوداء ما ينشر أحيانا في الصحف الاسرائيلية كذريعة لتسوية علاقاتهم مع القدس . وهذه غالبا مجرد حجة كما ثبت في حالة اوغندا عندما توهم بعض الخبراء بانه لولا نشر معلومات في الصحف الاسرائيلية لكان بامكانهم منع وقوع الازمة مع الجنرال عيدي امين او تأخيرها) . (٧٢) .

ويواصل دان مرجليت مشيرا الى الصراع المزدوج الذي تخوضه اسرائيل على الجبهة الافريقية ضد المال والاسلام يقول (تبرز مقدرة القذافي ومن بعده فيصل السعودية على استغلال الاسلام لاغراض سياسية . وفي مواجهة الاسلام تستخدم اسرائيل وسائل الاعلام وتحاول ان تشرح من خلالها للدول الافريقية ، ضرورة الفصل بين الدين والدولة وتبذل جهدها في اقناع الحكومات الافريقية بانه لا يجوز السماح لحكومات اخرى بالتدخل في شئونها الداخلية والانتقاص من سيادتها . اما المال فانه ليس بمقدرة اسرائيل ان تنافس المساعدات المالية الليبية والسعودية . فقد طلبت تشاد مساعدات اقل من ١٠ ملايين دولار . وقد درس المسئولون الاسرائيليون الطلب وتوصلوا الى ان مساعدة كهذه لن تعود بالفائدة على علاقات البلدين فستحصل تشاد على المال دون ان تحل مشكلاتها وستطلب بعد ذلك مساعدات اضافية وتهدد باللجوء الى ليبيا ولا تريد اسرائيل المخاطرة باستثمارها الاول . ثم يعترف الكاتب بان علاقة اسرائيل مع بعض الدول الافريقية كانت قائمة على الرشوة اذ يقول (ان على اسرائيل الا تفاجأ بالاتجاه الافريقي للسير وراء المال فهي تعرف من تجربتها انه كانت هناك حاجة الى مبالغ كبيرة لرشوة اشخاص مختلفين في افريقيا للحصول على مشاريع تنمية تقوم بها اسرائيل . وكانت هناك حالات استلزمت دفع نفقات للزعماء لكي يوافقوا على زيارة اسرائيل وفي مناسبات اخرى كان ينبغي دفع ثمن المصالحة لازالة غضب زعيم افريقي او آخر . لذلك كان على اسرائيل ان تدرك ان القارة السوداء غير حصينة في وجه العروض المالية والرشوة) (٧٣) .

ويشير الكاتب الى الاسباب السياسية التي تكمن وراء القرار التشادي فيقول (انني اعتقد ان الرشوة الليبية لا تشمل فقط وعودا بالمساعدات المالية لتشاد وانما تتضمن ايضا الوعد بالقضاء على حركات التمرد الاسلامية في تشاد . فقد توهمت تشاد انها بقطع علاقاتها مع اسرائيل قد اشترت هدوءا وبحبوحة خلال سنوات عديدة قادمة ولكن هناك خطأ فادحا تقع فيه افريقيا في هذه النقطة بالذات . اذ ان رضوخ تشاد السريع والوضع المهزوز في عدة دول افريقية سوف يشجع فئات اسلامية

٧٢ – مجلة البلاغ البيروتية ، اكتوبر ١٩٧٣ والارشيف العبري لمركز الابحاث – المرجع السابق
٧٣ – المرجع السابق .

متطرفة على تشديد حربها ضد الحكومات المركزية التي يتكون معظمها من مسيحيين واصحاب معتقدات اخرى . ونحن مقتنعون بانه لـن تمر فتـرة طويلة الا ويتجدد النشاط التخريبي الاسلامي في تشاد) .

ويطالب دان مرجليت في نهاية مقاله الطويل بضرورة الاسراع باتخاذ قرار حـول كيفية الرد على اعمال القذافي لمنع انتشار اسلوب الرشوة ، فقد نجحت ليبيا في زعزعة العلاقات الدبلوماسية الاسرائيلية ببعض العواصم الافريقية ليس هذا فقط بل نجحت في زعزعة الافتراض السائد في جميع انحاء القارة السوداء بان القدس تعرف كيف تجد علاجا لكل ازمة . فالافريقيون لم يتعودوا رؤية اسرائيل تفشل . ان زعزعة العلاقات مع جزء من الدول الافريقية يخلق في عواصمها وضعا جديدا وتقديرات جديدة وهذا له تأثيره النفسي السلبي على رؤساء القارة السوداء .

دلالات القـرار التشادي :

يشير نص القرار الذي اتخذه الرئيس تومبالباي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل الى وجود اختلاف في الدوافع التي دفعت تشاد الـى قطـع علاقاتها باسرائيل عن تلك التي حركت اوغندا في نفس الاتجاه . فقد جاء في نص القرار ، انـه قرر قطع علاقات بلاده باسرائيل وذلك لاعتبارات تتعلق بالامن ولازالة كل العوائق التي تعترض تضامن افريقيا الكامل مع العرب) اي ان تشاد تأخذ في اعتبارها مسائل الامن والعلاقات مع الدول العربية المجاورة ، هـذا بينما نص قرار قطـع العلاقات الاوغندية الاسرائيلية على انه تم بسبب (النشاط الهدام من جانب بعض الاسرائيليين في اوغندا) ، نلاحظ هنا ان السبب الرئيسي لقرار الرئيس عيدي امين يرجع الى وجود تناقض اساسي بين اوغندا واسرائيل سببه زيادة نفوذ اسرائيل داخـل اجهزة الحكم والجيش في اوغندا وخشية الرئيس عيدي امين على مصالح اوغندا السياسية والاقتصادية ومصلحته هو الشخصية نتيجة لتغلغل اسرائيل غير العادي في الشئون الداخلية والعسكرية لاوغندا ولم يرد في قرار قطع العلاقات اية اشارة الى الصراع العربي الاسرائيلي بينما نلاحظ حدوث العكس في قرار حكومة تشاد الذي لا شك ان التقارب الفرنسي العربي كان له تأثير غير مباشر في اتخاذه فمن المرجح ان قرار تشاد قد اتخذ بتشجيع من فرنسا التي اوضحت للرئيس تومبالباي نتيجة لموقفها المتفهم للقضية العربية ابعاد الصراع العربي الاسرائيلي من الزاوية الموضوعية . كما اوضحت له ان افضل وسيلة لتوفير الامن في تشاد هي كسب حياد ليبيا وانه لا بـد لذلك من قطع علاقاته مع اسرائيل خاصة وان هذا القرار سوف يفتح امامه مجـالا واسعا للتعاون مع الدول العربية الغنية بامكانياتها الاقتصادية والقادرة على مساندته سياسيا في مواجهة اية اضطرابات قد تواجهه فـي الداخل . ولا شك ان الثقافة الفرنسية التي كان لها اثر فعال في التنشئة السياسية لقادة الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية ومنها تشاد بطبيعة الحال مما يفسر لنا مدى التأثير الفكري والسياسي الذي تستطيع ان تمارسه فرنسا بالنسبة للقارة الافريقية في منطقة الفرانكوفون . كما يجب ان يؤخذ في الاعتبار طبيعة المصالح الوطنية وما تمليه من مواقف وقرارات لها تأثيرها على العلاقات الدولية .

الكونغو برازافيل والصراع العربي الاسرائيلي :

اعلنت وزارة الخارجية الاسرائيلية في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ انهـا قررت اغلاق سفارتيها في الكونغو برازافيل والنيجر — وقال متحدث باسم الحكومة الاسرائيلية بان المسئولين الاسرائيليين ليسوا مقتنعين بهذا القرار ولكنهم مكرهون عليه ويبدو ان حكومة اسرائيل كانت تتوقع قرار حكومة الكونغو برازافيل بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، ولذلك بادرت باغلاق سفارتيها . وقد اعلنت الكونغو برازافيل قرارها بقطع العلاقات في ٣١ ديسمبر ١٩٧٢ وقال البيان الـذي اصدرته الحكومـة (ان جمهورية الكونغو تدين السياسة الامبريالية والتوسعية التي تتبعها اسرائيل) . وقد اصدرت وزارة الخارجية الاسرائيلية بيانا اشارت فيه الى انه ليس لديها اي تفسير او اسباب تبرر هذا القرار(٧٤) .

تفسير القـرار الكونغولي :

يمكن ارجاع القرار الكونغولي الى سببين اساسيين اولهما :

١ — طبيعة النظام السياسي في الكونغو برازافيل الذي اعلـن التزامه بالمنهج الماركسي اللينيني منذ سنة ١٩٦٨ وقد كان لذلك تاثيره الواضح في فهمه لحقيقة اسرائيل باعتبارها قاعـدة للاستعمار الامريكي فـي الشرق الاوسط وراس جسر للاستعمار الجديد في القارة الافريقية .

٢ — استمرار اسرائيل في عدم تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ الخاص بضرورة انسحابها من الاراضي العربية المحتلة وتمادي اسرائيل في تجاهل القرارات الدولية ومنها قرارات منظمة الوحـدة الافريقية التـي ادانت السياسة التوسعية التي تنتهجها اسرائيل وطالبت بضرورة انسحابها الفوري مـن جميع الاراضي العربية المحتلة . وكانت الكونغو برازافيل قد ايدت مشروع قرار دول عدم الانحياز في الجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٦٧ كما صوتت ضد مشروع دول امريكا اللاتينية اي انها ايدت العرب اثناء بحث النزاع في الامم المتحدة عام ١٩٦٧ كما وافقت على قرار الجمعية العامة الصادر في نوفمبر ١٩٧٠ وقرار الجمعية العامـة الصادر في ديسمبر ١٩٧١ الخاص بالصراع العربي الاسرائيلي .

النيجر والصراع العربي الاسرائيلي :

في اول يناير ١٩٧٣ اعلنت حكومة النيجر قطع علاقاتها مع اسرائيل فـي بيان اذيع في العاصمة نيامي عقب اجتماع لمجلس الوزراء . وقال البيان ان قـرار قطع العلاقات اتخذ استنادا الى القرار الـذي اصدره المكتب السياسي القـومي للحزب

---

٧٤ — تقارير ادارة الاعلام بالجامعة العربية عن (اسرائيل وافريقيا) ، تقارير ادارة افريقيا بهيئـة الاستعلامات المصرية .

التقدمي النيجيري . واعلن فيه انه يرى ان من غير المناسب وجود اي تمثيل دبلوماسي لاسرائيل في النيجر . وقد صدر هذا البيان تعقيبا على قرار اسرائيل باغلاق سفارتها في نيامي . واعلن المكتب السياسي في بيانه (نحن نشجع الحكومة على متابعة جهودها من اجل التوصل الى حل عادل ودائم في الشرق الاوسط على ان تضع في الاعتبار الاول الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني والتضامن مع شعب مصر الشقيق) . وقال الحزب انه اتخذ هذا الموقف على ضوء حقائق الجغرافيا السياسية الخاصة بلادنا ومصالح سكان النيجر المسلمين ومشاعرهم العميقة *

وكانت النيجر قد امتنعت عن التصويت على مشروع قرار دول عدم الانحياز وامتنعت عن التصويت على مشروع قرار دول امريكا اللاتينية ١٩٦٧ في الامم المتحدة وامتنعت عن التصويت على قرار الجمعية العامة للامم المتحدة الصادر في نوفمبر ١٩٧٠ وقرارها الصادر في ديسمبر ١٩٧١ .

ويشير هذا الى درجة التطور الذي حدث في موقف النيجر من الصراع العربي الاسرائيلي . فقد اكد بيان الحزب الحاكم في النيجر ان الدافع الاساسي وراء القرار الذي اتخذه الحزب بشأن قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل هو حدوث تغير كيفي في موقفه من الصراع العربي الاسرائيلي يرجع سببه الى التقارب العربي الفرنسي الذي ساعد بشكل غير مباشر على قيام فرنسا بدور هام في شرح ابعاد القضية العربية للقيادات الافريقية في منطقة الفرانكوفون (غرب افريقيا) مما ساهم في خلق رؤية جديدة للاوضاع في المنطقة العربية وكذلك ساهم تزمت اسرائيل وعدم احترامها للقرارات الدولية التي نصت على ضرورة انسحابها من الاراضي العربية المحتلة في خلق هذه الرؤية وقد ادى هذا في النهاية الى اعادة النظر في العلاقات الاسرائيلية الافريقية وترتب عليه صدور قرارات القطع التي بدأتها غينيا في يونيو ١٩٦٧ .

رد الفعل الاسرائيلي :

لم تبد الدوائر الرسمية في اسرائيل دهشتها لقرار حكومة النيجر بل اعلنت وزارة الخارجية الاسرائيلية بان اسرائيل ليس لديها خطط لتغيير سياستها في افريقيا وان على اسرائيل ان تتعلم كيف تستوعب الانتكاسات التي واجهتها في القارة الافريقية بنفس الطريقة التي اتبعتها بريطانيا والولايات المتحدة عندما تعرضت لظروف مشابهة في افريقيا . وقد توقف المسئولون الاسرائيليون عن الادلاء بالتفسيرات المختلفة ومحاولة ارجاع الموقف الى اسباب ومؤثرات خارجية مثل (الاموال الليبية والسعودية) و (الاسلام) .

نلاحظ هذه المرة ان المنطق الاسرائيلي الرسمي بدا يختلف . فقد اعترف ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل امام الكنيست في ٤ يناير ١٩٧٣ بفشل السياسة الاسرائيلية في افريقيا وقال انني اتوقع اقدام دول افريقية اخرى على قطع العلاقات معنا [٧٥].

* الاهرام ١٩٧٣/١/٢
٧٥ - المرجع السابق .

مالي والصراع العربي الاسرائيلي :

في ٥ يناير ١٩٧٣ اعلنت حكومة مالي قطع جميع علاقاتها الدبلوماسية والقنصلية مع اسرائيل واصدرت وزارة خارجية مالي بيانا حول هذا الموضوع جاء فيه (طبقا لما حدث في يونيو ١٩٦٧ فقد اتفقت جميع دول العالم تقريبا على الاعتراف بمسئولية اسرائيل في بدء العمليات الحربية . ومع ذلك فان المجتمع الدولي الذي تبنى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ كان يأمل عن طريق هذا القرار ان يسود السلام والوفاق بين شعوب الشرق الاوسط ولكن بدلا من ذلك شهد العالم حالة اللاسلم واللاحرب التي يتخللها من وقت لآخر غارات يقوم بها الطيران الاسرائيلي ضد سكان البلاد العربية وتسبب في مقتل الكثيرين من هؤلاء السكان . وازاء هذا الموقف الذي يسيء اساءة بالغة للسلام في المنطقة فان الواجب الملح امام المجتمع الدولي هو ارغام حكومة اسرائيل على الامتثال لبنود قرار مجلس الامن . وقد اصبح معروفا للجميع ان حكومة اسرائيل ترفض الامتثال للقرارات العديدة التي اتخذتها الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن ومنظمة الوحدة الافريقية وحرصا من حكومة مالي على اظهار استنكارها وتضامنها مع الشعوب العربية لذلك قررت قطع كل علاقاتها الدبلوماسية والقنصلية مع دولة اسرائيل) (٧٦) .

ومن الواضح ان مالي قد اتخذت قرار قطع علاقاتها باسرائيل على ضوء مواقفها السابقة من الصراع العربي الاسرائيلي . وكانت مالي قد ايدت جميع القرارات التي اصدرتها الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية الخاصة بضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة . وقد اشاد الرئيس موسى تراوري في البيان المشترك الذي صدر في اعقاب زيارته لمصر في مايو ١٩٧٠ بالدور الذي يقوم به الشعب الفلسطيني من اجل الدفاع عن حقه في الوجود وضرورة التوصل الى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين . اي ان مالي تؤيد حقوق الشعب الفلسطيني وتعترف في ذات الوقت بالوجود الاسرائيلي ولكنها لا تؤيد التوسع الاسرائيلي . وقد كان قرارها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل تعبيرا عن هذا الموقف .

بوروندي والصراع العربي الاسرائيلي :

اعلن سيمباناتي وزير خارجية بوروندي ان بلاده قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ابتداء من ١٦ مايو ١٩٧٣ وان هذا القرار يعد تطبيقا لسياسة ادانة الاستيلاء على الاراضي عن طريق القوة . واشار الوزير البوروندي الى تنديد بلاده بالعدوان الاسرائيلي على الدول العربية واعلن ان سبب قطع العلاقات يرجع الى عدم احترام اسرائيل لقرارات الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية بشأن الانسحاب من الاراضي المحتلة . وقد ادلى سيمباناتي بهذا التصريح وهو في طريقه للاشتراك في مؤتمر وزراء خارجية دول منظمة الوحدة الافريقية . كما اعلن راديو كمبالا ان بوروندي

---

٧٦ ـ ارشيف سفارة مالي بالقاهرة .

اتخذت هذا القرار بعد ان اقتنعت بمساندة اسرائيل للمتمردين الذين قاموا بمحاولة غزو بوروندي في الاسبوع الماضي (٧٧) .

رد الفعل الاسرائيلي :

نفت اسرائيل انها ساعدت محاولة غزو بوروندي وقال متحدث باسم وزارة الخارجية الاسرائيلية (بانه ليس هناك اساس لهذا الادعاء) وان اسرائيل لا تتدخل في اي نزاع بين الدول الافريقية . وقد علقت صحيفة عال همشمار في ١٩٧٣/٥/٢٢ على موقف بوروندي فاشارت الى الاضطرابات القبلية والشبابية التي وقعت في بوروندي في ابريل ١٩٧٢ ضد حكومة مكيمامبا التي استعانت بقوات الرئيس موبوتو وتمكنت من استعادة الهدوء نسبيا للدولة وقد هرب كثير من اللاجئين الى زائير . ولم تشر الصحيفة الى الدور الذي قامت به اسرائيل في هذه الاضطرابات ومساندتها للمتمردين بل اكتفت بان اشارت الى (ان قطع العلاقات مع بوروندي لم يلحق اضرارا بالمصالح الاسرائيلية هناك ولكن التوقيت الذي اعلن فيه نبأ قطع العلاقات (عشية عقد مؤتمر وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية) كان الهدف منه التاثير على دول افريقية اخرى وقد اختير بايعاز من الدول العربية) . وتطالب الصحيفة المسئولين الاسرائيليين (بضرورة القيام بعمل جاد من اجل تجاوز مفاجآت اخرى في افريقيا على غرار هذه المفاجاة) وترى (ان الدول الفقيرة اقتصاديا من السهل وقوعها تحت ضغط الحاجة وعددهم ليس قليلا بين ان ٤١ دولة افريقية المستقلة) . وتبدي الصحيفة مخاوفها من احتمال تكرار التجربة خاصة بعد قطع كل من اوغندا وتشاد والنيجر والكونغو برازافيل ومالي وبوروندي علاقاتهم مع اسرائيل (٧٩) .

افريقيا وحرب ٦ اكتوبر

شهد عام ١٩٧٣ كما راينا سلسلة قرارات اتخذتها الدول الافريقية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل بدأت في مارس ١٩٧٢ عندما قطعت اوغندا علاقاتها باسرائيل ثم تلتها تشاد والكونغو برازافيل ثم النيجر ومالي واخيرا بوروندي. وقد تفاوتت ردود الفعل الاسرائيلية ازاء قرارات قطع العلاقات التي اتخذتها الدول الافريقية وتراوحت ما بين الدهشة والاحساس بخيبة الامل احيانا والنقد الذاتي ومحاولة القاء المسئولية على عوامل خارجية مثل (الاموال الليبية والسعودية) و (النفوذ الاسلامي) احيانا اخرى ولكن اجهزة الاعلام الاسرائيلي لم تعترف مطلقا بان سبب قطع الدول الافريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل يرجع الى سبب اساسي نصت عليه جميع القرارات الافريقية الخاصه بقطع العلاقات وهو (التعنت الاسرائيلي وعدم

---

٧٧ ـ الاهرام ١٧/٥/١٩٧٣ .

٧٨ ـ نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، ٢٢ د ١٩٧٣ .

٧٩ ـ الارشيف العبري ، مركز الابحاث ، المرجع السابق .

الاستجابة الى قرارات الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقيه الخاصـة بانسحـاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة) .

وقد اثار العدوان الاسرائيلي الجديد في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ السخط والاستنكار لدى الراي العام الافريقي واعربت حكومات الدول المستقلة ومنظمة الوحدة الافريقية عن تضامنها التام مع النضال العادل الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة . وقد ترجم هذا الموقف الى اجراءات قطع جماعي اتخذتها الدول الافريقية ضد اسرائيل باعتبارها الدولة التي تعرقل بسياستها العدوانيةاحراز السلام في الشرق الاوسط . وقد اخذت هذا الموقف في الايام الاولى للحرب ٩ دول افريقية هي على التوالي توجو ورواندا وداهومي وفولتا العليـا والكاميرون وغينيا الاستوائيةوتانزانيا وملاجاشيوافريقيا الوسطى. ثم توالت انباء قطع العلاقات على امتداد ايام الحرب وبعد صدور قرار وقف اطلاق النار فشملت اثيوبيا وكينيا والسنغال وساحل العاج ونيجيريا وزامبيا والجابون وبتسوانا وسيراليون وليبيـريا وغـانا وغامبيا . ومما يجدر بالذكر ان الرئيس موبوتو رئيس جمهورية زائير كان قـد اعلـن يوم ٤ اكتوبر قبل نشوب الحرب اثناء وجوده فـي الامم المتحـدة قطـع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل احتجاجا على الاحتلال الاسرائيلي اللاشرعي للاراضي العربية. وبذلك بلغ عدد الدول الافريقية التي قطعت العلاقات الدبلوماسية مـع اسرائيل ٢٩ دولـة .

وحينئذ لم يعد لاسرائيل تمثيل دبلوماسي في القارة الافريقية سوى علاقاتها مع الانظمة العنصرية في جنوب القارة وبعض الدويلات الصغيرة التي تدور في فلكها وهي جنوب افريقيا وروديسيا ثم ملاوي وسوازيلاند وليسوتو .

ويلاحظ وجود اختلافات بعض قرارات قطع العلاقات التـي اصدرتها الحكومات الافريقية ضد اسرائيل . اذ ان هناك بعض القرارات التي التزمت حرفيا بنص القرار الاخير الذي اصدرته منظمة الوحدة الافريقية في مؤتمر القمة الافريقي العاشر الذي ينص على ادانة العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية واقرار حقوق شعب فلسطين وطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية الى ما وراء الخطوط التي كانت قائمة قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ كما يدعو الدول الكبرى الى عدم تزويد اسرائيل بالاسلحة او المساندة السياسية التي تساعدها على التمادي في موقفها . بينما اكتفت بعض القرارات بالنص على (ان بلاده تأمل في توقف القتال في الشرق الاوسط وان يتـم التوصل الى حل يكفل احلال السلام الدائم في المنطقة) . كما اشار النص الى ضرورة مراعاة اسرائيل لقرارات الامم المتحدة ، ورغم ان هذا الاختلاف يعكس تفاوت درجات التأييد والمساندة الافريقية للقضية العربية ولكن يلاحظ ان هناك التزاما جماعيا بالمضمـون الاساسي لقرار منظمة الوحدة الافريقية التي ادركت نتيجـة لتطور الاحـداث منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ الطبيعة الاستعمارية للعدوان الاسرائيلي كما ادركت ان استنكار هذا العدوان لا يكفي وحده لمساعدة الشعوب التي تصطدم به وتناضل مـن اجـل انهائه . ومن هنا برز اتجاهها لكشف عدم شرعية هـذا النظام وتهـديده بالمقاطعة

الشاملة والجماعية كما نصت على ذلك القرارات الاخيرة لمؤتمرات القمة الافريقي وعدم الانحياز . وقد قررت منظمة الوحدة الافريقية نقل المعركة الى الامم المتحدة من اجل كشف طبيعة هـ* العدوان من جهة وكشف عدم شرعية النظم العنصرية والصهيونية من جهة اخرى . وقد سافر الرئيس النيجيري يعقوب جوون لحضور دورة الجمعية العامة للامم المتحدة كرئيس لمنظمة الوحدة هذا العام كما كان الرئيس بومدين في طريقه الى هناك كرئيس لمؤ ـر عدم الانحياز ـ من اجل ان يتعاونا لكشف هذه النظم .(٨٠) . وليس صدفه ان اقترنت بداية الحملة لكشف اسرائيل وعزلها بحملة مماثلة على جنوب افريقيا ورفض الجمعية قبول اوراق اعتماد ممثلها هذا العام لعدم شرعية النظام الذي يمثله ، وهو امر اثار اسرائيل كثيرا لانها تعلم ان حوالي ٧٠ دولة في الامم المتحدة لا تعترف بوجودها ولم تقم معها علاقات سياسية او قطعت هذه العلاقات على فترات مختلفة . ومن هنا فان قرارات القطع الجماعي للعلاقات الدبلوماسية بين الدول الافريقية واسرائيل احتجاجا على العدوان الاسرائيلي الجديد في ٦ اكتوبر لم تكن سوى اجراءات ضرورية لتاكيد مواقف سابقة . كما انها كانت تطبيقا عمليا للارادة الجماعية الافريقية الممثلة في منظمة الوحدة الافريقية . هذا وقد استجابت منظمة الوحدة الافريقية الى دعوة الجزائر لعقد اجتماع طارىء في ١٩ نوفمبر ١٩٧٣ لاتخاذ الخطوات الكفيلة لدعم الموقف العربي ضد الكيان الصهيوني . وقد اكد مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية في دورته غير العادية التي انعقدت باديس ابابا اهمية التضامن والتعاون بين الدول الافريقية والعربية من اجل تحرير اراضيها تحريرا كاملا ومن اجل تحقيق التنمية الشاملة . وتاكيدا لهذا التضامن اوصى المجلس الدول الاعضاء بالابقاء على قطع العلاقات مع اسرائيل لحين انسحابها من كافة الاراضي العربية المحتلة والى حين استعادة الشعب الفلسطيني لكافة حقوقه الشرعية ، كما دعا الدول الاعضاء الى تشديد الاجراءات الفردية والجماعية بغية تاكيد عزلة اسرائيل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية الى ان يتحقق سلام عادل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط ، وقد اعلن المجلس ان التواطؤ بين بريتوريا ولشبونه وتل ابيب يشكل تهديدا لامن القارة الافريقية (٨١) .

وقد يكون من ابرز انجازات حرب اكتوبر اولا انها كشفت العلاقة المصيرية بين اسرائيل والانظمة العنصرية والاستعمارية في القارة الافريقية مثل جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا فقد اسقطت قوات الدفاع الجوي المصرية بعض طائرات جنوب افريقيا التي اشتركت في القتال لمساعدة اسرائيل كما تكشفت هذه العلاقة عندما قدمت البرتغال كل المساعدات والتسهيلات لتضمن تزويد اسرائيل بالاسلحة والعتاد . ولذلك لم يعد من الممكن فصل موقف اسرائيل او جنوب افريقيا او روديسيا او غيرها من نظم الاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية عن المصالح الامبريالية العالمية .

ثانيا : ان صور التضامن على مستوى مجموعة عدم الانحياز او الاسرة الافريقية لا تقف عند حد التاييد المعنوي خاصة وقد جاءت البيانات السياسية في المؤتمرات

---

٨ ـ مجله رسالة افريقيا ، الجمعية الافريقية بالقاهرة ، عدد يناير ١٩٧٣ .

٨١ ـ المرجع السابق ، عدد ديسمبر ١٩٧٣ .

الاخيرة موحية بالموقف الحقيقي لهذه التجمعات . ولقد أقر مبدأ الكفاح المسلح كوسيلة لمواجهة الاستعمار في كل مواثيق منظمة الوحدة الافريقية كما اقر مبدأ العقاب الجماعي والمقاطعة بل *رت اشكال تنظيم التأييد المادي في شكل (لجنة تحرير المستعمرات) .

وقد أكد مؤتمر القمة العربي الاخير الذي انعقد في الجزائر اهمية تجسيد التعاون العربي الافريقي بشكل ملـ س في جميع الميادين وبالذات في ميدان التحرر الوطني والتنمية ، كما اعلن تأييده للدول الافريقية تأييداً كاملا في نضالها ضد الانظمة العنصرية والاستعمار الجديد وتأكيدا لهذا التضامن قرر مؤتمر القمة العربي قطع جميع العلاقات الدبلوماسية والثقافية والاقتصادية وغيرها مع جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا وتطبيق حظر تام لتصدير البترول العربي الى هذه الاقاليم الثلاثة .

كما قررت منظمة الوحدة الافريقية اتخاذ التدابير اللازمة بغية تدعيم وتنظيم التعاون الاقتصادي مع الدول العربية ومن امثلة ذلك انشاء بنك عربي افريقي للتنمية وتشكيل لجنة السبعة الافريقية كي تتولى التنسيق بين الدول العربية والافريقية في مجال البترول . وكان مؤتمر القمة العربي بالجزائر قد رصد ٤٥ مليون جنيه استرليني كمساعدات فنية للدول الافريقية بدلا من المساعدات الامريكية والاجنبية التي كانت تمنح للدول الافريقية المختلفة . كما قرر استثمار راس المال العربي في عمليات التنقيب عن البترول في المناطق الافريقية التي يحتمل ان يوجد بها بترول خام وفي تمويل المشروعات البترولية الإفريقية في نيجيريا وجابون وزائير (٨٢) .

تقييم التحول الافريقي من وجهة النظر الاسرائيلية :

لقد تنوعت وتعددت التفسيرات التي ادلت بها اجهزة الإعلام الاسرائيلية تعليقا على التحول الافريقي الذي بدات بوادره منذ مارس ١٩٧٢ وتصاعد خلال ١٩٧٣ حتى وصل الى الوضع الراهن الذي يتسم بالقطيعة السياسية الكاملة ومن خلال التعليقات الصحفية والاذاعية حول هذه النقطة يمكننا أن نتبين وجود تيارين داخل الاعلام الاسرائيلي لتقييم الموقف الافريقي وتفسير اسبابه .

التيار الاول : ويغلب عليه الطابع الانفعالي ويرى ان سبب هزيمة اسرائيل في افريقيا هو (المال والاسلام) ، المال الليبي بصفة خاصة والضغط الاسلامي في الدول الافريقية التي تضم غالبية مسلمة ويحكمها رؤساء مسيحيون .

التيار الثاني : ويغلب عليه الطابع الموضوعي ويرى ان تدهور مكانة اسرائيل في افريقيا يرجع الى تغير المناخ السياسي في القارة لغير صالح اسرائيل كما يعزو ذلك ايضا الى تدهور مكانة الغرب في القارة السوداء .

ورغم اختلاف معالجة كل من التيارين للموقف الافريقي وآثاره على مستقبل

---

٨٢ ــ المرجع السابق ، مجلة روزاليوسف ١٩٧٤/١/٢١ .

الوجود الاسرائيلي في القارة ولكنهما يتفقان في شيئين اولهما ضرورة اعادة النظر في السياسة الاسرائيلية في افريقيا وثانيهما استبعاد مسألة الصراع العربي الاسرائيلي واصرار اسرائيل على عدم الانسحاب من الاراضي المحتلة كسبب رئيسي للتحول ، وسنعرض فيما يلي بشيء من التفصيل وجهتي النظر الاسرائيلية .

التيار الاول :

في مرحلة الغضب الاولى اندفعت الصحف الاسرائيلية في موجة انفعالية تحت وطأة الاحساس بالمرارة الناتج عن قطع اوغندا وتشاد والكونغو برازافيل والنيجر ومالي وبوروندي علاقاتهم الدبلوماسية مع اسرائيل تحاول تبرير التحول الافريقي المفاجيء امام الراي العام الاسرائيلي . وقد ابدت الصحافة الاسرائيلية استغرابها ثم اسفها بسبب تأييد الدول الافريقية للقرارات التي تدين اسرائيل في الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية رغم وجود استثمار ومشروعات اسرائيلية كبيرة في هذه الدول ووجود عشرات الملايين من الدولارات والخبراء الاسرائيليين الذين يساعدون هذه الدول.. وقد عالج يهشوع تدمر هذه النقطة في صحيفة دافار وكتب في ١٩٧٢/١٢/١٧ يقول :(يبدو ان تاثير ليبيا بدولاراتها الضخمة تستطيع ان تتغلب على اسرائيل في هذا المجال ، ففي سنة ١٩٧٠ بلغ دخل ليبيا من النفط ١٣٠٠ مليون دولار وفي ١٩٧١ ازداد دخلها عدة مئات من ملايين الدولارات كما تضاعف دخل السعودية . ومعنى وجود هذه الاموال في ايدي دول عربية تحيط بها دول افريقية اسلامية متخلفة تتطلع الى التطور لا بد ان يفتح امام القذافي الطريق للتغلغل والتاثير على هذه الدول بالمساعدات الضخمة التي يمكن ان يقدمها اليها دون أن تؤثر على ميزانية ليبيا . وبالفعل فقد وعد القذافي عيدي امين بخمسين مليون دولار مقابل قطع العلاقات مع اسرائيل خاصة وان اسرائيل كانت قد رفضت التوسع في استثماراتها في اوغندا مما دفع عيدي امين الى الارتماء في احضان القذافي . اما بالنسبة لتشاد فقد كانت قد طلبت قرضا من اسرائيل قدره ١٠ ملايين دولار وقد احدث ذلك ازمة في العلاقات . وان ما حدث في اوغندا وتشاد يشير الى ان اسرائيل ستنسحب من المباراة اذا كانت المسألة تتعلق بالتمويل والاستثمار وعليها ان تبحث عن وسائل اخرى للتاثير في الدول الافريقية) (٨٣) .

وتعترف الصحافة الاسرائيلية بان (الرشوة) قد لعبت دورا هاما في دعم علاقات اسرائيل ببعض القادة الافريقيين . وقد اشار الى هذه النقطة دان مرجليت في صحيفة هآرتس في ١٩٧٢/١٢/٨ عندما قال (انه كانت هناك حالات استلزمت دفع نفقات لبعض الزعماء الافريقيين كي يوافقوا على زيارة اسرائيل او من اجل ازالة غضب اخذهم) .

وباختصار يريد اصحاب هذا التيار القول ان المال كان في المرحلة الماضية هو العلاقة التي تربط قادة افريقيا باسرائيل وان اسرائيل قد هزمت لان المال العربي كان اكثر من المال الاسرائيلي .

---

٨٣ ــ الارشيف العبري بمركز الابحاث . المرجع السابق .

التيار الثاني :

هذا التيار يحاول ان يكون اكثر موضوعية واقل انفعالا من التيار الآخر ويرى انه في الوقت الذي ربما يكون هناك اسباب خاصة للحوادث القطيعة الدبلوماسية الا ان هناك ظاهرة عامة تتمثل في تغير المناخ السياسي العام في افريقيا . وقد صدر هذا التفسير عن الاذاعة الاسرائيلية على لسان موريه ميكل ، المراسل السياسي للاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية يوم ١٩٧٣/٤/٣ التفسير التالي (٨٤) :

اولا : ان ما جرى لاسرائيل في أفريقيا هو جزء من التطورات الكبيرة التي تمر بالقارة حاليا . هذه التطورات ليس لها علاقة باسرائيل بل ترجع الى الانسحاق وخيبة الامل التي تتعرض لها دول افريقيا بعد بضعة اعوام من الاستقلال الذي لم يتحول كما كان متوقعا الى استقرار سياسي وازدهار اقتصادي وثورة اجتماعية .

ثانيا : انه الى جانب الانسحاق هناك تطور في الراديكالية السياسية كما ان الاتجاه نحو المعسكر الشيوعي والسوفييتي آخذ في الازدياد في افريقيا وكما هو معلوم فان الراديكالية كانت دائما وحتى الآن تعمل ضد مصالح اسرائيل .

ثالثا : ان موقف الولايات المتحدة وبريطانيا ودول اوروبا الغربية تضعضع في افريقيا وفقدت هذه الدول هيبتها ومكانتها هناك . ونتيجة لارتباط اسرائيل بمكانة الغرب تضعضعت مكانتها ولم تستطع ان تصمد امام الحملة العربية في افريقيا التي يقوم بها ليبيون ومصريون وجزائريون وآخرون باسم الاسلام او باسم التقدم والتحرر ، ويدلل ميكل على صحة قوله بما حدث في الكونغو برازافيل وانه يرجع الى ازدياد قوة التيار الراديكالي في الحزب الحاكم هناك . كذلك يشير الى النيجر مبرزا دور الحزب في الخطوة التي اتخذت للتدليل على دور القيادات الراديكالية التي تحدث عنها . وبالنسبة لقطع تشاد لعلاقاتها مع اسرائيل يتجاوز ميكل قضية المساعدات المادية التي منحتها ليبيا لتشاد ليركز على الوضع الداخلي فهو يرى ان نظام تومبالباي عاجز عن حفظ الامن في تشاد وتدهور الاوضاع بسبب نشاط الحركة الوطنية السرية المعروفة باسم (فرولينات) ويرى ان تومبالباي قطع علاقته مع اسرائيل في سبيل التوصل الى تسوية مع هذه الحركة التي تركز في حملتها عليه بانه يتعاون مع اسرائيل وبانه زار اسرائيل مرتين سنة ١٩٥٨ اي قبل الاستقلال وزارها سنة ١٩٦٥ وفي العام ١٩٧٢ زارها هو وقرينته .

وهناك شبه اجماع بين اجهزة الاعلام الاسرائيلية على عدم الاعتراف بالسبب الرئيسي لاقدام الدول الافريقية على قطع علاقاتها مع اسرائيل ، وهو اصرار اسرائيل على عدم الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتجاهلها للقرارات الدولية في هذا الصدد مما يعرقل احراز السلام في الشرق الاوسط . فقد كتبت دافار في ١٩٧٣/٦/٢٧ تحلل اسباب التحول الافريقي تقول (ان الادعاء بان سبب ازمة اسرائيل مع الزعماء الافريقيين هو عدم استماعها لوجهة نظرهم فيما يتعلق بانسحابها من

---

٨٤ – مجلة البلاغ البيروتية ، اكتوبر ونوفمبر ١٩٧٣ .

الاراضي المحتلة اولا ثم اجراء المفاوضات بعد ذلك هو ادعاء غير صحيح) وترى دافار (ان انتصار اسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ هو الذي ادى الى ضعف موقف اسرائيل في افريقيا فقد اصبح الافريقيون يعتقدون انهم ليسوا في حاجة الى اسرائيل للدفاع عن استقرارهم السياسي والاقتصادي لان خطر التوسع المصري قد زال) .

كذلك التغيرات الدولية تضغط في نفس الاتجاه فالصين والسوفييت لم يعودوا يشكلون اي خطورة فيما يتعلق بتوسعهم في افريقيا او التدخل في الشئون الداخلية وتنظيم انقلابات وقد اصبح ذلك مؤكدا بعد مؤتمرات القمة التي تمت في العام ١٩٧٢ في بكين وموسكو وواشنطن . فقد تغيرت سياسة الردع الامريكية التي كانت سائدة في الخمسينات حيث كانت تركز على السيطرة الاقتصادية والعسكرية والسياسية وذلك بتأثير سياسة الوفاق الدولي . ونظرا لان وجهة النظر الافريقية تربط بين اسرائيل والولايات المتحدة فهي تعادي اسرائيل كجزء من معاداتها لامريكا وبما أن هذا هو الاتجاه العالمي سائد وهو العداء للامبريالية الامريكية ولا يمكن الوقوف ضده لذلك يجب ان ننتظر بعض الوقت وليس معنى ذلك ان ننكمش ولكن علينا ان نواصل في حدود الظروف المتاحة بحذر وحزم وباقل قدر من الخسائر (٨٥) .
وتتنبأ صحيفة دافار بان (موازين الامور سوف تتغير في افريقيا لو حدث تفاهم اسرائيلي سوفييتي وقد يؤثر التوافق الدولي على وضع اسرائيل في افريقيا فيؤدي الى تدعيمه عن طريق واشنطن وبالتالي موسكو) وتعلق دافار آمالا كبيرة على هذا التغيير بل ترى ان ذلك ايسر واضمن من تجديد العلاقات مع افريقيا مباشرة .

ورغم الاجماع الاسرائيلي على تجاهل مسألة الصراع العربي كسبب مباشر للتحول الافريقي هناك كاتب اسرائيلي عالج هذه النقطة بوضوح وموضوعية وهو م. نحومي الذي اشار الى ان هناك ظاهرة عامة تتمثل في تغيير المناخ السياسي العام في افريقيا لغير صالح اسرائيل وقد كتب نحومي في صحيفة عال همشمار بتاريخ ١٩٧٣/١/٢٨ تحت عنوان (افريقيا : تجاوزات ام انهيار) (٨٦) يقول (الجدال الدائر عندنا الآن هو هل هناك سببية خاصة لكل حالة من حالات قطع العلاقات من جانب الدول الافريقية مع اسرائيل ام اننا نواجه انهيارا شاملا) . ويعزي نحومي اسباب التغير الى ثلاثة عوامل ابرزها واهمها التحول الذي طرأ على صورة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ من دولة صغيرة تدافع عن حدودها الى دولة قوية تطالب بضم اراضي تابعة لدول اخرى ويوضح ذلك قائلا (نفس مبدأ عدم الضم او عدم اجراء تغييرات على الحدود التي تؤثر اليوم لغير صالح اسرائيل في افريقيا كان له اثر لصالح اسرائيل في بداية عام ١٩٦٠ . فدول افريقيا ما عدا ليبيريا واثيوبيا قامت كي تجد اسرائيل دولة قائمة وطالما كان من حق هذه الدول ان تقوم فليس للعرب الحق في الاعتراض على قيام اسرائيل ولكن توسيع الحدود القائمة يختلف . وعندما تثار الشكوك حول ما اذا كانت اسرائيل مستعدة لاعادة المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ ضمن اتفاقية سلام وحول رغبتها

---

٨٥ ـ الارشيف العبري بمركز الابحاث ، **المرجع السابق** .
٨٦ ـ د. غسان العطية ، **المرجع السابق** ص ١٠٤ .

في احداث تغييرات جوهرية وملموسة على الحدود حينئذ يصبح المبدأ لغير صالح اسرائيل) . والعامل الثاني وراء تغير المناخ السياسي في افريقيا لغير صالح اسرائيل هو دور الدول العربية في منظمة الوحدة الافريقية الذي اخذ يتصاعد مستعيدا من الانتقادات الموجهة الى اسرائيل خاصة بعد عدوان ١٩٦٧ بالاضافة الى الحس الاسلامي في دول بها اقلية او اكثرية مسلمة الى جانب الامكانيات المادية الوفيرة لدى بعض الدول العربية وخاصة ليبيا والسعودية . وهذا ينقلنا الى العامل الثالث الذي يتعلق باهتمام اسرائيل بالمشروعات الكبيرة والمباني الضخمة للتفاخر وارضاء الحكام وذلك بدلا من تركيزها على تنمية الكوادر الفنية وتعليم الطلبة وارسال الخبراء في مجالات الزراعة والشبيبة . ويخرج الكاتب في نهاية تحليله الى نتيجة هامة حيث يقول (انقلبت الوقائع رأسا على عقب فبدلا من ان تساهم صداقتنا مع الافريقيين في تسوية خلافاتنا مع العرب، كما كنا نامل في الماضي، اصبح نزاعنا مع العرب بمثابة ذريعة او حجة لخراب علاقاتنا مع الافريقيين) .

وقد تحدث يهوشع تدمر في صحيفة دافار في ١٩٧٣/٨/٢٤ عن التحول الافريقي الذي حدث بعد حرب يونيو ١٩٦٧ فاشار الى ان اسرائيل كانت تهيب بوزراء خارجية الدول الافريقية كي يمتنعوا عن التصويت في الامم المتحدة على القرارات المعادية لاسرائيل ولكنها اصبحت في الاعوام الاخيرة عاجزة عن ثني الدول الافريقية عن تأييد مشاريع القرارات العربية . ويعرب تدمر عن اعتقاده (بانه لم يعد هناك مجال لازمات جديدة مع الدول الافريقية خصوصا وان القادة الافريقيين قد توصلوا الى ان قطع العلاقات باسرائيل لن يرغمها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة) ، ويدافع تدمر عن سياسة التوسع بقول (ان الافريقيين قد فسروا التصريحات غير الحذرة وغير المدروسة التي يدلي بها المسئولون الاسرائيليون بان اسرائيل تنتهج سياسة ضم الاراضي ويجب على الاسرائيليين في افريقيا ان يلتزموا جانب الحذر في تصريحاتهم خصوصا فيما يتعلق بقضية المناطق ومستقبلها وينبغي مخاطبة القادة الافريقية باسلوب من شأنه ان يحدث فيها وقعا طيبا) . (٨٧)

وقد حلل الياهو سلفطر المعلق السياسي في صحيفة هآرتس اسباب الفشل الاسرائيلي في افريقيا فارجعها الى عدة عوامل ابرزها : (٨٨)

اولا : عدم نجاح اسرائيل في تبرير وجودها في المناطق التي احتلت بعد ٥ يونيو واقناع الدول الافريقية بضرورة ذلك لها .

ثانيا : المبالغة في تقدير الانجازات والنجاحات الاسرائيلية في افريقيا والتظاهر امام الافريقيين بان لديها امكانيات الدول الكبرى وقد ترتب على ذلك توهم بعض القادة الافريقيين ان اسرائيل قادرة على كل شيء ومنهم الرئيس عيدي امين الذى كان ينظر الى اسرائيل كدولة كبرى ثم ذهل عندما رفضت اقراضه ١٠ ملايين دولار .

---

٨٧ – الارشيف العبري ، مركز الابحاث ، المرجع السابق .

٨٨ – د. غسان العطيه ، المرجع السابق ص ١٠٦

ثالثا : لا توجد سياسةاسرائيلية متبلورة ازاء افريقيا. ما هو الهدف من علاقاتنا بها ؟ ما هي الاولويات في هذه العلاقات ؟ ماذا يجب ان تستثمر فيها وغير ذلك ؟ وقد ترتب على ذلك قصوروزارة الخارجية وباقي الاجهزة الاسرائيلية في اداء دورهم بفاعلية في افريقيا فرغم ان نصيب وزارة الخارجية الاسرائيلية من الميزانية ١٦ مليون ليرة اي ٤ ٪ من الميزانية العامة نلاحظ ان نصيب افريقيا من ذلك كله ضئيلا فالمبلغ المرصود للانفاق على ٢٤ هيئة دبلوماسية اسرائيلية مقيمة و ٦ هيئات غير مقيمة لا يكفي الا لمجرد المحافظة على الوجود الرمزي لاسرائيل في افريقيا .

ويطالب يهوشع تدمر في مقال آخر بصحيفة دافار في ١٩٧٢/١٢/٢٧ باعادة النظر في سلم الاولويات على صعيد الجغرافيا السياسية وضرورة التركيز على الدول الافريقية المستقرة وضرورة الاستمرار في تقديم المساعدات الاقتصادية واقامة المشاريع الصناعية التي تحتاجها الدول الافريقية وذلك من اجل انقاذ النفوذ الاسرائيلي في افريقيا . (٨٦)

ولا ينبغي ان يتبادر الى الذهن ان مناخ القطيعة السياسية الحالية الذي يسود العلاقات الافريقية مع اسرائيل سوف يستمر طويلا . اذ ان هناك جهودا اسرائيلية تبذل من اجل تعديل بعض اساسيات الاستراتيجية الاسرائيلية في افريقيا . وقد بدات بوادر هذه السياسة الجديدة منذ مطلع العام الماضي ويمكن ملاحظتها في :

١) القرار الذي اتخذته اسرائيل باقامة علاقات على مستوى سفارة مع كل من ليسوتو وبتسوانا وسوازيلاند وهي دويلات صغيرة واقعة تحت النفوذ السياسي لحكومة جنوب افريقيا العنصرية .

٢) اتجاه السياسة الاسرائيلية الى التعامل مع الدول الافريقية كل دولة على حدة بدلا من التعامل مع افريقيا ككل وقد ظهرت بوادر هذا الموقف في الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية (١٩٧١ — ١٩٧٢) حيث بدأ لاول مرة يتحدث عن استحالة التعميم ويشير الى ضرورة معالجة علاقة اسرائيل بكل دولة افريقية على حدة .

٣) تأجيل القيام باي تحرك اسرائيلي جديد في افريقيا الا بعد التوصل الى تسوية ما لازمة الشرق الاوسط وحينئذ من المتوقع ان تركز اسرائيل على عدد محدود من الدول الافريقية التي تتميز باهمية استراتيجية من ناحية وتربطها باسرائيل مصالح اقتصادية متشعبة من ناحية اخرى . بالاضافةالى تميزها باستقرار سياسي نسبي وتنطبق هذه المواصفات على بعض الدول الافريقية مثل اثيوبيا وليبيريا وكينيا وساحل العاج وغانا .

٤ اعادة النظر في المساعدات الاسرائيلية للدول الافريقية انطلاقا من ضرورة عدم التورط في التزامات فوق طاقة اسرائيل واحتمال التركيز على الجوانب الاقتصادية والمساعدات الفنية فقط .

---

٨٦ — المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

البـــاب الثانـــى

إسرائيـــل وافريقيـــا

١٩٧٣ - ١٩٨٥

حلمى شعـــراوى

الفصل السادس

إسرائيل وافريقيا : ١٩٨٣/٧٣(*)

مقدمة :

لم تعد دراسة علاقة إسرائيل بافريقيا خلال السبعينيات جذابة مثلما كانت لفترة طويلة عقب حركة الاستقلال الافريقية وتحدى حركة التحرر الوطنى العربية ومعاركها مع القوى الاستعمارية . كان « التسلل الإسرائيلى » لافريقيا عبر صراعات الستينيات ظاهرة لافتة ، وكان حجم الدعاية لعملية التسلل هذه دافعا قويا لهذه الدراسات حتى أدت ظروف أخرى فى السبعينيات إلى بروز دور « التعاون » والتضامن العربى الافريقى ، فحظى بالاهتمام الأكبر من الدارسين فى ظل رؤى مختلفة للصراع . وأشهد أن إدارات عربية مسؤولة بل وسفارات عربية فى عواصم افريقية قد فقدت الاهتمام حتى بمعرفة أخبار « الوجود الإسرائيلى » مادام تنكر وجوده أصلا .

وسوف تأخذ هذه الدراسة فى متابعتها للعلاقات الإسرائيلية الافريقية وخاصة فى السبعينيات وأوائل الثمانينيات بمنهج ترتيب التناقضات الرئيسية على الصعيد العالمى والإقليمى وأوضاع حركة التحرر الوطنى فى قلب هذه التناقضات ، حيث لا تكشف لنا نظريات « إدارة الصراع » عن « طبيعة » المواجهات التى تجرى على الأرض العربية والافريقية بقدر ما تقف عند حدود وصفها فى أفضل الظروف .

وكذلك لن تعمد هذه الدراسة إلى الوقوف كثيرا عند بدايات وتطورات العلاقات الإسرائيلية الافريقية والإطار الذى تحركت فيه ، فالمكتبة العربية خصبة فى هذا الشأن ، حيث نأمل أن نمضى سريعاً إلى ما سمى بأزمة إسرائيل فى افريقيا أو التحول الافريقى عن إسرائيل فى السبعينيات فى ظروف تحولات عالمية وإقليمية ، وأزمات لحركتى التحرر العربية والأفريقية على السواء ، تلك الظروف التى مهدت فى أوائل الثمانينيات لبروز إسرائيل على سطح الأحداث مرة أخرى على هذا النحو الذى يبدو مفاجئاً للبعض ، وهو ليس كذلك من الناحية الموضوعية .

(*) البحث المقدم إلى ندوة « العرب وافريقيا » بعمان والتى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بين ٢٥ - ٢٩ أبريل - نيسان ١٩٨٣ . وعنوانها الأصلى « السياسة الإسرائيلية فى افريقيا ١٩٨٣/٧٣ » .

سوف تمضى الدراسة على النحو التالى

أولا - ملاحظات أولية ضرورية .

ثانيا - بعض الملامح الأساسية لإطار العلاقات الإسرائيلية الافريقية المبكرة .

ثالثا - « أزمة » التحول الافريقى عن إسرائيل وحقيقة دور المال العربى والاستراتيجية الغربية تجاهه .

رابعا - إسرائيل تواجه الأزمة بخطة حضور اقتصادى وسياسى وعسكرى فى افريقيا .

خامسا - إعادة بناء العلاقات الإسرائيلية الافريقية مع مطلع الثمانينيات

سادسا - إسرائيل ليست قوة مطلقة ... إمكانيات مواصلة التحدى .

أولاً - ملاحظات أولية ضرورية

لابد من أن يتفق على أن التطورات الآتية تساعد كثيرا فى تفسير أحداث سبقتها تفسيرا جديداً ، أى أن الحاضر عنصر أساسى فى تفسير الماضى ، ولا شك أن حجم المعلومات التى تتوافر تدريجيا تدفعنا بالضرورة إلى إعادة تفسير الأحداث وتفهمها ، وهذا ما ينطبق على فهم إدارة القوى الغربية للوجود الإسرائيلى فى افريقيا وعلاقة هذه القوى بالتوجه العربى نحو افريقيا .

من المفهوم أن العرب ليسوا كتلة صماء ، وليست افريقيا كذلك ، ومن هنا تصعب المعالجة بالمنطق ويتطلب الأمر أحيانا معالجة شبكة معقدة من العلاقات ، ولكننا لتسهيل البحث ، ولخط المنطق الرئيسى أيضا ، نأخذ بتفسير التيار السائد وطبيعته ، ونطبق ذلك على سيادة تيار حركة التحرر الوطنى العربية والافريقية فى الستينيات ، وتيار الثروة العربية وأزمة الاقتصاد الافريقى فى السبعينات .

إذا أخذنا بمنطق التناقضات الرئيسية والثانوية على الصعيد العالمى والإقليمى ، والتنوعات الضرورية داخلهما ، والدور الذى تلعبه « المشروعات التحررية الوطنية » أو « النظم الإقليمية التابعة » فى تعميق الصراعات وبلورتها لتحقيق مصالح حقيقية لمجموعات الشعوب المتطلعة للتحرر ، فإننا يمكننا أن نرى وضع العلاقات الإسرائيلية والعربية مع إفريقيا برؤى مختلفة سنفهم دخول إسرائيل لافريقيا فى إطار التناقض الرئيسى لحركة التحرر العربى الوطنية مع الاستعمار والإمبريالية وكيف استغلت هوامش التناقض الثانوى بين حركة التحرر العربية والإفريقية ومن هنا تقدر ثقة مصر - عبد الناصر من أن عمر إسرائيل فى افريقيا محدود . وإنه مع تسيد النظام الاحتكارى العالمى فى السبعينيات على التيار السائد فى المنطقة العربية وتتبيع النظام الإقليمى العربى له ، فإنه لا ينتظر أن يضر ذلك بوضع إسرائيل فى افريقيا - حتى لو اختفت المعلومات عن ذلك لبعض الوقت - ولا أن يكون « التعاون العربى الأفريقى » - حتى مع إخلاصنا له بديلا للتحالفات الإمبريالية التى تحتل فيها إسرائيل - كما ثبت - دائما مكانا أفضل - وحيث كانت التناقضات الثانوية بين حركتى التحرر العربية والأفريقية فى طريقها للتصفية - مالم يهزما معا كما حدث - فقد كان مقدرا أن تظل « مواجهة إسرائيل » خطا أساسيا فى استراتيجية المنطقتين ، لكن سيادة خط تتبيع النظم الإقليمية للنظام الاحتكارى العالمى حتى الآن لا يضمن تحقيق ذلك ، ولا يكون نتيجة منطقية بطبيعته ، ومن ثم كانت عودة بروز إسرائيل على سطح الحدث العربى والافريقى منذ مطلع الثمانينيات.

يقف كاتب هذه الدراسة مع مبدأ تقدير أهمية التفاعل الإنسانى ، وأن مصير الحركة الوطنية العربية والأفريقية ليس مجرد نتاج قوانين قهرية ، ومعادية لهما ، إن حجم التراكمات السلبية من التراث الاستعمارى ، بل والثقافى نفسه يجعل البنية الفوقية للعلاقات العربية الأفريقية تبدو هشة بدرجة تثير الإحباط أحيانا ولكن خبرة الحركتين فى المواجهة وإن كانت قصيرة بطبيعتها تشكل تراثا بدورها نثق فى نتائجه ، كما أن حجم السلبيات التى يخلفها استعراض القوة الإسرائيلية الإمبريالية

كفيل بأن يضاعف من تناقضاتها مع حركة الشعوب العربيه والافريقية ذات التاريخ المشترك الطويل .

في حدود هذه الدراسة الموجزة ، وإلحاح مطلب الكشف عن كثير من حقائق موضوعها المحدد - علاقات إسرائيل بافريقيا - فإنها لا تستطيع أن تأتي شاملة لكل الجوانب والأبعاد التي تتطلبها المعالجة بالمنهج المطروح ، ولكنها تقدر أهمية الدراسات المتعددة الأخرى التي تعالج هذه الجوانب وتساعد في كشف أبعاد مثلث العلاقات العربية / الافريقية / الإسرائيلية .

ثانياً – بعض الملامح الأساسية لإطار العلاقات الإسرائيلية الافريقية المبكرة

لقد كتب الكثير فى المنطقة العربية وخارجها عن ظروف اقتراب إسرائيل من افريقيا ومدى « توحدها » مع القوى الاستعمارية السائدة فى أفريقيا أو « خصوصيتها » فى هذا الشأن ، ولذا يهمنا هنا فقط أن نقف عند بعض الملامح الرئيسية لهذا الاقتراب مما يفيد السياق العام للبحث وليس بهدف الإضافة .

لا يمكننا مثلا أن نتجاهل تأثير « المنهج السلمى » فى الحصول على الاستقلال السياسى فى حدود معطيات البرجوازية الافريقية على تصور زعامات الدول الجديدة للتناقض الرئيسى فى العالم بعد الحرب الثانية إزاء القوى الاستعمارية والإمبريالية ومن ثم عدم إدراك طبيعة المشروع الصهيونى فى إسرائيل كمشروع استعمارى . أما طبيعة صلة إسرائيل بقيادة هذا المعسكر فكانت أصعب على الإدراك بينما كثير من القيادات الوطنية نفسها كانت تأمل خيرا فى أن تكون الولايات المتحدة « أقل استعمارية » من الدول الاستعمارية التقليدية بل وأحيانا نصيرة للتحرر . ومن هنا يمكننا تصور الاستقبال المادىء من افريقيا لمثل هذه القوى الاستعمارية الجديدة ومن بينها إسرائيل .

وكان دور إسرائيل بالنسبة للقوى الاستعمارية فى المرحلة الأولى هو مواجهة قوى التحرر العربية بالأساس لذا لم يبد طموحها تجاه المناطق الأخرى استفزازيا فى بداية الأمر ، فبدت كمشروع لبناء دولة حديثة ، نشأت بعد مأساة اليهود فى أوربا المشابهة لمأساة الزنوج فى أمريكا ، وإذا كانت الصهيونية قد بحثت عن مستقر لها فى افريقيا من قبل فلم يكن ذلك – فى الدعاية الصهيونية – فى الإطار الاستعمارى كما هو معروف عن اتصالات زعماء الصهيونية الأوائل بزعماء المستوطنين الأوروبيين الأول والدول الاستعمارية وإنما فى إطار حركة « الجامعة الصهيونية » الشبيهة بحركة « الجامعة الأفريقية » أو الصهيونية السوداء كما سماها بعض قادتها بل وبمطامح العرب فى جامعة عربية أيضا ، خاصة وقد كانت « حركات الجامعة » فى مراحلها الأولى لا تقوم بالأساس على العداء للاستعمار وإنما كانت « تناور » بين قوى استعمارية مختلفة .

أدركت إسرائيل والقوى الاستعمارية أهمية « القيادات الوطنية » والمثقفة فى افريقيا مع المد التحررى الذى بدت عليه الحياة السياسية الأفريقية فكان اقترابها البارز فى البداية من نكروما ونيريرى وسنغور أكثر من غيرهم . وقد كان وزن هؤلاء فى حركة التحرر الافريقية ضروريا لإسرائيل والغرب عامة لتحجيم صلة هذه الحركة بحركة التحرر العربية وقد أفاد فى هذا الأمر ميراث الصهيونية والزنوجية المبكر من جهة ، بل وطبيعة ميراثهم من الفكر الليبرالى وحتى اليسارى الأوروبى فى توجهه نحو إسرائيل من جهة أخرى[1] . وقد استعملت التناقضات الثانوية بين الحركتين والسلبيات التاريخية والثقافية بين المجموعتين لتجعل لقاء الصهيونية والزنوجية بديلا للالتقاء

---

(١) عبد الملك عودة ، النشاط الإسرائيلى فى افريقيا (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٦ م ؛ ص ١٥ . وقد عالج المؤلف الموضوع نفسه بتوسع أكبر فى كتابه : إسرائيل وافريقيا : دراسة فى العلاقات الدولية ، محاضرات ألقاها عبد الملك عودة على طلبة قسم فلسطين (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٤)

التاريخى بين حركات « دان فوديو » و « ساموری » و « عمر تال » مع حركة الرفض المبكرة للغزو الغربى فى المنطقة العربية والإسلامية .

كانت إسرائيل تمضى سريعا لبناء « شرعية وجودها » بمزيد من الاعتراف بها على مستوى العالم الثالث بل والخروج من الهامشية التى تهدد وجودها فى هذا العالم منذ حاصرتها الحركة العربية وعزلتها عن مؤتمر باندونج ومؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية وبدايات الدعوة لعدم الانحياز .. الخ ، لم تكن إسرائيل تسعى لبناء المصالح المادية إذ لم تزد تجارتها مع أفريقيا طوال الستينيات عن ٧٠ مليون دولار بينما قفز تمثيلها الدبلوماسى فى أفريقيا من ٦ بعثات عام ١٩٦٠ إلى ٢٣ بعثة عام ١٩٦١ إلى ٣٣ بعثة عام ١٩٧٢ . وليس مصادفة أن حوالى ١٣ دولة أفريقية فرنكفونية بالأساس هى التى كانت تتقدم للجمعية العامة للأمم المتحدة بمشروع طلب التفاوض بين العرب وإسرائيل طوال السنوات الأولى الستينيات مثلما كانوا يصوتون على أن الجزائر « فرنسية » ! .

وإزاء عزلة إسرائيل وفشلها أن تكون « أحد عناصر » منطقة « الشرق الأوسط » إزاء المشروع القومى التحررى القائم فيها ، وعزلتها عن مستوى « العمل الجماعى » لدول العالم الثالث بسبب تفرد قوى التحرر الحاكمة لهذا النشاط أيضا ، فقد راحت ترتب لتأكيد وجودها على المستوى الثنائى والإقليمى على نطاق واسع فى القارة الافريقية بوجه خاص ، وقد كانت أمريكا اللاتينية مأمونة « بالتعليمات الأمريكية » على حد تعبير الأدبيات الصهيونية[٢] فضلا عن أن تبعيتها تلك لا تجعل لها ثقلا فى العالم الثالث ، أما آسيا فكانت تسيطر عليها قوى محلية كبرى كالصين والهند والدول الإسلامية بما يجعل هامش الحركة الإسرائيلية محدودا .

وقد تصدر الاعتبار الأمنى استراتيجية إسرائيل منذ وقت مبكر ، سواء أمنها المباشر أو الأمن الغربى ، فى مواجهة خطر حركة التحرر العربية من جهة وخطر التقائها المباشر بالشعوب الافريقية عبر وادى النيل من جهة أخرى ، لذلك كانت استراتيجية الالتفاف حول حوض النيل بأنشطة عسكرية وأمنية مكثفة أحد ملامح النشاط الإسرائيلى المبكر حيث هى فى نفس الوقت منطقة النشاط الأمريكى البريطانى الفرنسى فى الاتجاه نفسه . وقد لفت نظرى أن الدراسات الأساسية التى اهتمت بالنشاط الإسرائيلى فى أفريقيا لم تركز جيدا على استخلاص قراءة خريطة الوجود العسكرى الإسرائيلى فى افريقيا والتفافه حول حوض النيل لمحاصرة مصر أمنيا بوجه خاص[٣] فى الوقت الذى كانت

---

(٢) Edy Kaufman, in : Michael Curtis and Susan, Gitelson, eds., Israel in the Third world (New Brunswick, N. J. : Transaction Books, 1976), 120 - 146.

حول تنفيذ سياسة إسرائيل الخارجية فى أمريكا اللاتينية . .

(٣) من الدراسات الشاملة هذه نشير إلى : عودة ، النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا . ص ٣٣ وما بعدها ، عواطف عبد الرحمن ، إسرائيل وأفريقيا ، ١٩٤٨ - ١٩٧٣ (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية . مركز الأبحاث ، ١٩٧٤) « جذور السياسة الإسرائيلية » ص ٣١ ما بعدها و « مظاهر النشاط الإسرائيلى » ص ٥١ حيث تناولت العلاقات العسكرية بشكل عام ص ٧٦ ،

M.O. Beshire, Terramedia : Themes in Afro - Arab Relations (London : Ithaca, 1982).

« الإدارة الناصرية » تسجل باهتمام هذ النشاط الأمنى من حول حوض النيل وعلى مداخل البحر الأحمر ، وسجلت خرائط أعوام ١٩٦١ و١٩٦٢ و١٩٦٣ فى إدارة الشؤون الأفريقية بمصر اتفاقيات عسكرية وأمنية إسرائيلية مع كل من أثيوبيا وأوغندا وزائير وكينيا ورواندا وأفريقيا الوسطى وتشاد ، فضلا عما أثبتته الوثائق من سيطرة محكمة على حركة أنيانيا الانفصالية فى جنوب السودان ، مما استهدف تأسيس سياسة الذراع الطويلة الإسرائيلية فى هذه المنطقة فى ظل مخطط إمبريالى لمحاصرة مركز المشروع الوطنى العربى فى مصر عند منابع مياة النيل وبدليل توصلها إلى اتفاق إقامة مطار سرى شمال أوغندا هددت منه مصر بالترويج لاحتمال ضربها للسد العالى من هناك خلال حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ ، ولذا لابد من أن نفرق هنا بين وجود أمنى إسرائيلى فى ظل استراتيجية شاملة تجاه حوض النيل والبحر والأحمر وشرق أفريقيا وبين علاقات أمنية مع عدد من النظم الأفريقية الأخرى لأهداف الأمن الداخلى لها .

ومن مستوى الإقليمى على النحو السابق انتشر النشاط الإسرائيلى ، اقتصاديا بالأسس فى غرب أفريقيا وسياسيا بوجه عام من أجل التأييد السياسى لإسرائيل حيث تعترف بذلك دراسات إسرائيلية مثل دراسات موشى ألبان M Alpan المهمة فى كتاب « إسرائيل والعالم الثالث » وهو مدير إحدى كبريات الشركات الإسرائيلية مشيرا إلى أن هدف إسرائيل كان براجماتيا يستهدف زرع المؤسسات ولا يعترف بالمشروعات الكبرى ولا يقوم على أساس اشتراكى أو رأسمالى أو بتمويل حكومى إسرائيلى مسؤول ، ولذلك ظل التبادل التجارى مع أفريقيا محدودا حتى أوائل السبعينيات .

وتعنى مجمل الحقائق التى توردها مختلف المصادر عن الوجود المادى المحدود لإسرائيل فى أفريقيا واعتراف أخصائييها الاقتصاديين بذلك أنها لم تكن بالفعل ذات مشروع خاص كبير تجاه أفريقيا بالصورة التى تؤدى أحيانا إلى اضطراب فى دراسة نتائج وجودها أو مواجهته رغم أننا لا نستطيع أن ننكر تطلعها لهذا الدور الخاص لتساوم به على الأقل مثلما تفعل فى الشرق الأوسط .

مع انتباهه لاهتمام مصر بمشكلة النيل . ص ٧١ ،

A. Al Sultan, "The Arab Israeli Interaction in the Red Sea" Ph. D. dissertation, University of North Carolina, 1980. "Israel Policy," Pp. 270 - 282.

حيث ركز على مساهمه لعدم تعريب البحر الأحمر .

ثالثا - « أزمة » التحول الافريقى عن إسرائيل

كانت تتابع إجراءات قطع العلاقات الدبلوماسية بين عدد من الدول الأفريقية وإسرائيل وبلوغه حوالى الثلاثين دولة فى عدة شهور من عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ شيئا ملفتا للمراقبين ومثيرا لعديد من التعليقات والتحليلات . فهى « مظاهر سياسية » بحق وهى « ظاهرة » أيضا جديرة بالتأمل العميق للإجابة عن عديد من التساؤلات بشأنها .

تحمس بعضهم للحديث عن انبثاق « نظام إقليمى فرعى جديد » يضم العرب والأفريقيين وتعزل فيه إسرائيل ، وتابع آخرون تطور وعى الرأى العام الأفريقى بحقيقة إسرائيل أو تابع « تصاعد النفوذ العربى فى محيط العالم الثالث بصفة عامة والقارة الأفريقية بصفة خاصة » بل واحتمل « زيادة تبعية » الدول الغربية للبلدان العربية بالنظر إلى ما تعانيه أوربا الغربية من أزمات حادة فى مجال النفط والنقد »[٤] . ولن نغفل طبعا جهد الباحثين فى متابعة الموقف الافريقى منذ عام ١٩٦٧ وتطور تأثير التعنت الإسرائيلى تجاه القضية الفلسطينية التى اكتسبت قوة من حركة الكفاح المسلح الفلسطينى ، بل « والإقرار الأفريقى بالنضال المشترك ضد عدو مشترك هو عميل الإمبريالية .. إسرائيل »[٥] .

ولا شك أن كل هذه التفسيرات تدخل بدرجة أو بأخرى فى فهم « المظاهرة » - الظاهرة وتجيب عن بعض التساؤلات من حولها ، لكن ثمة أسئلة رئيسية أخرى يمكن أن تؤدى إلى اختلاف كبير مع هذه التفسيرات .

هل حدث هذا التطور فى لحظة بلوغ التحدى العربى والافريقى قمته ضد القوى الاستعمارية التى تنتمى إليها إسرائيل حتى يؤدى ذلك لهذه الرغبة العارمة فى عزل « العميل » حتى ولو لم يستطيعوا التصارع مباشرة مع القوى الإستعمارية الكبرى لظروف خاصة تقدرها فى قوى دول العالم الثالث ؟ أم أن « الظاهرة » حدثت فى الواقع فى وقت كانت تهن فيه قوة حركة التحرر الوطنى العربية والأفريقية أمام القوى الاستعمارية القديمة والجديدة لظروف وبأشكال معروفة ليس هنا مجال إعادة ذكرها ؟ مما أدى لزيادة « التقارب » أو « التكامل » بين « نظم إقليمية فرعية » عديدة فى العالم الثالث ومنها العربية والأفريقية وبين تلك القوى الاستعمارية ، وهو التقارب الذى فرض على الطرف الغربى ضرورة تقديم بعض الخدمات « لدعم هذا التكامل ، ومن ذلك إزالة عقبة إسرائيل » من الطريق أو « التخفيف » من دورها فى عرقلة توحد الوطن العربى والافريقى من أجل هدف أكبر

---

(٤) مجدى حماد ، « التحول الأفريقى ضد إسرائيل » ، شئون عربية ، العدد ١٢ (شباط / فبراير ١٩٨٢ ، ص ١٢٨ ، ولتفاصيل أكثر انظر : مجدى حماد ، **إسرائيل وأفريقيا : دراسة فى إدارة الصراع الدولى** (قيد الطبع) ؛ وعواطف عبد الرحمن ، **إسرائيل وأفريقيا ، ١٩٤٨ - ١٩٧٣** ، و

Beshir, Terramedia : **Themes in Afro-Arab Relations.**

Victor T. Le Vine and Timothy W. Luke, **The Arab-African Connection : Political and Economic Realities** (Boulder, Colorado : Westview, 1979), P. 9.

هو حدمه معسكر الغربى نفسه طالما أن توحد إسرائيل مع هذا المعسكر تعرضها لـ أخرى

لقد كان مهما بما لا يعيب عن أى باحث . تحول النظام العربى القومى التحررى إلى نظام « شرق أوسطى » فى ظل عمليات سياسية واقتصادية – نفطية جديدة جعلت حلف بعض النظم العربية مع إيران فى إطار سياسة استعمارية تجاه الشرق الأوسط ضروريا فى بداية الأمر لتحقيق أهداف اقتصادية وأمنية كبيرة لمعسكر الاحتكارات العالمية الكبرى[٥] ومن ثم كانت صفقة « إبعاد » إسرائيل من افريقيا وكان التمهيد بعد ذلك لدور نظام السادات والشاه معا ومنفصلين فى الخليج وافريقيا .

كان ذلك أمرا ملحا للنظام الرأسمالى العالمى إذا عرفنا أن النظام الإقليمى فى الشرق الأقصى كان فى طريقه بدوره للتغيير مع بوادر انتصار الثورة الفيتنامية وتطلع إدارة السوق الرأسمالى العالمى لدخول الصين الشعبية للاستفادة من طاقتها الشرائية وظروف التغيرات الداخلية فيها

وقد أدى ذلك إلى حدوث نوع من المقايضة فى الشرق الأقصى مثلما حدث فى الشرق الأوسط بعد ذلك ولأسباب ونتائج مختلفة .

فقد سارع الغرب – ضمن إعادة ترتيبه للشرق الأقصى بعد فيتنام – بإغراء الصين الشعبية بافريقيا ، فدفع الدول الأفريقية المرتبطة به وذات الصلة بالصين الوطنية إلى قطع علاقاتها بتايوان رغم حاجتها لمساعدتها المحدودة التى تقدمها فى زراعة الأرز ومشروعات الرى (النمط الإسرائيلى) وعداء هذه الدول المعروف أيضا للشيوعية ولنموذج الصين الشعبية (المتطرف) إلا أننا فوجئنا عام ١٩٧٢/٧١ بدول مثل السنغال والتوجو وبنين والكاميرون وأفريقيا الوسطى والجابون ... تقوم « بمظاهرة » ليس فقط بقطع العلاقات مع الصين الوطنية بل والاعتراف بالصين الشعبية لتسمح أصواتها بدخولها الأمم المتحدة .

معنى ذلك أن ظروفا شبيهة مرت بالمعسكر الرأسمالى العالمى ، وبواقع النظم العربية والأفريقية عام ١٩٧٣/٧٢ جعلت « التوحد الإسرائيلى » أيضا مع المعسكر الإمبريالى فى أفريقيا يستبدل « بتكامل » عربى أفريقى مع هذا المعسكر بدرجة أو بأخرى ، وفى ظاهرته الرئيسية ، أعنى الثروة النفطية أكثر من غيرها مستفيدين من ظواهر إيجابية لصالح مزيد من التقارب العربى الأفريقى ، ومن ظواهر سلبية خاصة ببرامج التنمية داخل معسكر الدول النامية نفسه تساعد على هذا الاقتراب .

لكن الظرف العام لمعسكر الرأسمالية العالمية يظل هو الأساس وقدرة هذا المعسكر على التعامل مع إسرائيل والعرب فى هذا الوقت من موقع موحد يساعد على القبول بسيناريو « الأمن الغربى » كأساس لترتيب هذه العلاقات فى غياب تأثير حركة التحرر الوطنى العربية والأفريقية وتحول حركة

(٥) جميل مطر وعلى الدين هلال : **النظام الإقليمى العربى** . دراسة فى العلاقات السياسية العربية (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ١٩٧٩) .

عدم الانحياز فى هذه الفترة إلى « الاقتصادية » وعجز تجمعات مثل مؤتمر القارات الثلاث والشعوب الافريقية والأفريقية الآسيوية عن التأثير .

فى هذه الظروف كان النظام الرأسمالى العالمى يواجه أزمته الاقتصادية المعروفة أوائل السبعينيات ، وكانت أزمة الدولار الأمريكى وميزان المدفوعات الأمريكى يواجه أشد المنافسة من الرأسماليات الأخرى فى أوربا الغربية واليابان حيث ينافس الين اليابانى والمارك الألمانى الدولار الأمريكى فى سوق التجارة الدولية .

فكان التحرك الأمريكى فى دائرة النفوذ التقليدية « فى الشرق الأوسط وجاء ذلك بإحكام القبضة على الثروة العالمية الرئيسية وهى البترول ، حيث تسيطر بشركات النفط الأمريكى الكبرى على إنتاج النفط فى الشرق الأوسط ، فى الوقت الذى لا تعانى السوق الأمريكية الحاجة إليه وإنما تعتمد عليه أوربا واليابان بنسبة ٨٥٪ من احتياجاتها(٦) .

ولقد أثبتت الوثائق التى نشرت تباعا عقب هذه التطورات كيف أن الحكومة الأمريكية هى التى كانت بين عامى ١٩٧١/١٩٧٣ تشجع الدول المنتجة للنفط على رفع سعر النفط وعلى استبقائه مرتفعا ، وأكثر من أى شخص آخر كان جيمى أكنز (مسئول أمريكى) مكلفا بتبليغ هذا الموقف للدول المنتجة وهذا ما حدث بالفعل خاصة أثناء انعقاد المؤتمر الثامن لبلدان النفط العربية فى الجزائر من ٢٨ أيار / مايو حتى ٣ حزيران / يونيو ١٩٧٢ ثم بصفته سفير الحكومة الأمريكية فى الرياض . إلا أن الأوبيك قد تخطت فى خريف عام ١٩٧٣ وبنسبة كبيرة حدود الـ ٥ دولارات للبرميل الواحد وهو السعر الذى كانت تتوقعه واشنطن . « وفى مرحلة تالية » كتب اليمانى نفسه لسكرتير شئون الخزانة الأمريكية رسالة يقول فيها أن هنالك من يعتقد أنكم تشجعون مثل هذه الخطوة (رفع الأسعار) لأسباب سياسية واضحة ... وأنه إذا لم تضغط واشنطن على إيران فسوف نسقط موقفنا الحالى حول مسألة الأسعار ... ثم نسى اليمانى شعار خفض الأسعار فى اجتماع الأوبيك - أيلول / سبتمبر ١٩٧٥ .

« بل أن كيسنجر الذى يبدو أن السعودية طلبت منه نقل رغبتها لإيران حول خفض الأسعار لم يطلب من الشاه أثناء لقاء سان مورينز فى شباط / فبراير ١٩٧٥ العمل على تخفيض الأسعار ... » وفى آيار / مايو ١٩٧٥ ارتأى الرئيس فورد أن لا مفر من حدوث ارتفاع جديد فى الأسعار(٧) .

وينقل الدكتور غسان سلامة عما نشرته المصادر الأمريكية قولها : أن الولايات المتحدة قد أفادت من ارتفاع الأسعار وأن علاقاتها بالأوبيك هى علاقات شراكة وتعاون ... وأن المكاسب التى

---

(٦) جلال أحمد أمين : المشرق العربى والغرب : مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٧٩ ص ٨٩ - ٩٠ .

(٧) غسان سلامة ، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ : دراسة فى العلاقات الدولية ، الدراسات الاستراتيجية ، ٣ (بيروت : معهد الأنماء العربى ، ١٩٨٠) ص ٣٨٢ ٣٨٦ .

حققتها واشنطن من جراء ذلك هي

١ - تعاظم حصة الولايات المتحدة في التجارة الدولية على حساب أوربا واليابان

٢ - تحسن قيمة الدولار بنسبه ١٢

٣ - عودة القسم الأكبر من البترو دولار إلى الولايات المتحدة .

٤ - تقدم مؤشر النمو الاقتصادى .

وكان على الدوائر الأمريكية أن تعمل على تشجيع الطاقة الاستيعابية لدول النفط فلجت لبيع السلاح إليها مما جعل دول الشرق الأوسط تستوعب ٧٩,٤٪ من إجمالى مبيعات الولايات المتحدة من الأسلحة ، وتدفق من السعودية وحدها إلى الولايات المتحدة ٤٠ مليار دولار فيما بين ١٩٧٧/٧٤ فى مختلف الصور ... .

ومع الانتعاش الذى حدث على الصعيد الأمريكى فى ظل تنافسات غربية وتبادل مصالح والمواقع فإنه من المعروف أن العالم الثالث مر بأزمة اقتصادية طاحنة نتيجة ارتفاع أسعار البترول من ناحية وارتفاع أسعار المواد المصنعة من ناحية أخرى . والدراسات فى هذا المجال وفيرة جدا وقد ركزت فى معظمها رفق اتجاهها نحو العرب بالأساس على ذكر تصاعد قيمة فاتورة النفط فى صادرات العالم الثالث وخاصة افريقيا ، ولكن الأكثر موضوعية كان يبرز فى الوقت نفسه أن أسعار المواد المصنعة هى التى تضخمت أكثر ، وذلك نتيجة استغلال السوق الرأسمالى لهذه الظروف ومعالجة مشاكل التضخم فى الغرب بزيادة أسعار مواده المصدرة إلى العالم الثالث .

ويمكننا أن نوجز هذه الظاهرة فى أرقام بسيطة ذات دلالة . ففى عام واحد بين ١٩٧٣ و١٩٧٤ زادت فاتورة البترول لدى دول العالم الثالث ٩,٧ مليار دولار خص منها أفريقيا وحدها ٤,٤ مليار دولار . وأدى ذلك إلى زيادة عجز الميزان التجارى من ١٥ مليار دولار إلى ٢٥ مليار وفى الوقت نفسه زادت أسعار صادرات المخصبات الزراعية وحدها من الدول الغربية لدول العالم الثالث بحوالى ٥ مليار دولار . ونقول المخصبات الزراعية بالذات لعلاقتها الحساسة بالحياة اليومية وأزمة الغذاء فى العالم الثالث(٨) .

ونحن لا نريد الدخول فى تفاصيل معروفة عن التضخم وزيادة مديونية دول أفريقيا والعالم الثالث نتيجة زيادة أسعار المواد المصنعة وتزايد العجز فى الميزان التجارى للدول النامية ولكننا نزعم أن الجو السياسى الذى أحاط بمعالجة هذه المشاكل هو الذى جعل الدول الغربية تدفع بعدد كبير من الدول الافريقية إلى تغيير موقفها من إسرائيل بهذا الشكل الدرامى بين عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ ليشكل ذلك إغراء للمال العربى الفائض والمتزايد بالاتجاه نحو أفريقيا « تقديرا لموقفها » وذلك خوفا من أن يؤدى اشتداد الأزمة فى الدول الأفريقية إلى « انحرافات راديكالية » لا تحمد عقباها على المصالح الغربية .

---

(٨) Vine and Luke, the Arab-African Connection, Politcal and Economic Realites pp. 31-41.

فى تصورى أن هذ هو الجو العام الذى أريد فيه إحداث « التحول الافريقى » عن إسرائيل مؤقتا ليفسح المجال لظواهر أخرى ملحة ، ولم يحدث التحول وفق قوة الحركة الوطنية التحررية عربيا وأفريقيا لأن المقاومة كانت شرسة للتقارب بينهما ، فرغم احتلال إسرائيل لأراضى ثلاث بلدان عربية ١٩٦٧ لم توافق الأغلبية الافريقية طوال أعوام ٦٧ - ١٩٧٠ إلا على قرار بانسحاب « القوات الأجنبية » من أراضى مصر الأفريقية ثم الأراضى العربية ، ولكن فجأة خلال عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ تقوم دول مثل ساحل العاج والتوجو والنيجر ونيجيريا وزائير وكينيا وأثيوبيا « وكلها مراكز نفوذ غربية معروفة » ومعها بقية التسع والعشرون دولة باتخاذ موقف حاد من إسرائيل تقطع فيه علاقاتها الدبلوماسية معها .

ولقد أبدى الكثيرون دهشتهم لذلك بالفعل ولم تكفهم التفسيرات حسنة النية ومن هؤلاء كتاب صهاينة مثل سوزان جتلسون التى قدمت أحد سيناريوهات هذه العملية ممثلة فى حالة كينيا ، حيث صرح كينياتا فى ١٠ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ محتجا على مظاهرة قطع العلاقات مع إسرائيل « بأن تبعية دولة لأخرى فى التدخل فى الصراعات بين الشعوب تعتبر دعارة سياسية » ! وبعد ثلاثة أسابيع فقط قطعت كينيا علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل ليس فقط « وفقا لميثاق الأمم المتحدة بل وفق مبادىء كينيا » كما جاء فى بياناتها السياسية(٩) .

ومن هنا لا يمكننا أن نفهم أن ثمة دورا موضوعيا « للمال العربى » لعبه فى هذه المرحلة أو أنه كان قوة دفع إقليمية لعبت مستقلة لبناء مزيد من الاستقلالية والتحرر فى منطقتى أفريقيا والعالم العربى أو فى العالم الثالث ، وإنما تثبت وقائع لعبة أسعار النفط وتوجهات المال العربى بعد ذلك كيف أريد استعماله للعمل السياسى لمواجهة مشكلات ارتفاع الأسعار وحل مشاكل الدولار وأزمة المعسكر الغربى فى العالم الثالث نفسه . قد تكون الولايات المتحدة قد نجحت فى تصدير الأزمة إلى منطقة المارك الألمانى والين اليابانى لكن أزمة العالم الثالث التى نتجت عن هذا الموقف بالحجم الذى رأيناه قد تطيح بالنفوذ الغربى كله بزحف « الراديكالية » - أو « تسلل الخطر الشيوعى » إليه ، لذا كان لابد من التخطيط أيضا لجذب رأس المال العربى بعد معالجته لأزمة الدولار وميزان المدفوعات الأمريكى ليتجه إلى بلدان العالم الثالث مستثمرا ومقرضا ، وكان لابد لإحداث ذلك من إغراء رأس المال العربى « بمظاهرة سياسية » يحبها العرب وتجذب حكامه ، وهى « تحول العالم الخارجى عن إسرائيل ... » وليس مضاعفة عدائهم هم لإسرائيل !! وليس فى هذا الإجراء مفاجأة كبيرة لأحد ، فقد كان الغرب محتاجاً أيضا للضغط على إسرائيل لقبول إجراءات السلام - التى طرحها السادات منذ مبادرته فى فبراير ١٩٧١ ، وفى ١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ وحتى انتهت بكامب ديفيد ١٩٧٩ وفق السيناريو المعروف الذى قادته دوائر الأمن القومى الأمريكى وأصبحت وثائقه مطروحة أمام الجميع فى الوقت الحالى .

وقد نجح هذا المخطط فى أداء دوره بالفعل مع تحول نسبة ملحوظة من الفوائض العربية إلى

---

(٩) Curtis and Gitelson, eds: Israel in the Third World, p. 195.

الدول النامية سعت فى السنوات الأولى ١٩٧٤ - ١٩٧٧ حوالى ١٩ مليار دولار ، وحيطت بمخططات أوربية أخرى عن دور « الطرف الثالث » فى إدارة الاستثمارات وتوجهات الحوار الثلاثى العربى الأوربى الافريقى - الذى لم ترتبط بأية توجهات تنموية جديدة .. ولقد كان كل ذلك مطلوبا لدفع المال العربى بسرعة إلى بلدان افريقيا لأداء أكثر من وظيفة بديلة أو معاونة لرأس المال الدولى(١٠) .

* فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا لم تزد مساعدتها للدول النامية لعام ١٩٧٤ عنها منذ عشر سنوات سابقة فثبتت قروضها ومعونتها عند ٣,٤ مليار دولار لتخفض بذلك نسبتها فى الناتج القومى الأمريكى المتزايد من ٠,٤٩٪ إلى ٠,٢١٪ ، ومعنى ذلك أن طرفا ثالثا لابد أن يقوم بدور إنقاذ للدول النامية وكان العرب هم هذا الطرف .

* إن البلدان العربية النفطية قد استجابت لذلك فعلا عقب أزمة أسعار البترول فخصصت مساعدات للدول النامية بلغت ٨,٢ بالمائة من إنتاجها القومى وهو ما يشكل ١٢ بالمائة من عائدات النفط .

* كان توجه رأس المال العربى مباشرة وبأعلى نسبة فى مرحلته الأولى بوجه خاص إلى الدول التى تشكل عبئا على الغرب « زائير مثلا » ، وفى مجال القطاعات الاقتصادية اتجه إلى تغطية عجز ميزان المدفوعات للدول الافريقية « مع الدول الغربية طبعا » بما وصل إلى ٢٧ بالمائة من حجم المعونات العربية فى السنوات الأولى ولم ينخفض عام ١٩٨١ عن ١٧,٢ بالمائة « تقارير المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا » .

ومن الطبيعى أن نشير إلى أن ثمة عناصر ذاتية فى علاقات العرب والأفريقيين دفعت إلى لقائهم السريع وأن هذا اللقاء كان عميقا فى المواقع التى كان تطورها طبيعيا فى هذا الاتجاه أو المواقع التى مازال لديها تعلق بالتوجهات الاستقلالية فى العالم الثالث ، بل إن ثمة عوامل موضوعية فى العلاقة بين المنطقتين كانت تساعد على دفع العلاقات بينها وإبعاد إسرائيل بوجه خاص « انتهاء مشكلة بيافرا وجنوب السودان بدور إسرائيل المعروف فيهما مثلا » .

ورغم أن هذه الموضوعات تدخل ضمن دراسات أخرى حول التعاون العربى الأفريقى أو أن بعضها قد أشير إليه من قبل إلا أننا نؤكد فى النهاية أن القوى الغربية فى ظل تصاعد المد الإمبريالى فى هذه الفترة لم تكن لتسمح بنمو هذه العوامل الموضوعية أو العناصر التحررية فى العلاقات العربية الأفريقية ، ومن ثم لا يمكننا تصور تحول سريع مثل الذى حدث من قبل عدد من الدول الأفريقية تجاه إسرائيل خارج السيناريو الغربى .

فالقوى الغربية المسيطرة لا تسمح بلقاء أفريقى عربى فعال يضر بمصالحها المباشرة أو يؤثر فى

---

(١٠) حلمى شعراوى : قراءة جديدة لوقائع العلاقة بين حركتى التحرر الوطنى العربية والأفريقية (معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية - الخرطوم ١٩٧٨) ص ٧٥ .

« النظام الدولى » بالمفهوم الذى تبنيه به ونو أن أى من « البؤر التقدمية » فى العالم الثالث هى التى كانت تدير التحالفات الافريقية العربية أو تنمى دورها السابق فى التحالفات الدولية لصالح روح « الجامعة الافريقية » و« العربية » أو حركة التحرر الوطنى لما مضى السيناريو على هذا النحو . ولكن ذلك لم يمنع استمرار بعض العوامل الموضوعية كما قلنا ممثلة فى مجموعة العلاقات المؤسسية التى نمت على الجانب العربى والافريقى وضرورة تنميتها تدريجيا ، وبقايا روح التحرر الوطنى لدى بعض الدول المعادية للاستعمار على الجانبين ممن هددوا مواقع المصالح الغربية التى رأت عدم عزل المال العربى عن هذه الدول تماما للحد من تطرفها مما جعل موجة المقاطعة لإسرائيل تبدو فى النهاية شاملة على النطاق الافريقى ، سواء من قبل الدول التى لم تكن مؤهلة تلقائيا لذلك أو الدول التى تصرفت بما يتفق مع موقفها الوطنى .

رابعاً - إسرائيـل تواجـه الأزمـة

فهمت إسرائيل من خلال الطريقة التى تمت بها مظاهرة عام ١٩٧٣ ، أن ثمة « رسالة » من الغرب لها « بالانسحاب المؤقت » لا تقل أهمية عن تلك الرسالة التى فهمتها أوائل الستينيات بشأن « التقدم السريع » فى أفريقيا لأسباب تتعلق بالمصالح العليا للمعسكر الغربى فى الحالتين ، رغم أننا لا ننكر خصوصية التكتيك الإسرائيلى وردود أفعالها الآنية . ولذا فإن الدوائر الإسرائيلية وأجهزة إعلامها راحت تعالج أسباب الأزمة وكيفية تجاوزها دون أن يسىء ذلك لمركز إسرائيل الخاص فى القارة .

وكان طبيعيا أن يبدو رد الفعل المباشر عصبيا حتى لقد وصف ذلك أحد الباحثين الإسرائيليين بأن « الذين بالغوا فى وصف قوة إسرائيل فى افريقيا مثلا هم الذين يبالغون الآن فى إعلان خيانة افريقيا أو اتهامها بعدم النضج »[١١] .

وراحت إسرائيل تعكس غضبها باتخاذ بعض الإجراءات المحدودة لإشعار الجانب الافريقى بخطورة قطع العلاقة مع إسرائيل . فسارعت بسحب عدد من خبرائها وفنييها بلغ حوالى ١٢٦ خبيرا وفنيا مع ترديد مبدأ عدم تقديم المساعدات الفنية بوجه خاص بدون علاقات دبلوماسية ، بل حاولت ممارسة مزيد من الضغط المباشر بسحب بعض المشروعات القائمة على عقود قصيرة المدى ، لما لها من فاعلية أكثر ، وأوقفت العمل فى ٨٩ مشروعا ، وتبع ذلك إبعاد المتدربين الأفريقيين من إسرائيل نفسها[١٢] وأصبح مفهوم إسرائيل للعالم الثالث الذى تطلعت أن تكون عضوا بارزا فيه موضع تساؤل البعض وعبر عن ذلك سكرتير عام الكنيسيت بقوله : إن إسرائيل تعيش حالة إحباط وخيبة أمل فى العالم الثالث الذى لا تحكمه إلا وحدة اقتصادية تدفعه إلى طلب مساعدة العرب والعيش فى وهم « الإخوة » معهم ، بينما يطرد من النادى العضو الأكثر تأهيلا لعضويته « إسرائيل » .. حيث هى الدولة التى قامت على العداء للاستعمار وعلى عدم الانحياز .

وطرح آخرون تساؤلا عما إذا كانت إسرائيل تريد أن تعيش كدولة صغيرة فى العالم الثالث أم تصير « قوة » فى الشرق الأوسط بدون العالم الثالث . وبقى الخلاف حول ما إذا كانت قوة « شرق أوسطية » بالفعل وبالتكوينة الاجتماعية التى تنسبها فى النهاية للعالم الثالث أم قوة ذات طابع أوروبى بالأساس[١٣] .

وبدأت الإجابات فى هذا الصدد بالرهان على عدم نجاح مساعدات العرب لافريقيا وعدم استمرار وحدة دول العالم الثالث نفسه ، بل وطرح أحدهم مبكرا فى جيروزاليم بوست فى عام

---

(١١) شيمون أمير ، « التحدى والاستجابة » فى :

Curtis and Gitelson, eds Israel in the Third World, p. 238.

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨

(١٣) Shalom Cohen, "Europe or the Third world," New Outlook (tel Aviv), (December 1981).

١٩٧٤ - « تأثير الحل السلمى المتوقع والمرور فى قناة السويس على إعادة العلاقات بين افريقيا وإسرائيل »(١٤)

ومن جهة أخرى أعيد طرح شعار « وحدة الشعب اليهودى » فى العالم ، أى التصرف كأمة وليس فقط كدولة بالنسبة للتعامل مع دول العالم الثالث ، كان ذلك تبريرا - كما سنرى - للتعامل الأوسع مع الجاليات اليهودية فى جنوب أفريقيا وأمريكااللاتينية - وليس فقط فى الولايات المتحدة الأمريكية ، مؤكدين مقولة إيبان عن أن إسرائيل قوية بالشعب اليهودى ولا تستطيع وحدها البقاء فى الشرق الأوسط .

١ - البدائل :

كان طبيعيا أن تبحث إسرائيل بسرعة عن بدائل لأنشطتها حتى تهدأ الجبهة الافريقية قليلا ، ولكنها لم تتخل فى الوقت نفسه عن ساحة العالم الثالث باعتبارها ساحتها الطبيعية . خاصة وأن توحدها مع الولايات المتحدة اعتمادها عسكريا واقتصاديا على الصلة بدوائرها ومؤسساتها الصناعية العسكرية كان آخذا فى التزايد منذ السبعينات المبكرة مما انعكس على طبيعة علاقات إسرائيل بمناطق النفوذ الأمريكية المباشرة خارج النطاق الافريقى مؤقتا فضلا عن تطوير العلاقة الخاصة والاستراتيجية بجنوب افريقيا .

أ - فى أمريكا اللاتينية :

سجل الباحثون الإسرائيليون والصهاينة توطد العلاقات مع دولها على المستوى الجماعى والثنائى ، فراحت تعيد تنظيم الاتفاقيات مباشرة مع منظمة الدول الأمريكية O.A.S. خاصة فى مجال التعاون الفنى ، كما تدعمت العلاقات مع المكسيك وشيلى وبيرو وفنزويلا خاصة فى مجال الزراعة والرى على النمط الافريقى نفسه من قبل ، أما علاقتها بالبرازيل والأرجنتين فكانت فى إطار ضمان مصادر النفط(١٥) ، وعاد الاهتمام بدور الجاليات اليهودية فى ظل تزايد تيار وحدة الشعب اليهودى ومن ثم تكرر الحديث عن « التناغم الثلاثى » فى أمريكا اللاتينية بتحسين علاقات هذه الجاليات مع نظم الحكم القائمة وفى الوقت نفسه ازدهار العلاقات مع إسرائيل(١٦) .

إلا أن قمة تركيز إسرائيل لم تكن فى الساحات الهادئة نسبيا كما هو متوقع إذا كانت الدولة تبحث عن علاقات متبادلة ، ولكنها اتجهت بالأساس إلى دول أمريكا الوسطى مركز اهتمام وقلق الولايات المتحدة الأمريكية ، لتقوم فيها إسرائيل بدورها التقليدى من ناحية وتنمى عبرها تجارة

---

(١٤) سوزان جتلسون ، « آفاق نكسة إسرائيل الأفريقية » ، فى :

Curits and Gitels, eds., Israel in the Third World, p. 199.

(١٥) أمير ، « التحدى والاستجابة » ، ص ٢٣٩ .

(١٦) Yosef Gotlieb, "The Development of Latin American Jewish Community," Israel Horizon (New York), (September-October 1981).

إسرائيل / أمريكا المشتركة فى السلاح من جهة أخرى . وهنا تسجل جميع المصادر تعاون إسرائيل مع الولايات المتحدة فى مواجهة الحركات الثورية وحماية النظم التابعة لها فى نيكاراغوا وغواتيمالا والسلفادور وكوستاريكا وهندوراس وأورغواى ... الخ . وانتشرت مقابل ذلك عمليات الثوار ضد إسرائيل وجنوب افريقيا بما يؤكد وضوح هذه العلاقة بين إسرائيل والنظم الديكتاتورية اللاتينية . « حادث اختطاف قنصل جنوب افريقيا والمطالبة بقطع العلاقات بين السلفادور وكل من جنوب افريقيا وإسرائيل عام ١٩٧٩ »[١٧] .

وقد تحولت إسرائيل من خلال ذلك إلى تاجر السلاح رقم واحد فى بعض هذه الدول إلى حد تسجيل أنها تقدم ٩٨ بالمائة من الاحتياجات العسكرية للأورغواى و٨١ بالمائة من احتياجات السلفادور وذلك بالقرب من حدود الولايات المتحدة بما يشير إلى طبيعة العلاقات الصناعية الاستراتيجية التى باتت تربط النظام الأمريكى بالإسرائيلى .

ب – وفى آسيا :

لم تكن مصادفة أن تتجه إسرائيل بثقلها مرة أخرى إلى جنوب شرق آسيا على نحو ما كانت من قبل فى سنغافورة وماليزيا بحكم تطورهما فى إطار الاستعمار الجديد ، وفى هذه المرة اتجهت إسرائيل إلى اللجنة الاقتصادية لجنوب شرق آسيا ECAFE وسجلت نفسها كمراقب فى اجتماع كولومبو ١٩٧٤ عبر معركة سياسية ودبلوماسية حققت لها مركزا فى هذه المنظمة فى النهاية ، بل انتهت إلى توقيعها لعدد من الاتفاقيات المهمة فى المنطقة حول تنمية مصادر المياه واستكشاف إمكانيات الصيد فى تايلاند ولاوس ، بل اتسع نطاق تعاملها إلى مسائل نقل التكنولوجيا فى آسيا وعقد ندوتها الكبرى فى إسرائيل فى أوائل عام ١٩٧٤ .

وفى إحصائية أوردها شيمون أمير عن الخبراء الإسرائيليين الذين سحبتهم إسرائيل من افريقيا للتهديد خلال أزمة عام ١٩٧٣ لاحظ أن عدد هؤلاء الخبراء قد تضاعف فى أمريكا اللاتينية وبلغ أربعة أضعافه فى آسيا[١٨] .

جـ – التحالف مع جنوب افريقيا :

لم تتوثق العلاقة بين إسرائيل وجنوب افريقيا فجأة كبديل لعلاقاتها بدول القارة التى قطعت علاقاتها بإسرائيل عام ١٩٧٣ ، وإن كان التطور الاستراتيجى الكبير الملحوظ فى السنوات الأخيرة لافتا للنظر فعلا فإنه يدخل بالتأكيد فى إطار تطور العلاقات الاستراتيجية بين إسرائيل والقوى الإمبريالية عامة بالإضافة لتطور طبيعة البيئة الاقتصادية الاجتماعية لإسرائيل نفسها . ولسنا هنا بصدد التعرض لتفاصيل حجم العلاقات بين إسرائيل وجنوب افريقيا خاصة بعد عام ١٩٧٣ ولكننا نشير إلى بعض الحقائق الرئيسية :

---

(١٧) The Guardian, 27/8/1982.

(١٨) أمير ، « التحدى والاستجابة » ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

— إن الأيديولوجية الزائفة للنظام في جنوب افريقيا لم تمنعه من التحول الكامل من العداء لليهودية وموالاة النازية إلى الارتباط بأيديولوجية الاستعمار الجديد في التحالف مع « الفيدرالية الصهيونية » في جنوب أفريقيا وسرعة الإعتراف بإسرائيل والتعاون معها .

— إن إسرائيل وجنوب أفريقيا الخمسينيات، الستينيات. كانتا تقومان ببناء نظامهما الداخلي وحتى تأمينه بالعلاقات الخارجية ، إسرائيل من أجل « الشرعية » في العالم الثالث وجنوب أفريقيا بالصمود للتحدى وبمواجهة حركة التحرر الأفريقية — لذلك كانت دعوى إسرائيل أنها دولة ذات اقتصاد موجه يمكن أن تفيد الدول النامية بينما جنوب أفريقيا كانت تقارن دائما خدماتها للأفريقيين الخاضعين لها بما تقدمه الدول التي « استقلت » لشعوبها .

— مع وقوع الأزمة الاقتصادية في السبعينيات على المستوى العالمي وخاصة في العالم الثالث واقتران ذلك بنمو الاتجاه الليبرالي في الاقتصاد الإسرائيلي ونمو بنيتها الصناعية والتوجه الاستهلاكي لمنتجاتها بما جعلها بحاجة للتحالف مع السوق الصناعي المتقدم في أوروبا وجنوب افريقيا بأكثر من حاجتها للسوق الأفريقي[١٩] زادت تجارة إسرائيل مع جنوب أفريقيا لثلاثة أضعاف بين أعوام ١٩٧٣/١٩٨٠ بينما لضعف واحد مع أفريقيا .

أدى هذا التطور في اتجاه النمو الاقتصادي الإسرائيلي والجنوب افريقي على السواء إلى تطور طبيعة العلاقات في مجالات استراتيجية مثل الصناعات الثقيلة واستعمالات الطاقة النووية وتفجيراتها « ١٩٧٩ »[٢٠] وبالوصول لهذه المرحلة تنوعت العلاقات في المجالات العسكرية والصناعية والدبلوماسية والثقافية والبحث العلمي . وحرصت إسرائيل على جر مصالح جنوب أفريقيا إلى منطقة الشرق الأوسط بمشاركة جنوب أفريقيا في صناعة الصلب وخطوط السكك الحديدية وأنابيب البترول[٢١] ، وهي عمليات استراتيجية تختلف عن مجرد جلب الماس من جنوب افريقيا لصقله وإعادة تصديره . ومن الواضح أنها إلى جانب أهميتها الاقتصادية فإن إسرائيل تريد أن تدخل أكثر من طرف في قضيتها بالمنطقة كما أنها تستفيد هي وجنوب افريقيا من « تبادل المواقف إزاء عمليات المقاطعة التجارية الدولية ... » فقامت إسرائيل وجنوب افريقيا بتصعيد هذه العلاقات دون مبالاة بالموقف الأمريكي أو العربي بعد تطور النظامين العنصريين للتوحد المباشر مع المصالح الغربية وتجاهل النزعة « الاستقلالية » المدعاة من قبل .

وقد بلغ هذا التوحد بين كل من إسرائيل وجنوب أفريقيا من جهة وبينهما وبين المعسكر الرأسمالي العالمي من جهة أخرى بلغ قمته في فترة تصاعد التعاون العربي الأفريقي نفسها منتصف السبعينيات ، فبينما اتخذ النظام الأمريكي قراره بالتصدي لنظام الحركة الشعبية في أنجولا وعلاقاتها

---

(١٩) جلسون ، « آفاق نكسة إسرائيل الأفريقية » ، ص ١٨٥ و
Beshir, Terramedia : Themes in Afro-Arab Relations, pp. 108-123.

(٢٠) New African, no. 177 (June 1982), p.51.

(٢١) Abdel Kadel Ben Abdallah, Lm Alliance reciste Israelodud Africaine (Ottawa : Editions Canada-Monde Arabe, 1979), pp. 171 - 177.

بالدول الاشتراكية حفاظا على المصالح الاستراتيجية بجنوب القارة صدر فى الوقت نفسه قرار التصدى حركة الكدح «سمح لفلسطينى بضرب إسرائيل لمجال تحركها فى الجنوب اللبنانى .

وليس مصادفة أن تشارك إسرائيل بمساعدة جنوب افريقيا وحركة يونيتا فى أنجولا عام ١٩٧٥ ثم مساعدة أيان سميث بعد ذلك مباشرة ١٩٧٨ فى روديسيا « زيمبابوى » مقابل بناء مصالح اقتصادية استراتيجية بين جنوب أفريقيا وإسرائيل ثم التفجير النووى المشترك - لصالح التكنولوجيا الإسرائيلية - جنوب الأطلنطى وجنوب أفريقيا عام ١٩٧٩ ، ولقد غيرت إسرائيل سياستها النامية هذه تجاه النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا متحدية المشاعر الافريقية بإرجاع المسئولية على الدول الافريقية التى قطعت علاقتها بها ، وسبق رفض حركات التحرر الأفريقية لمساعدة إسرائيل لها عام ١٩٧١ . ومع حملة الضغط لإعادة العلاقات مع افريقيا رغم علاقة إسرائيل بجنوب أفريقيا وورد أكثر من مصدر صهيونى القول بأن تجارة إسرائيل مع جنوب افريقيا محدودة لا تزيد عن سدس تجارة جنوب افريقيا مع الدول الافريقية نفسها التى تطالب إسرائيل بالمقاطعة[٢٢] .

بل إن بعض الصحف الصديقة لإسرائيل فى كينيا (نيسان / إبريل ١٩٨١) قد أشارت إلى أهمية استثمارات جنوب أفريقيا فى إسرائيل فى مجال الطاقة الشمسية بعد زيارة وزير المالية الجنوبى أفريقى لإسرائيل فى ذلك الوقت ملوحة بأهمية الاستفادة من عنصر الطاقة الجديد هذا مقابل تحكم العرب بأسعار النفط .

٢ - التعامل المباشر فى افريقيا :

بفهم إسرائيل للرسائل الأوربية « بالتخلى » عن خطة الهجوم بعض الوقت فإن ذلك على ما يبدو قد اقتصر على العمل الدبلوماسى والدعائى فقط حيث يلاحظ الباحث فى هذا الشأن تنوع فى الخطط لتأكيد الوجود الإسرائيلى فى أفريقيا فى السبعينيات بما لم يقل خطورة عنه خلال الستينيات .

وقد أدى التحول فى البنية الاقتصادية الاجتماعية بإسرائيل فى اتجاه الليبرالية الاقتصادية والتوسع الصناعى العسكرى الاستراتيجى المتوحد مع نظيره الأمريكى إلى ضرورة اتساع قاعدة التعامل الإسرائيلية لتقفز من أفريقيا إلى الآفاق الأمريكية اللاتينية والآسيوية على نحو ما رأينا ومن ثم أصبح العالم الثالث هنا بما فيه أفريقيا بالنسبة لإسرائيل ، لا يعنى أكثر من ساحة « لديماغوجية » التصويت فى المحافل الدولية » على نحو ما تذكره وسائل الإعلام الإسرائيلية . ويكفى فتح سوقه لتجارتها الاستراتيجية وقد رأينا ذلك فى توسع تجارة السلاح الإسرائيلية بأمريكا اللاتينية ، كما لاحظناه فى التحالف العسكرى الاستراتيجى لإسرائيل مع جنوب افريقيا .

١ - الوجود الاقتصادى لإسرائيل :

إن الذين تابعوا النشاط الإسرائيلى فى الستينيات حتى أوائل السبعينيات سوف يكونون أقدر من

---

(٢٢) 8Israel Economist, (February 1982).

الدولة	الصادرات « بملايين الدولارات »			الواردات « بملايين الدولارات »		
	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
أثيوبيا	٤,٤	٤,٤	١١,٢	٢,٠	٥,٦	١,٨
الجابون	—	١,٢	٠,٦	١,٦	٤,٨	٥,١
غانا	٢,١	٢,٠	٢,٠	٠,٦	٠,٤	—
جنوب أفريقيا	١٠,٧	٣٤,٧	٧٩,٢	١٠,٢	٤٠,٢	١١٧,١
ساحل العاج	١,٢	٤,٢	٧,٠	٠,٩	٢,٨	٤,٨
تنزانيا	١,٩	١,٩	٨,٦	٠,١	١,٩	١,٤
ليبيريا	٠,١	٢,٩	٠,٣	١,٢	٢,٣	—
نيجيريا (أ)	٣,٦	١٣,٤	٤٤,٣	—	—	٠,١
كينيا	٣,٦	٣,٨	١٥,٢	١,٢	٢,٩	٤,٧
دول أخرى	١٣,٩	٥,٣	٢٢,٥	١٢,٣	٨,٨	٠,٧
الإجمالي	٤١,٥	٧٣,٥	١٩٠,٩	٣٠,١	٦٧,٧	١٣٥,٧

يتصور الفروق الكبيرة فى أرقام تعاملات إسرائيل مع افريقيا فى كافة المجالات وكأن « أزمة » لم تقع فى العلاقات الإسرائيلية الافريقية تحد من هذا النشاط أو تنوعه . وقد يكون طبيعيا أن تستمر العلاقات الاقتصادية بين الدول حتى مع عدم وجود العلاقات الدبلوماسية بينها ، لكن تحول هذه العلاقات للاستثمارات والخبراء هو الملفت بالفعل .

(١) ففى مجال التبادل التجارى : اخترنا لإظهار حجم التطورات فى تجارة إسرائيل مع افريقيا ثلاثة أعوام وهى ١٩٧٠ و١٩٧٥ و١٩٨٠ لدلالاتها فيما قبل « الأزمة » وبعدها . ويلاحظ أن المصادر الإسرائيلية قد بدأت تكشف عن هذه الأرقام مؤخرا فقط مع الحملة الدبلوماسية للعودة حيث تمثلت شكوى الباحثين من قبل فى عدم توفر هذه الأرقام . والجدول التالى جرى توفيقه من كتاب الإحصاء السنوى الإسرائيلى (١٩٨٠) والذى أورد إحصاء ١٩٧٩ فقط بينما أوردت صحيفة دافار أواخر ١٩٨١ إحصاءات ١٩٨٠[٢٣] :

(أ) ذكرت بعض المصادر أن تجارة نيجيريا زادت من ٢٠ مليونا عام ١٩٧٠ إلى ٤٠ مليونا عام ١٩٨٠ ، انظر :

Le Monde Diplomatique (Janvier 1982).

٢ - فى مجال النشاط الاقتصادى للشركات الإسرائيلية :

قد يفيد تعدد المصادر هنا أيضا فى بيان حجم هذا النشاط :

— قامت الشركات الإسرائيلية فيما بين ١٩٧٣ و١٩٧٨ بعمليات استثمارية فى حوالى ٢٠ دولة افريقية بلغت قيمتها ٨٠٠ مليون دولار ، وكان أهم مواقع هذه العمليات فى زائير وكينيا وساحل العاج وتوجو ونيجيريا[٢٤] ، وتتضمن مبيعات الخصبات والآلات الزراعية ومنتجات الصناعية .

— علقت صحيفة دافار على جدول تجارة إسرائيل مع افريقيا بأن هذا المجموع لا يشتمل على التصدير المقنع كالخدمات التى باعتها الشركات الإسرائيلية وعلى رأسها سوليل بونيه ، وهذه الشركة المستدروتية تنفذ أشغالا ضخمة بحسب المفاهيم الدولية بأحجام تصل إلى مئات الملايين . وتعتبر نيجيريا وكينيا أهم مشترين لأشغال البناء التى تنفذها سوليل بونيه . أما البائع الأهم لدول افريقيا السوداء فهو شركة كور للتجارة ، وتقوم شركات خاصة أيضا بنشاطات أخرى مثل شركة مئير إخوان صاحبة النشاط الكبير فى ساحل العاج[٢٥] .

---

(٢٣) Statistical Yearbook of Israel, 1980, pp. 210-211 and

تيدى بروييس ، « طرزان يعود إلى الغابة » ، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة ١٢ ، العدد ١ (كانون الثانى / يناير ١٩٨٢) (مترجمة عن : دافار ، ١٩٨١/١٢/٢٠) .

(٢٤) Journal de Geneve, 5/7/1979.

(٢٥) دافار ، ١٩٨١/١٢/٢٠ .

– يمتد نشاط الشركات الإسرائيلية فى حوالى مائة مشروع ، وتقوم شركة جريدبو وحدها بمشروعات زادت قيمتها على مائة مليون دولار(٢٦) .

– فسر كثير من المصادر هذا التوسع فى العمليات الاستثمارية الإسرائيلية بربطه بالليبرالية الاقتصادية فى إسرائيل التى أدت إلى قيام الشركات الإسرائيلية بخلق نظام للعمليات ثلاثى الأطراف مع دول أوربا والولايات المتحدة مما سمح لهذه الشركات عام ١٩٨١ بإدخال ٤ مليارات دولار للخزينة الإسرائيلية(٢٧) .

فى مجال الخبرة والتدريب وبالأسلوب الإسرائيلى السابق نفسه فى ربط العلاقات الاقتصادية بوجود الفنيين والخبراء الإسرائيليين ، فقد كرر عدد من المصادر أن هناك فى افريقيا عام (١٩٨٢) حوالى ٤٠٠٠ آلاف خبير منهم ٣٠٠ فى زائير(٢٨) ، بل ويشير مصدر آخر إلى وجود ٢٠٠٠ من هؤلاء فى نيجيريا وحدها(٢٩) أما عن المتدربين فتذكر إحصائيات فى عام ١٩٧٧ أنه كان هناك حوالى ٤٣٥ متدربا افريقيا فى إسرائيل فى مجال التعاونيات والعمل النقابى وأن معظمهم من نيجيريا وكينيا وساحل العاج وسيراليون وزائير وأفريقيا الوسطى . وقد عمدت إسرائيل – كما رأينا – إلى التركيز فى عملياتها الاقتصادية الكبيرة على دول السوق الحر فى افريقيا والقابلة لأن تكون سوقا كبيرة أو التى تمثل عميلا إقليميا Kegional Broker ذا وزن والبعيدة فى الوقت نفسه عن موجة الدعاية الأفريقية . ولذا ترد معظم الأمثلة فى النشاط الاقتصادى الإسرائيلى عن ساحل العاج وزائير ونيجيريا وكينيا . ومن الملاحظ أن النظم السياسية فى هذه الدول نفسها قد وفرت لإسرائيل أمانا لمصالحها الاقتصادية سواء كان ذلك ممثلا فى القيادة مثل الرئيسين بوانيى وموبوتو أو فى قوى سياسية داخلية مساندة مثل حزب وحدة نيجيريا وحزب نيجيريا الكبرى . وهذا الأسلوب الانتقائى فى العلاقات على أساس المصالح الاقتصادية الواسعة هو الذى يلاحظه الباحثون بالنسبة للتطور الاقتصادى الإسرائيلى حتى فى علاقاتها داخل أمريكا اللاتينية « البرازيل . فنزويلا .. » كما أن التوجه إلى دول السوق الحر والكبير فى افريقيا أصبح أكثر صلاحية لتطور إسرائيل مقابل تعاملاتها مع الدول ذات « التوجه الاشتراكى » أوائل الستينيات والزعم بأن إسرائيل مشروع اشتراكى أيضا .

ب – الحضور السياسى :

حرصت إسرائيل على أن تترك انطباعا دائما باستمراريتها على الساحة الأفريقية حتى لقد كان بعض أصدقائها يحرصون على ربط ابتعادها عن الساحة بأنه مؤقت ومرهون بمشكلة الأراضى المصرية « الافريقية » المحتلة أو حتى بعلاقة إسرائيل بجنوب افريقيا ، باعتبار أن المقولتين أقل تأثيرا فى مركز إسرائيل من ربطها بقضية تحرير فلسطين أو أزمة الشرق الأوسط على إطلاقها . هكذا عبرت صحف

---

(٢٦) Journal de Geneve, 7/5/1979.

(٢٧) Le Monde, 17/5/1982.

(٢٨) African Research Bulletin (February 1982).

(٢٩) Israel Economist February 1982).

نيجيريا وسيسيوها كما فعل الكينيون وغيرهم فى معظم المناسبات . ومعنى ذلك أن الديبوماسية الإسرائيلية تغب - بوجود أصدقائها - عن الساحة الافريقية وحرصت فى كل مناسبة على تأكيد هذا الوجود حصة ما يتعلق منها بما يمس شرعية الكيان الإسرائيلى ووجودها الدولى .

ولعل من أهم المواقف التى يجب دراستها بعناية لقياس هذا الاتجاه هو ما حدث خلال التصويت على قرار تشبيه الصهيونية بالعنصرية فى دورة الأمم المتحدة رقم ٣٠ لعام ١٩٧٥ حيث اعتبرته إسرائيل والدول الغربية الكبرى معركة تتعلق بمبدأ تجاه « وجود » إسرائيل وليس مجرد مظاهرة من مظاهرات التصويت التقليدية فى الأمم المتحدة ، ولذا رأينا أن خمس دول قد عارضت القرار وامتنعت ١٤ دولة عن التصويت أى ١٧ دولة فى موقف متحفظ تجاه قرار حاسم مثل هذا القرار مع ملاحظة أن مؤيديه من الدول الأفريقية لم يزيدوا عن ٢١ دولة وهو ما يثير الدهشة فعلا(٣٠) .

وعبر أربع دورات تالية للأمم المتحدة (٣٢/٣٥) فإن ٨ - ١٦ دولة أفريقية كانت تصوت بالامتناع أو تغيب على قرارات ذات أهمية فى إدانة إسرائيل أو تأييد القضية الفلسطينية مثل القرارات الخاصة « بالشرق الأوسط » ، « قضية فلسطين » رفض المعاهدات المنفردة ، الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ، عدم تمكين إسرائيل من التسلح النووى ، المحافظة على الطابع العربى الإسلامى للقدس ، مما يرد ذكره فى وثائق الأمم المتحدة والتقارير العربية(٣١) .

ولا شك أن ذلك لابد أن يكشف عن نشاط دبلوماسى وحضور سياسى لإسرائيل فى أنحاء القارة لا يمكن التقليل من حجمه .

وقد حرصت إسرائيل أكثر من مرة على استعراض قدرتها الدبلوماسية هذه متى رأت ذلك ضروريا ، ونكتفى هنا بما نشر منه على نطاق واسع مثل ترتيب مقابلة مسئولين إسرائيليين للرئيس هوفى بوانيى فى جنيف فى شباط / فبراير ١٩٧٧ ، وقبل انعقاد مؤتمر القمة العربى الأفريقى بالقاهره بشهر واحد لما لذلك من دلالة فى التأثير على جو المؤتمر . أو الوقوف صراحة إلى جانب الزعيم أولووا فى انتخابات ١٩٧٩ وما حصلت عليه من تصريحات سياسية نتيجة ذلك ثم دعوته لزيارة إسرائيل أوائل عام ١٩٨٠ ثم فى عام ١٩٨٢ بل مروره رسميا بالقاهرة فى المرة الأولى أثناء رحلته لإسرائيل . ومثل تدخل هستدروت لدى النقابيين النيجيريين عام ١٩٨٠ لمبادلة إطلاح سراح الكولونيل الفريد برجوم عضو القوة النيجيرية فى قوة الطوارىء بلبنان والذى اتهم بالتعاون مع الفدائيين الفلسطينيين مقابل توسطهم فى إعادة العلاقات بين نيجيريا وإسرائيل ، وهى مبادلة مبالغ فيها لكنها تكشف عن طابع العمل الدعائى الذى تقوم به إسرائيل لبعض التصرفات السياسية محدودة القيمة .

وسوف نرى لاحقا أن مثل هذا الأسلوب هو الذى أحاط بالتمهيد لطرح مسألة إعادة

---

(٣٠) حماد ، إسرائيل وأفريقيا : دراسة فى إدارة الصراع الدولى .

(٣١) جمعة الدول العربية ، الصندوق العربى للمعونة الفنية للدول الأفريقية والعربية ، « تقرير للعرض على مجلس الإدارة » ، ١٩٨٢ .

العلاقات بين إسرائيل وبعض الدول الافريقية مثل زائير . وقد سبق ذلك إشارات إلى قيام مسئول إسرائيلي كبير بزيارة ثمان دول افريقية أوائل عام ١٩٧٨[٣٢] .

جـ - الحضور العسكرى :

لم تغفل إسرائيل في نشاطها العسكرى بافريقيا عن استراتيجيتها القديمة والمستمرة لاحتواء دول حوض النيل من خارج الحوض « في الستينيات » أو من داخله « في الثمانينيات » ! ذلك أنه العمق الاستراتيجي لمصر ويشكل نقطة التقاء حوالى عشرة دول أفريقية ذات وزن سياسي أيضا .

وفيما بين خطة الستينيات القديمة وتطلعاتها في الثمانينيات فإنها حرصت فترة القطيعة الأفريقية في السبعينات ألا تغيب عن هذه المنطقة كلما سنحت فرصة لذلك ... وكانت استفادتها من المشاكل التي يتعرض لها هذا النظام أو ذاك أسلوبا مفيدا من أجل حماية أمنها في المناطق الاستراتيجية .

ولقد تهدد الأمن الإسرائيلي باستقلال جيبوتى عام ١٩٧٧ بالنسبة لجنوب البحر الأحمر كما تهدد في وادى النيل والبحر الأحمر على السواء بقيام الثورة في أثيوبيا وتحالفاتها الجديدة ومقاطعة الولايات المتحدة للنظام الجديد من الناحية العسكرية على وجه الخصوص . وقد أدى بها هذا الموقف إلى حد تأييدها للمعارضة الفرنسية تجاه الديجوليين منذ ١٩٧٣ حتى تضمن مع منافسيهم الاشتراكيين بسياسة موالية لهم اتجاه جيبوتى[٣٣] .

أما في أثيوبيا نفسها فلم يعبئوا باتجاهات النظام اليسارية الجديدة حين وجدوا في أزمته مع النظام الصومالي أو الثورة الأريترية ما يمكن أن يفتح ثغرة هامة في الجدار الأثيوبي الذى يشرف على وادى النيل والبحر الأحمر على السواء . ففى السادس من شباط / فبراير ١٩٧٨ أصدر موشى ديان بصفته وزيرا للخارجية تصريحه من سويسرا بأن بلاده تمد أثيوبيا بالسلاح خلال حربها مع الصومال وأريتريا ، مبررا ذلك بأن أثيوبيا هى الدولة الوحيدة غير العربية على البحر الأحمر .

وقد كان تصريح ديان بهذا الشكل الاستعراضي - حيث إسرائيل في حاجة إلى ذلك مواجهة لتصاعد مظاهر التعاون العربي الأفريقي - أدى إعلانه ذلك إلى طرد بقايا الخبراء الإسرائيليين من أثيوبيا نهائيا[٣٤] .

والملفت للنظر أن أسلوبا قريبا من ذلك - بل ونتائج مماثلة - هى التى أحاطت بتسريب إسرائيل لأخبار مساعداتها العسكرية لعيدى أمين في قتاله ضد الجبهة الوطنية الأوغندية أوائل ١٩٨٠ حين ادعى أن الأقطار العربية لا تمده بالمساعدات الكافية وأن أصدقاءه القدامى في إسرائيل قادرون على ذلك « مشيرا إلى حديثه التليفونى مع إسحاق رابين أثناء أزمة مطار عنتيبى » وإن كان عيدى

---

(٣٢) Ll Vine and Luke, **The Arab-African Connection** : Political and Economic Realities, p. 144.

(٣٣) Al Sultan, "**The Arab Israeli Interaction in the Red sea**" p. 280.

(٣٤) المصدر نفسه .

أمين قد تراجع فى تصريحاته أمام المساعدات الكبيرة التى كان يحصل عليها بالفعل من الأقطار الغربية والتى لم تنقذ نظامه فى النهاية .

إن هذا الأسلوب للالتفاف من حول حوض النيل والرغبة المستمرة فى إظهار القوة بالقرب منه هو نفسه بالتأكيد الذى وقف وراء تنظيم عملية عنتيبى بالتنسيق مع كينيا والسلطات الفرنسية فى جيبوتى . ودراسة إمكانية القفز السريع فى حوض النيل مثلما درستها فى أواخر الستينيات إمكانية ضرب السد العالى فى مصر من بعض دول حوض النيل « مشروع امطار الإسرائيلى شمال أوغندا فى ذلك الوقت » .

لعل دراسة خاصة لتطوير الأمن العسكرى الإسرائيلى تجد مصر وافريقيا جديرة بأن تهتم بتفصيل أكثر .

كما لا يمكن فصل مثل هذه الدراسة عن تطور دور إسرائيل العسكرى فى العالم الثالث خاصة بعد توسعها فى الشرق الأوسط من جهة وتحولها إلى إحدى أكبر مصادر تجارة السلاح فى العالم « تحتل المركز الخامس » من جهة أخرى ، وبروز دورها فى التسليح وتجارة السلاح والتدريب نفسه أمريكا اللاتينية بناء على الخطة الأمريكية خاصة فى أمريكا الوسطى . بهذا المعنى يمكن فهم عودة إسرائيل إلى افريقيا فى ثوب عسكرى « وقد تنجح فى تخدير افريقيا ! » . وهذا ما يفسر حرصها على الالتفاف حول حوض النيل بأشكال عسكرية مباشرة هذه المرة ، أو الوجود فى مواقع افريقية أخرى فى شكل تدخلات أو اتفاقات عسكرية كبيرة وليس مجرد « المساعدات العسكرية » الفنية أو التدريبية التى كانت تسود نمط علاقات الستينيات . وفى هذه العجالة نشير إلى وجودها مؤخراً فى تشاد عبر مساعدة حسين حبرى ، أو دخولها إلى جانب جنوب أفريقيا وزائير فى الحرب ضد حركة التحرير الشعبية لتحرير أنجولا عام ١٩٧٥ بناء على طلب كيسنجر[٣٥] ، ثم استمرار مساعدتها لحركة « يونيتا » ضد حكومة أنجولا الشرعية فيما بعد ذلك . وفى الاتجاه نفسه يمكن ملاحظة توقيعها لاتفاق عسكرى شامل مع زائير بعد إعادتها للعلاقات معها فى ظل الاستراتيجية الغربية الحالية للجنوب الأفريقى كما سيرد ذكره بعد .

---

(٣٥) Beshir, Terramedia ; Themes in Afro-Arab Relations, P. 118.

خامسا : إعادة العلاقات الإسرائيلية الافريقية

إذا سلمنا بأن أساس الأزمة بين إسرائيل والدول الافريقية في السبعينيات ، إنما جاء عبر عملية إعادة صياغة للعلاقات ، تحكمت فيها دوائر الرأسمالية العالمية لمواجهة أزمتها الداخلية والخارجية ورغبتها في تحويل بعض البترودولار إلى مناطق نفوذها التقليدية لحمايتها من الانهيار أو تسلل القوى المعادية ، وإذا اعتبرنا أن ذلك كان عامل أمن اقتصادى واضح للمعسكر الرأسمالى العالمى فى مواجهة أزمته المعروفة أوائل السبعينيات فإننا نجد أنفسنا فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات أمام « عامل أمنى » استراتيجى جديد تنامى بعضه فى الواقع مع ضعف عنصر الأمن الاقتصادى ، وجاء بعضه الآخر من خلال التهديد « الخارجى » المباشر لنفس المصالح الإمبريالية بما استدعى أكثر من مرة تقديم « اعتبار » الأمن العسكرى بل وإحداث تداخل تدريجى مع الاعتبارات الاقتصادية السائدة . ومع هذا التطور الجديد كما سنرى برز الدور الإسرائيلى مرة أخرى وبات على ماسكى أطراف اللعبة التنسيق بين ما هو « عسكرى » والذى تلعب فيه إسرائيل الدور الرئيسى وما هو « اقتصادى » والذى تعلب فيه الأقطار العربية الدور الأساسى .

فما هى الظروف التى جعلت الاعتبار الأمنى والأدوار العسكرية تتقدم على هذا النحو وتبرز دور إسرائيل على الخريطة الافريقية مرة أخرى ؟ وما هو الإطار الذى قمت فيه إسرائيل بهجومها الدبلوماسى أواخر ١٩٨١ أو أوائل ١٩٨٢ .

لإيضاح ذلك لابد من معالجة النقاط التالية :

- الجديد فى الاستراتيجية الأمريكية (بعد مجىء ريغان) والفرنسية (بعد مجى الاشتراكيين) ، والجهد الأمريكى الفرنسى لإعادة تقديم إسرائيل فى أفريقيا .
- وضع « العرب » داخل هذه الاستراتيجيات وتأثير روح كامب ديفيد .
- الهجوم الدبلوماسى الإسرائيلى وإدارته لهذه الظروف .

١ - الموقف الأمريكى - الفرنسى :

لا نريد هنا الدخول فى تفصيلات الاستراتيجية الغربية فى افريقيا بين التكامل والتنافس ولكن سوف يلفت النظر بالتأكيد ذلك العنصر المشترك الذى جاء بارزا فى البيانات السياسية للإدارتين الجديدتين فى كل من واشنطن وباريس ألا وهو المواجهة مع السوفيات فى أفريقيا والتخوف الشديد من « الوجود الكوبى » وحلفائه الرئيسيين فى الجنوب الأفريقى والقرن الأفريقى . وتضيف البيانات الأمريكية ، « الخطر الليبى » ، الذى تأخذه فرنسا أيضا فى اعتبارها ، لكن دون إعلان سياسى عن ذلك لأسباب تتعلق بسياساتها الأخرى فى المنطقة العربية .

وفى أكثر من وثيقة أمريكية التزمت الخارجية الأمريكية أمام الكونغرس « بأن التعاون على نطاق أكبر فى مجال الأمن سيزيد كثيرا من الثقة التى يوليها « أصدقاؤنا المحليون » للولايات المتحدة » أو القول « بأنه إذا كان هناك تقدم فى عملية السلام فإن التعاون فى مجال الأمن سيسهل

وهو تعاون ضرورى لردع أى تدخل من قبل الاتحاد السوفياتى والدول العاملة لحسابه » ويعقب ذلك الحديث عن « النشاط الكوبى الهدام » فى نصف الكرة الغربى وفى افريقيا واستخدام القوة من جانب كوبا وليبيا ودول أخرى تعمل لحساب السوفيات » . وفى إطار ذلك يتحدث وزير الخارجية الأمريكى عن مساعدات الأمن التى تمتد من تركيا إلى باكستان إلى الكاريبى وفى أفريقيا والشرق الأوسط . ثم يعدد وزير الخارجية أشكال تحرك بلاده فيحددها « بالتعاون مع باكستان من أجل أفغانستان ، ومع تركيا لمحاصرة التوسع السوفياتى ثم التعاون مع « الأصدقاء لمواجهة نشاطات ليبيا فى أفريقيا » ثم « العمل مع إسرائيل الحليف الاستراتيجى الذى نلتزم بأمنه وتفوقه النوعى والعسكرى[٣٦] .

والقصد من هذه النصوص – وغيرها كثير – إبراز ما تحتله حاليا فكرة الأمن فى السياسة الأمريكية و « المساحة الأمنية » التى تتسق العلاقات الخارجية فى إطارها بالنسبة للشرق الأوسط وافريقيا . وستبرز أهمية ذلك عند إيضاح استراتيجية إسرائيل نفسها . وقد بدأت الإدارة الأمريكية نشاطها بمجيء ريغان عام ١٩٨٠ بالتأكيد على حماية مصادر المواد الخام بوجه خاص وتشكلت لجنة عليا لهذا الغرض فى إطار الإدارة الأمريكية ، وكان التعاون مع جنوب افريقيا وتنسيق مصالح الشركات الكبرى العاملة فى الجنوب الأفريقى من الأمور التى أثرت على خيارات السياسة الأمريكية بالنسبة لقضية ناميبيا كما أصبح « التهديد » الناتج عن وجود السوفيات والكوبيين فى أنغولا ذا معنى محدد أكبر من مجرد التصارع على مناطق النفوذ .

أما عن الجانب الفرنسى فقد بدأت الحملة على السوفيات مبكرة فى البرنامج الانتخابى للحزب الاشتراكى الفرنسى والذى أصدر وثيقة خاصة عرفت « بالوثيقة الافريقية » تحت عنوان « الحزب الاشتراكى وافريقيا جنوب الصحراء »[٣٧] . تحدثت عن تزايد وتنوع التدخلات الأجنبية (ص ٥) مركزة على التسلل الشيوعى وخاصة السوفياتى – الذى لا يملك فهما موحد لمشاكل الافريقية – ولذا تبدو كوبا أكبر مقدرة كما يظهر ذلك فى أثيوبيا وأنغولا . ورغم تعدده لأخطاء الولايات المتحدة فى افريقيا فإنه يذكرها فقط كأسباب للتدخلات الأجنبية السوفياتية ، وحتى إزاء حالة زائير ومشكلاتها مع صندوق النقد الدولى فإنه يحذر من أن تصبح المعالجة الأمريكية ذا مشابهة « للسيطرة الاستعمارية » السوفياتية فى أوربا الشرقية وهو يبرز مقترح اندرو يانغ بأن تترك المستعمرات القديمة لمستعمريها القدامى الذين يفهمونها « مطبقا المثل على إمكانيات فرنسا حتى لا تضطر أمريكا للتدخل المباشر » . ومن هنا جاءت على مايبدو سياسة عدم التدخل المباشر الفرنسية ، كما طبقت فى تشاد وفى دول افريقية أخرى وآخرها فى علاقتها بمسألة زائير (إسرائيل) .

---

(٣٦) نص كلمة هيغ أمام لجنة العلاقات الخارجية فى الكونغرس فى ١٩٨١/٩/١٧ ، ونص « مبادرته الجديدة » لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط أمام مجلس العلاقات الخارجية الأمريكى فى ١٩٨٢/٥/٢٧ . والنصان من إصدار سفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى تونس .

(٣٧) Le partie socialist et l'Afrique Sud Saharienne (/n.p.: n.d./), pp.35.

وقد صدرت أثناء المعركة الانتخابية عام ١٩٨١ .

ولسنا فى حاجة لسرد التناقضات التى وقعت فيها سياسة الاشتراكيين بعد نجاحهم سواء بالنسبة للتعامل مع النظم « سيئة السمعة » والزعماء الفاسدين أو بالنسبة لسياسات الاستعمار الجديد فى افريقيا والتى كانت ترتبط أساسا بالسياسة الأمريكية من وجهة نظر فرنسا على الأقل .

إن تركيز السياسة الفرنسية على منطقة الجنوب الافريقى هو موقف مستمر فى مختلف « الإدارات » الفرنسية فى السنوات الأخيرة كما هو معروف فى تسليح فرنسا لجنوب افريقيا وتعاونهما فى المجال الذرى بوجه خاص ، ولذا انتقلت هذه السياسة إلى « تأمين المصالح » عن طريق حمايتها من أنغولا والوجود السوفياتى الكوبى فيها وعرف الكثير عن رعاية دول الفرنكوفون لحركة يونيتا (سافيمبى) ومن قبل الأتحاد الوطنى (هولدن) ضد الحركة الشعبية (مبلا) الحاكمة فى أنغولا كما لعبت فرنسا دورا مباشرا فى تأمين نظام موبوتو فى زائير منذ استقلال أنغولا بوجه خاص (أحداث شابا ١٩٧٨/١٩٧٧) .

هنا أصبح موضوع زائير « مسألة أمن » بالنسبة للسياسة الفرنسية فى الجنوب الأفريقى وليس مجرد مصالحها واستثماراتها فى التعدين بزائير .

وفى هذا الإطار التقت السياسة الفرنسية بالسياسة الأمريكية تجه « الدور الأمنى » لزائير فى الجنوب الأفريقى ضد الوجود السوفياتى والكوبى . وعلى الأسس نفسها تم مساعدة وجود اسرائيل المكثف مرة أخرى فى المنطقة نفسها .

وحيث تقف مجموعة الفرنكوفون كسند دبلوماسى للسياسة الفرنسية ، منذ كانت تصوت « بأن الجزائر فرنسية » فى الأمم المتحدة ١٩٦١/١٩٦٠ فقد أصبح من المهم أن تعالج مسألة إسرائيل أيضا على مستوى اجتماعات الفرنكوفون[٣٨] . وحيث تشارك فرنسا الولايات المتحدة قلقها مما يسمى « الخطر الليبى » فإن مجموعة من دول الفرنكوفون فى غرب افريقيا تصبح عرضة لهذا « الخطر » يجب تأمينه بوسيلة غير مباشرة هى عودة إسرائيل لأغراض الأمن العسكرى من جهة ومواجهة التحدى الليبى العربى فى المناطق المحيطة بالشمال الأفريقى العربى من جهة أخرى .

٢ - الوضع العربى داخل الاستراتيجيات الأمنية فى افريقيا :

لا نناقش هنا غياب « النظام العربى » الأمنى وأهدافه على أساس قومى ، فلو أن ثمة نظام عربى بهذه الصفة لبدأ بالاستفادة من عنصر الأمن الاقتصادى بل أننا نستطيع البدء بالتذكير بعملية تتبيع النظام الاقتصادى العربى للنظام الرأسمالى العالمى والاستغلال الذى تم للمال العربى بعد ١٩٧٣ كعنصر أمن فى العالم الثالث عامة وافريقيا بوجه خاص .

وإذا كان العنصر الاقتصادى قد تحقق بوعى أو بدون وعى ، مباشر أو غير مباشر فإن العنصر الأمنى « العسكرى » كان صارخا فى معظم حالاته . وحتى لو اتخذنا ذلك الموقف الموضوعى

(٣٨) المقال الافتتاحى ف .

Jeune Afrique . (13 Decembre 1981).

« الصورى » بعده الحكم القيمى على هذه « التبعية » ، فإننا سوف نجد أنفسنا مضطرين « موضوعيا » إلى القول بأن المشاركة الأمنية ، اقتصاديا أو عسكريا ، من جانب العرب للدول العربية لم تحقق أغراضها بالنسبة للقضية المركزية – فى موضوعنا – وهى قضية إسرائيل افريقيا

وسوف نرى عند حديثنا عن روح كامب ديفيد كيف إن العناصر التى مهدت لها فى السياسة المصرية قد انعكست سياسيا على العلاقات العربية الافريقية فى منتصف السبعينات . لكن قبل أن ندخل فى جزئية كامب ديفيد علينا أن نقرأ الخريطة العامة لافريقيا ومسلسل المشاركات عربية فى قضايا الأمن الغربى / الافريقى .

لقد كانت أحداث زائير عام ١٩٧٧ و ١٩٧٨ فى الوسط والجنوب الإفريقى أو ما سمى « بأحداث شابا » إحدى نقاط الاختبار الهامة للتحالفات الكبرى والصغرى ، فسرعان ما كشفت عن تحالف أمريكى / فرنسى مبكر ، وهو أمر مفهوم ، لكن الأطراف العربية التى شاركت فى حماية النظام الزائيرى كانت رموزا لطبيعة توجهات النظم العربية المشاركة من جهة ، ولعدم بصمة بنظام الأمن القومى العرفى من جهة أخرى ، فقد تعاونت المغرب ومصر فى العمل المباشر مع الحكومة الفرنسية والأمريكية ونظام موبوتو كما تعاونت السعودية بالمساعدات المادية لتمويل عملية الإنقاذ[٣٩] ويمكن القول أن العملية تمت بنجاح وأنقذ النظام الزائيرى بل وأعد لدور المواجهة مع أنغولا والوجود السوفياتى الكوبى فيها بعد ذلك بمشاركة إسرائيل

ولم تكشف بعد كل الأوراق عن العلاقات الأمنية العربية / الغربية خاصة بالنسبة لدور إيران بالشاه وإسرائيل فى هذا النظام الأمنى غير القومى . لكن العلاقات الأمنية الإسرائيلية الإيرانية ، بين الموساد والسافاك ، غير مجهولة للكثيرين ، والجديد هو ما كشفته وثائق السفارة الأمريكية بطهران عن العلاقات الأمنية التى جمعت السافاك مع أجهزة الأمن المصرية والمغربية والسعودية والفرنسية فيما سمى « بنادى السفارى » الذى بدأ عمله عام ١٩٧٩ وكشفت تفاصيل عمله سنوات الثورة الإيرانية على النحو الذى رواه محمد حسنين هيكل فى كتابه عن الثورة الإيرانية[٤٠] .

وأهم ما يمكن استنتاجه من هذه الوثائق هو توجيه « الطاقة الأمنية » العربية للأهداف الغربية نفسها فى أفريقيا أى مكافحة الشيوعية والاتحاد السوفياتى حيث كان « النادى » يتحرك بتوجيه فرنسا والولايات المتحدة ، بل وكشفت الوثائق عن أن إسرائيل لم تكن بعيدة عن هذا النادى ، الذى أرسل أسلحتها للصومال فى حرب الأوجادين ورتب لقاءات السادات المبكرة مع الإسرائيليين ويكشف ثالثا أن أعضاء النادى دخلوا بهذا التنسيق معركة شابا فى زائير التى أنقذت نظام موبوتو .

ولا نضيف كثيرا بالإشارة إلى ما تردد عن مساعدات عربية أخرى لحركة يونيتا الأنغولية التى

---

(٣٩) إجلال رأفت ، « دراسة عن أحداث شابا » ، النشرة الخاصة للجمعية الأفريقية (عدد (١٩٨٠) .

(٤٠) محمد حسنين هيكل ، مدافع آية الله : قصة إيران والثورة (بيروت : دار الشروق ـ ١٩٨٢) ، ص ١٤٨ ـ ١٥٥ .

تقاتل النظام الشرعي حتى الآن داخل أنعولا بمساعدة جنوب افريقيا وإسرائيل أو السلاح الغربي الذى نقلته بعض البلدان العربية إلى جنوب افريقيا من صواريخ « تيجركات » إلى عربات شيرتون إلى مصفحات فضلا عن التعاملات الواسعة فى الذهب بين الدول النفطية وجنوب افريقيا والبرازيل(٤١) .

أما عن تشاد والإدارة الفرنسية « للتدخل غير المباشر » هناك فإن الدور المصرى فيها - بعد بحث السادات عن السلام فى كامب ديفيد - لا يمكن أن يحسب بحسابات إقليمية بحتة حتى لو تم تذكيرنا بأهمية الأمن السودانى تجاه ليبيا .

وسوف يشير البعض قطعا فى هذا الصدد لعدم التعرض لسلوك بعض الأقطار العربية الأخرى - ذات الوزن أيضا - ومدى علاقاته بدائرة الأمن العربية أو الأجنبية . وهنا لا يمكن القول أن مشكلة الجزائر فى الصحراء الغربية كانت فى إطار أمنى خارجي وليس فى إطار « المشكلة الإقليمية » للمغرب العربى ، أو أن مشكلة ليبيا فى تشاد كانت خارج إطارها الإقليمى ، أو أن نشاط العراق فى افريقيا سابقا لدوره المتوقع داخل مجموعة عدم الانحياز ، وقبل حربه مع إيران كان فى إطار خطة أمنية غير عراقية ، أو أن تكون إسرائيل - وهذا محور موضوعنا - قد استفادت من ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر فى مسألة علاقتها بأفريقيا .

٣ - روح كامب ديفيد :

لست هنا بصدد دراسة آثار كامب ديفيد فى السياسات الإقليمية بالعالم الثالث فقد كتب الكثير فى هذا الصدد ، ولكن يكفى أن نذكر هنا « روح عملية السلام » على طريقة مبادرات السادات / كيسنجر ، والتى راحت بعض النظم الافريقية تمارسها بأشكال مختلفة ، ولنذكر هنا اجتماعات كاوندا / فورستر / سميث وبعض زعماء زيمبابوى فيما سمى باجتماعات القطار أوائل ١٩٧٩ رغبة فى التوصل لحل « مشكلة روديسيا » دون تصعيد لعمليات الكفاح المسلح . أو نذكر لقاء كاوندا / بوثا عام ١٩٨٢ على أرض بوتسوانا فى عملية سلامية للإفراج عن الزعيم الجنوب افريقى نيلسون ماتديلا ، أو اللقاءات التى رتبها رئيس جزر الرأس الأخضر مؤخرا بين بعض مسئولى جنوب أفريقيا وأنغولا رغبة فى الوصول « لحل سلمى » بشأن مشكلة ناميبيا ....الخ .

ولأن الظواهر السياسية أو الاجتماعية لا تحدث هكذا فجأة ، بل لابد أن يتوفر لها تطورات اجتماعية سياسية معينة تتولد خلالها ، وحجم مناسب للقوة التى تدفعها للتولد ، فإن نظام السادات فى مصر كان يعيش « روح كامب ديفيد » هذه منذ توقيعه لاتفاقيات فك الاشتباك ١٩٧٤ / ١٩٧٥ على الأقل ، وهى التى نصت على وقف « الأعمال العدوانية » أى حركة الكفاح المسلح من أرض الغير ووقف « الحملات الإعلامية » (أى التوجهات السياسية) المضادة للطرفين .

---

(٤١) أ. كليش . « ضم الجولان يعرقل مبادرات إعادة العلاقات مع إسرائيل فى أفريقيا » ، Le Monde Diplomatique, (Fevrier 1982). - وفيها يذكر قائمة تعاملات الأردن والسعودية والمغرب ومصر مع جنوب أفريقيا بين عامى ١٩٧٤ و ١٩٨٠ .

وإذا كنا قد لاحظنا على المستوى الأفريقى حجم التحفظ على قرار الصهيونية/العنصرية عام ١٩٧٥ لغياب نصف الأصوات الافريقية عنه فإنه يجب أن نلاحظ أنها كانت نفس السنة التى وقف فيها السادات ضد القرار المطروح على القمة الافريقية بكمبالا لطلب إبعاد إسرائيل من الأمم المتحدة . ثم تتابعت الأزمة نفسها فى مكتب دول عدم الإنحياز أكثر من مرة بعد ذلك ، حتى كانت كامب ديفيد .

جاءت « كامب ديفيد » لتحقق لإسرائيل إمكانيات هائلة لتحالفاتها وحركتها م بحر تحقق لها فى مثل هذا الوقت القصير - فبخروج وزن مصر الافريقى من المعركة ، أصبحت طاقة إسرائيل الهجومية فى وضع شبه مثالى وقد كان السادات يتصور أنه سيكون هو البديل لإسرائيل - لدى الغرب - فى المنطقة العربية وافريقيا على السواء وطرح نفسه بديلا أمنيا فى الخليج والجنوب الافريقى على هذا الأساس (خطبه فى أوروبا أوائل ١٩٧٧/١٩٧٨) ، لكن حجم مشاكله فى مصر لم يكن ليسمح للاستراتيجية الغربية بالاعتماد عليه أكثر من أن تصبح مصر قاعدة « لتسهيلات قوة الانتشار الأمريكية » . ولتظل إسرائيل هى « قوة الأمن » النموذجية . هكذا أثبتت نفسها فى لبنان وراحت تؤكد نفسها فى الجنوب والوسط الافريقى .

وبدأت إسرائيل فى حدود كامب ديفيد المباشرة وكان من أهم ما حصلت عليه خلاله وعد بمد مياه النيل عبر ترعة السلام إلى صحراء النقب . إن الرسالة نفسها التى بعثها بيغن للسادات والتى نشرت بمصر فى أغسطس ١٩٨٠ ليعرب فيها أنباء الاتفاق حول مياه النيل تتضمن الحديث حول ضرورة تخلى مصر عن مواجهة الدبلوماسية الإسرائيلية فى افريقيا كما يشير إلى أن الموضوعين معا كانا موضع نقاش أطراف الرسالة بل واتفاقهما . وسرعان ما رتبت إسرائيل على ذلك حق مشاركة دول حوض النيل فى بحوث المياه والرى :... الخ . مثلما حدث فى تلك الندوة التى كادت تشترك فيها بترتيب من الأكاديمية المصرية للبحث العلمى (كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩) .

وقد رأينا فى بداية هذا البحث كيف كانت محاصرة مداخل البحر الأحمر وحوض النيل هى منطقة لتحرك الأمن الإسرائيلى الأولى منذ تطلعت نحو افريقيا . وكثفت علاقاتها بأثيوبيا وكينيا وتنزانيا وأوغندا والكونغو (زائير) لهذا الغرض. وها هى بعض الفرص تعود لتحقيق الخطة نفسها بعد توقيع كامب ديفيد ، بالوجود داخل تنظيم دول حوض النيل بدءا بالتسلل عبر البحوث الفنية (وثمة مشروع عالمى ترعاه الأمم المتحدة للبحث الهيدروليكى فى حوض النيل ويمكن المجىء عبر المنظمة الدولية أيضا) . وقد بدت الروح الافريقية معارضة لهذا الاتجاه ومتناقضة معه إلا أن موافقة السودان مؤخرا على اتفاقية كامب ديفيد وهو الطرف البارز فى مسعى التجمع الإقليمى لدول حوض النيل سوف يوفر لإسرائيل فرصة للتفكير فى الأمر ولا شك أن المصادر الإسرائيلية أو الصهيونية هى التى كانت وراء نشر أنباء مرور شارون بالسودان أثناء زيارته لعدد من الدول الافريقية فى تشرين الثانى/نوفمبر ١٩٨١ . حيث تقدر إسرائيل أن السودان تحيط به ثمانية دول افريقية بعضها من السهل عليها اختراقه وتجرى خطتها نحو ذلك فعلا .

إن إسرائيل إن لم يتحقق لها الاستفادة مباشرة من فرصة وجودها بين دول حوض النيل عبر كامب ديفيد فيكفي أنها تملك عنصر انفجار بين مصر - القوة الافريقية الكبيرة - وبين مجموعة دول حوض النيل ، والموقف السوداني نفسه في مرحلته الأولى ضد كامب ديفيد ، علاقتها بالنيل ، ثم موقف أثيوبيا الذى وصل إلى حد اتهام مصر « بالتطلعات الإمبراطورية » تتسبب نفسه هو نموذج على هذه الاستفادة الإسرائيلية من إساءة علاقة مصر بافريقيا(٤٢) .

٤ - الهجوم الدبلوماسى الإسرائيلى :

لم تكن إسرائيل تغفل العمل الدبلوماسي فى أى وقت لكسر ما يعتبره العرب « إجماعا افريقيا » لصالحهم . وكان توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد مناسبة طيبة لبدء الحديث عن « تصبيع » العلاقات مع افريقيا إزاء « تطبيعها » مع أكبر الدول الافريقية .

ولقد سبق ذلك كما رأينا أن تحفظ قطاع كبير من الدول الافريقية على ما يدين شرعية الوجود الإسرائيلى (قرار الصهيونية / العنصرية ١٩٧٥) بل وإن بعضهم حين يصل إلى حد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية فإنه يربط ذلك باحترامه للوجود الإسرائيلى (حالات السنغال ، نيجيريا ...) ولا نعيد القول هنا فى طبيعة ربط الدول الافريقية بين إدانة إسرائيل أو مقاطعتها وبين عدوانها على « الأراضى الأفريقية » فى مصر ومن ثم بدأ الحديث عن إعادة العلاقات مع إسرائيل عقب انسحابها من سيناء . قد يتعلق بهذا الموقف الأخير أن الأغلبية الافريقية فى الاجتماعات الوزارية والرئاسية الافريقية لم توافق فى أية مرة منذ عقد اتفاقيتى كامب ديفيد على مشروعات القرارات التى قدمت لإدانة هذه الاتفاقيات وإدانة أطرافها صراحة مكتفين بإدانة أية اتفاقيات « منفردة » تضر بالقضية الفلسطينية ولا تخدم قضية السلام .. الخ ، بل وانعكس الموقف الافريقى على اجتماعات دول عدم الانحياز لتحصل دبلوماسية كامب ديفيد على النتائج نفسها .

وإذا كانت إسرائيل قلما تهتم بالموقف الافريقى العام ، أو البيانات الجماعية باعتبار ذلك ضربا من « الديماغوجية السياسية » على حد تعبير بعض أدبياتهم فإنها فى الواقع كانت حريصة على تحقيق الحد الأدنى على الأقل .. ويمكن القول أنها حققت شيئا .

أما على المستوى الثنائى ، أسلوبها المفضل ، فقد اختارت بعض مراكز الثقل فى القارة للتعامل معها بين فترة وأخرى وبشكل أو بآخر لإثبات استمرار وجودها السياسى والدبلوماسى فى افريقيا ، وفى مواقع تتفق طبيعتها هذه المرة مع طبيعة التطور الرأسمالى فى إسرائيل نفسها ، وإذا كنا نذكر أن موجة الهجوم الإسرائيلية الأولى فى الستينيات أكدت على العلاقة بدول ذات « التوجه الاشتراكى » (غانا / تانزانيا ...) فإنها فى هذه المرة ركزت على ساحل العاج ونيجيريا وكينيا وزائير ، نماذج « الرأسمالية » الأفريقية الجديدة .

وقد رأينا كيف رتبت مقابلة هوفى بوانى قبل اجتماع القمة العربى الأفريقى بعدة أسابيع ، وكيف وقفت مع حزب سياسى كبير فى نيجيريا ، وبعض عناصر الحزب الحاكم فى كينيا حتى كسبت الرئيس موبوتو شخصيا فى زائير ، وكيف استفادت من خطابات ممثل ليبيريا فى الأمم

المتحدة دورة ١٩٨٠ ، ١٩٨١ عن ضرورة التفكير فى إعادة العلاقات مع إسرائيل لكن هجوم إسرائيل الأساسى مضى لأبعد من ذلك على النحو التالى :

- إعلان استراتيجية لإسرائيل تجاه العالم الثالث تتفق مع استراتيجية الأمن الغربية وخاصة الأمريكية ، بل وتعتبر البرنامج التنفيذى لها فى ضوء الاتفاق الاستراتيجى معها .
- إبراز العمل الدبلوماسى على مستوى جماعى بالتنسيق مع دولة كبرى أخرى مثل فرنسا وفى اطار مجموعة دول الفرنكوفون .
- المصارحة بطابع الخط الأمنى العسكرى وقيام الجهاز العسكرى الإسرائيلى نفسه بالمهمة مع جهاز الخارجية لإحداث « رعب دبلوماسى » للعرب (حالة زائير) وليس تحت باب « التسلل الإسرائيلى » .
- تحريك القوى الصديقة لها فى مواقع نفوذها الافريقية لطرح قضية العلاقة مع إسرائيل دون حرج من حجم علاقات التعاون العربى الافريقى .

(أ) الاتفاق الاستراتيجى مع خطة الأمن الأمريكى :

لابد للقارىء أن يربط بسرعة بين التواريخ التالية : توقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل بواشنطن فى ١٩٨١/١١/٣٠ - زيارة شارون لست دول افريقية فى تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٨١ - خطاب أريل شارون الذى أعد للإلقاء بمعهد دراسات الاستراتيجية الإسرائيلى ، ونشر بمعاريف فى ١٩٨١/١٢/١٨ متضمنا ما عرف « بمبدأ شارون » عن حدود أمن إسرائيل وخطتها الاستراتيجية .

ولسنا هنا بصدد الدخول فى تفاصيل هذه الاستراتيجيات ، ولكن مع تذكر عناصر استراتيجية الإدارة الأمريكية السابق الإشارة إليها وتركيزها الملحوظ على الخطر السوفياتى والكوبى والليبى .. الخ فى أفريقيا فإننا يمكن أن نفهم الجو الذى أحاط بهذا الاتفاق فيما يخص افريقيا ، وسوف نلفت النظر بالأساس إلى التفسيرات التى أحاطت ببنودها وخاصة الفقرة الثالثة عن أهداف الاتفاقية ثم شرح شارون لأهداف التعاون الاستراتيجية[٤٣] ويمكننا أن نرى كيف ترشح إسرائيل نفسها صراحة كقوة ردع أمنية ليس فى الشرق الأوسط فقط بل وفى افريقيا بشكل أساسى أيضا ، وأنها تعبر عما وصل إليه التوحد فى الإنتاج والتجارة بالمواد الاستراتيجية وخاصة الأسلحة من خلال بعض التعاون فى مجال التجارة الأمنية « (مادة ٣ - د) وهو ما جعل المتحدث الرسمى الأمريكى يعلق على اتفاق التفاهم الاستراتيجى بأنه يحمل « إمكانية الاستفادة من طرف ثالث بتمويل أمريكا

---

(٤٢) حسنى شعراوى ، « الآثار الاستراتيجية المترتبة على مد مياه النيل إلى إسرائيل . اللجنة المصرية للتضامن الأفريقى الآسيوى ، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٠.

(٤٣) سيف الدين درينى ، « مذكرة التفاهم الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل من وقع التبعية إلى دور عارض الخدمات » ، شئون فلسطينية . العدد ١٢٥ (نيسان / أبريل ١٩٨٢)

بعد الأسلحة الدفاعية والخدمات الإسرائيلية »(٤٤). كما أن بيغن فى شرحه لظروف الاتفاق مع الرئيس ريغان أكد على « سهولة الاتفاق فى ضوء التوسع السوفياتى فى بلدان افريقية وعربية ».

ويعتبر الخط الاستراتيجى الذى أعلنه شارون عقب ذلك ببضعة أسابيع نموذجا لهذا التوحد الاستراتيجى بين إسرائيل والولايات المتحدة حيث لا يمكن لوزير الدفاع فى دولة، أن يتحدث بهذه الصورة إلا من موضع الثقة والقدرة والاتفاق الشامل. وفى الحديث – الخطة الذى نشرته « معاريف » الإسرائيلية فى ١٩٨١/١٢/١٨(٤٥) نجد وزير الدفاع الإسرائيلى يحدد الخطر الذى تواجهه الاستراتيجية الإسرائيلية بأنه خطر التوسع السوفياتى فى الشرق الأوسط وأفريقيا « .. الذى يعرض للخطر المنطقة والمصالح الحيوية للعالم الحر .. وتقويض الاقتصاد العالمى والحيلولة دون الوصول الحر إلى موارد حيوية. (لاحظ أنها لغة الإدارة الأمريكية تماما حتى بالنسبة لاستراتيجية حماية المواد الخام فى الشرق الأوسط وجنوب افريقيا ».

وعندما عدد شارون المجال الجغرافى للمصلحة الاستراتيجية خارج الأقطار العربية يشير إلى أنها « ما وراء الأقطار العربية فى الشرق الأوسط وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر – وأنه ينبغى أن يتسع مجال الاهتمام الاستراتيجى والأمن لإسرائيل بحيث يشمل فى الثمانينات دولا مثل تركيا – إيران – باكستان ومناطق من الخليج الفارسى وأفريقيا، وبشكل خاص دول أفريقيا الشمالية والوسطى ».

وللقضاء على الخطر المهدد لإسرائيل يقدم عدة تصورات منها « زيادة التعاون الإسرائيلى مع الولايات المتحدة وتطوير علاقات أمنية مع دول شرق أوسطية وأفريقية ودول أخرى فى العالم » ولمواجهة أعباء الميزانية الدفاعية للقيام بهذا الدور يرى إمكان ذلك بواسطة جهد فعال لزيادة صادراتنا إلى الدول التى تشاركنا مخاوفنا الاستراتيجية والتى تربطنا بها علاقات أمنية .. وأننا مصممون على رؤية تطوير الصناعات والإنتاج الأمنى كأحد المكونات الحيوية لأمننا القومى ».

وقد يفسر هذا الالتقاء الاستراتيجى الشامل أواخر عام ١٩٨١ تلك الانتصارات التى سارع شارون والنظام الصهيونى للعمل على إنجازها طوال عام ١٩٨٢ على مستوى الشرق الأوسط وأفريقيا على السواء.

(ب) العمل الدبلوماسى الإسرائيلى وخاصة مع فرنسا والمجموعة الفرنكوفونية :

حرصت إسرائيل على غير عادتها أن تحصل على نوع من المواقف « الجماعية » لإعادة علاقاتها بأفريقيا تواجه بها موجات التأييد الجماعى للتعاون العربى الأفريقى. وحيث كان التعاون يمضى فى أشكال مؤسسية يصعب اختراقها بشكل مباشر فإنها راحت تستفيد من علاقاتها المتنامية مع حكومة « الاشتراكيين الفرنسيين الجديدة عام ١٩٨١ ليبدو طرح العلاقات الإسرائيلية الأفريقية

(٤٤) International Herald Tribune (Paris), (19-20 December 1981).

(٤٥) خطاب شارون كما ورد فى نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، سنة ١٢، العدد ١ (كانون ثانى / يناير ١٩٨٢)، ص ٢٥.

فى أوساط الكمنولث الفرنسى شكلا من التأييد الجماعى لإسرائيل . وقد أشار عديد من المصادر لهذا الدور الفرنسى بالفعل بما لا يحتاج لإلحاح[٤٦] . وكما لخص الكاتب الإسرائيلى تيدى برويس ذلك بقوله « ساعد موقف فرنسا مساعدة كبيرة ، فوفقا لجميع الدلائل يرغب الرئيس ميتران فى محو شعور العزلة لدى إسرائيل مفترضا أن إسرائيل الواثقة من نفسها ستكون شريكا أكثر عقلانية فى المفاوضات[٤٧]

وقد بدأ التنسيق الفرنسى الأمريكى فى معالجة أزمة تشاد خلال لقاء القمة الفرنسى الأفريقى فى كانكون (المكسيك) صيف ١٩٨١ واستدعاء قوات منظمة الوحدة وفى مقدمتها قوات زائير لتحل محل ليبيا ، بدأ هذا التنسيق مطمئنا بالضرورة لإسرائيل التى كانت تخشى الشعور من أن تصير عنصر صدام بين فرنسا والولايات المتحدة . ودفعها ذلك لمزيد من مناقشة تنسيقها مع فرنسا فى افريقيا عبر التفاهم الاستراتيجى مع الولايات المتحدة أواخر ١٩٨١ خاصة خلال زيارة شيسون للقدس فى كانون الأول / ديسمبر ١٩٨١[٤٨] ثم مع الرئيس ميتران بعد ذلك . وكانت الوقائع نفسها أكدت هذا الاتجاه بزيارة شارون لعدد من الدول الافريقية ذات الصلة الخاصة بفرنسا .

والواقع أن موقف فرنسا فى هذا الصدد يدفعه القلق على الأمن الاقتصادى السياسى للدول الافريقية المرتبطة بها فى ظل ظروف لا تريد الحكومة الاشتراكية أن تلجأ « للتدخل المباشر » عند الضرورة ، بينما يلح الرئيس ميتران فى خطاباته عن افريقيا وخلال زياراته لبلدان القارة على « التدخلات الأجنبية » المضادة وعلى ضرورة تحقيق « الأمن والاستقرار » وهنا يبرز البديل الإسرائيلى أمام فرنسا مثلما بدا أمام الولايات المتحدة خاصة إزاء التنسيق الواقع بين الدولتين الغربيتين . وقد ذكرت المصادر الصحفية ملاحظة أن حركة إعادة العلاقات بين إسرائيل وافريقيا قد تمت « بتأييد أمريكى وتفهم فرنسى ورضا مصرى »[٤٩] .

(ج) زيارة شارون وعودة زائير :

حرصت الدبلوماسية الإسرائيلية أن تجعل موضوع إعادة العلاقات مع الدول الافريقية يتخذ طابعه « الأمنى » منذ اللحظة الأولى ودون مواربة ، فارييل شارون وزير الدفاع هو الذى قابل موبوتو فى واشنطن أثناء وجود شارون لتوقيع مذكرة التفاهم الاستراتيجى ، وشارون هو الذى قام بزيارة الدول الست الافريقية ثم عاد لزيارة زائير لتوقيع اتفاق التعاون العسكرى بالدرجة الأولى ، وهو الذى نسق بين وزارة الدفاع والخارجية وجهاز المخابرات لتحقيق هذا النجاح بقيادته[٥٠] .

وقد أحاط الإعلان عن زيارة شارون « السرية » ضجة أعلامية كبيرة لا أعتقد أنها كانت

---

(٤٦) Jeune Afrique, (13, Decembre 1981) and Le Monde Diplomatique, (Fevrier 1982).

(٤٧) دافار ، ١٩٨١/١٢/٢٠ .

(٤٨) Le Monde, 8/12/1981.

(٤٩) Remarques Arabo-Africaines, no. 543 (1982).

(٥٠) Le Monde, 17/5/1982.

لمجرد رد إعادة الاعتبار لإسرائيل عن فترة « نبذها »[٥١] بقدر ما ارتبطت أيضا بالتمهيد لإعلان قوانين ضم الجولان بعد ذلك بقليل (كانون الثانى/يناير ١٩٨٢) بحيث يصحبها أقل ضجيج إعلامى مضاد على ساحة العالم الثالث أو ضجيج داخلى مضاد لشارون نفسه .

وفى حدود ما أعلن عن هذه الزيارة فقد شملت ٦ دول رددت مصادر مختلفة أنها جمهورية أفريقيا الوسطى-ساحل العاج والغابون ، وزائير وتردد اسم نيجيريا وليبيريا كما ذكرت بعض المصادر اسم السودان[٥٢] .

ومعنى ذلك أن التركيز الأساسى كان على دول الفرنكوفون ثم الدول ذات الصلة الوثيقة بالسياسة الأمريكية ، بما أصبح غنيا عن التحليل . أما عن السودان فمع إنكار مسئوليها ذلك (لوموند شباط/فبراير ١٩٨٢) فإن الدعاية الإسرائيلية على الأقل قد ثبتت الفكرة بهدف الإشارة إلى فوائد كامب ديفيد المنتظرة !

وقد أعقب ذلك إخراج موضوع إعادة العلاقة مع زائير بشكل مسرحى ، فيعلن موبوتو أوائل كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١ أنه مستعد لذلك إذا درس بقية الرؤساء الافريقيين الموضوع ، وتبدأ أصداء التصريح فى العواصم الأفريقية خلال أزمة الجولان ثم تعلن زائير إعادة علاقتها الدبلوماسية بإسرائيل وبسفارة فى القدس يوم احتفال الدولة الصهيونية بذكرى قيامها (١٤ آيار/مايو ١٩٨٢) .

وبالسرعة التقليدية لإسرائيل راحت تستفيد من هذا التطور على كل الجبهات :

(أ) استفادت من طبيعة شخصية موبوتو وقدرته على إصدار « التصريحات الوقحة » ، لتجعل إحدى أكبر الدول الأفريقية نصيبا من المساعدات العربية (حوالى ٤٤٠ مليون دولار) هى التى تبدأ بالقطيعة مع العرب وتهاجمهم وتعود إلى جانب إسرائيل ، فمن تصريحاته مثلا عقب إعلانه إعادة العلاقات مع إسرائيل استنكاره « للتدخل العربى ضد سيادة الدول » و « التهديد الدنىء للدولار النفطى تجاه إحدى الدول السوداء » و « عدم استعداد زائير للخضوع لنظام الرق العربى الجديد » أو وصفه للتضامن العربى الافريقى بأنه فخ ، أو الزعماء العرب بأنهم « قادة قوافل الرقيق يلبسون العمائم ويقعدون على الثروات »[٥٢] .

(٢) الترويج بأن المساعدات العربية لا تؤسس علاقات عميقة كما أن التخلى عنها ممكن دون أضرار بليغة ، وتأتى زائير لتكون أكبر مثل على ذلك فهى لم تأخذ أكبر نصيب مادى من المساعدات العربية فقط لكن قوات عسكرية مغربية ومصرية حاربت لحماية نظام موبوتو نفسه ومع هذا

---

(٥١) « اختراق إسرائيلى جديد على الجبهة الدبلوماسية » .

Jewish Chronicle, 28/5/1982.

(٥٢) Israel Economist, (February 1982), and Le Monde Diplomatique (Fevrier-1982).

(٥٣) African Research Bulletin, (May 1982), p. 6472.

استطاع موبوتو أن يحل نفسه من هذه العلاقة دون قلق مما يضع علامة استفهام كبيرة عن الإطار الاستراتيجي الذى ذهب عبره بعض العرب لإنقاذ نظام موبوتو ! وقد يلفت النظر حرص المسئولين الزائيرين على الإشارة أنهم نصحوا من قبل حكومة السادات بإقامة العلاقة مع إسرائيل ونقلوا ذلك إلى مسئولى منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية .

(٣) التلويح بعنصر « اللوبى اليهودى » فى أمريكا للدول الافريقية طالبة المساعدات الجديدة .. وقد ربط الإعلام بين إعادة العلاقات الإسرائيلية الزائيرية وأزمة موبوتو مع الكونغرس الأمريكى لخلاف حول ٤٤ مليون دولار خصصت لزائير(!) وكيف لجأ موبوتو للوبى اليهودى لإقرار المساعدات المناسبة وإفهام الأمريكيين حقيقة مصالحهم فى هذه المنطقة ولنقرأ هذا الحديث الذى توجه به موبوتو للأمريكيين الذين يعارضون مساعدته : « إننى واع بأننى لا أستطيع الإفلات منكم ، ولكنكم تعلمون أيضا أنكم بحاجة إلى .. إنكم تطلبون منى الكثير من أجل حفنة دولارات أتلقاها من الولايات المتحدة والبنك الدولى مجتمعين ، إننى أحدثكم عن السياسة والأمن بالنسبة للغرب وأنتم تتحدثون فى الاقتصاد عن الديون .. وإننى آمل أن تعودوا إلى بعواطف أفضل ... ولسرعة الوصول إلى ذلك .. فقد طلبت من أحد أصدقائى الإسرائيليين وإلى جماعات اللوبى ذات الوضع لديكم أن يساعدونى .. وسترون .. فهذا أكثر فعالية من اللوبى الزائيرى !(٥٤) . لعله بذلك يعكس أيضا تصريح شارون والذى قال فيه « إن الأمريكيين لا يفهمونه ما يجرى فى افريقيا ، إنهم يعرفون أنه يجب وقف التوسع السوفياتى لكنهم لا يعرفون دائما الإجراء الإيجابى (١٩٨١/١٢/٢٧) .

(٤) كان طبيعيا أن تعود نغمة ربط العلاقات بين افريقيا وإسرائيل بإعادة إسرائيل للأراضى المصرية و « الافريقية » فى إطار « مفاوضات سلامية » مناسبة ، ومن ثم إظهار إسرائيل كدولة جادة فى التزاماتها وليست متعنتة إلا مع العرب المتعنتين الذين يرفضون التفاهم معها . هكذا عبرت بعض مصادر الإعلام فى دول مثل كينيا ونيجيريا وساحل العاج وغيرها ، خاصة ممن ترشحها الدعاية الإسرائيلية والغربية لإعادة العلاقات فى وقت قريب . وذكرت صحف كينيا خاصة — وبعضها هو صوت إسرائيل البارز على المستوى الافريقى — الكثير بصدد برهنة إسرائيل عن رغبتها العميقة فى السلام ، وأن استكمال مراحل معاهدة كامب ديفيد يبشر بعهد مفعم بالأمل فى تعاون اجتماعى اقتصادى سياسى بين إسرائيل والأقطار الافريقية »(٥٥) .

(٥) استعرضت إسرائيل قوتها الدبلوماسية والسياسية فى موقع افريقى آخر بالغ الأهمية وهو نيجيريا . فرغم التصريحات « الدبلوماسية » للحكومة حول عدم إعادة العلاقات مع إسرائيل فهى تحرص على ربط هذه المسألة ليس فقط بمصر أو القضايا العربية وإنما لعلاقة إسرائيل مع جنوب افريقيا

---

(٥٤) « ارتباط عاصف .... موبوتو يدخل المزايدات » ،
Jeune Afrique (26 Mai 1982).

(٥٥) تقرير بعثة جامعة الدول العربية فى نيروبى عن ردود فعل الصحف الكينية على إعادة زائير لعلاقاتها بإسرائيل

(وإن كان الصراع السياسي في نيجيريا أدى مؤخرا إلى اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية) . وفي إطار فهم إسرائيل لهذا الصراع السياسي في دولة كبيرة مثل نيجيريا حول المسألة الإسرائيلية ، راحت تحصل من أصدقائها في داخل نيجيريا على أكبر عناصر الحملة الدعائية . فتقدم « أكثر من مائة نائب في مجلس النواب النيجيري بطلب الاعتراف بإسرائيل كما طلبوا من الرئيس شيهو شجاري إقناع الدول الأفريقية بذلك) وكان هذا بقيادة حزب شعب نيجيريا الكبرى GNPP مدعوما من الرئيس أولوو زعيم حزب الوحدة النيجيرية UPN الذي أكد موقفه بزيارة إسرائيل في حزيران/يونية ١٩٨٣[٥٦] . بل وحصلت على قرار بالأغلبية من مجلس ولاية أويو (غرب نيجيريا) حول الطلب نفسه من الحكومة الفدرالية .

(٦) التأكيد في النهاية على الطابع السياسي الأمني الكبير لوجود إسرائيل في الدولة الأفريقية وفي إطار الاستراتيجية الإسرائيلية العامة . وقد تمثل ذلك في زيارة إسحاق شامير لكنشاسا في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢ مع وفد من ٨٤ خبيرا لتوقيع اتفاقية الصداقة والاتفاق العسكري مع زائير حيث ذكر أنها اتفاقية لتطوير الجيش الزائيري وإعادة تدريبه وليست فقط « للمساعدات » العسكرية الفنية ، ومعنى ذلك أن إسرائيل تتوجه للوجود الاستراتيجي داخل جيوش الافريقية ، ولكنها في حالة زائير قرب دول حوض النيل من جهة ودول الوسط والجنوب الافريقي من جهة أخرى كمقابل أمريكي للوجود الكوبي السوفياتي في أنغولا . أي أن نظرية شارون سارية المفعول بالفعل كما أن العودة لتأمين حوض النيل عسكريا قائمة واحتواء افريقيا من شمالها لجنوبها يمكن أن يقوم به النظامان العنصريان لإعفاء القوى الإمبريالية من عبء « التدخل المباشر » خاصة إذا أضفنا لمفهوم شارون عن استراتيجيته التي تمتد حتى زائير ، إن جنوب أفريقيا بدورها قد مررت مشروعا في برلمانها عام ١٩٧٦ يشير إلى أن خط الأمن لجنوب أفريقيا يمتد إلى خط الاستواء (في زائير) وفي إطار خط الأمن هذا تتحرك المساعدات لحركة يونيتا في أنغولا لضرب النظام « المتعامل مع السوفيات وكوبا » ذي التوجه الراديكالي ، ولمحاصرة حركة سوابو حتى يمكن تأمين اتفاق معقول مع « سوابو » أو بدونه ، في ناميبيا ترضى عنه جنوب أفريقيا ويحقق أبعاد الكوبيين والسوفيات من المنطقة أو يواجههما .

---

(٥٦) « مجلة داود وشعلة موبوتو »

Africa (London), (July 1982)

سادسا : إسرائيل ليست قوة مطلقة

قد تؤدى المعالجة الخاصة بإسرائيل واستراتيجياتها تجاه العالم الخارجى إلى إظهارها أحيانا كمارد مروع يتحرك وحده فى فراغ كبير . وهذا لا يتفق طبعا مع منهج علمى يلتزم بكشف جدلية الظواهر والثقة فى أن نقيض كل ما هو إمبريالى لابد أن يكون تحرريا . ولا نقول ذلك من باب تطمين النفس العربية بعد أن رأينا كيف تساهم قوى عربية فى الأدوار نفسها ومع القوى نفسها التى تتحرك معها إسرائيل على نحو أو آخر ، ولكننى أقصد هنا التأكيد على النقيض الفعلى للإطار الذى تتحرك فيه إسرائيل تجاه أفريقيا .

١ – من المؤكد أن القوى الإمبريالية لا تتحرك منفردة فى افريقيا وفق خطتها الأمنية التى أشرنا إليها ، وحيث تعرفنا على تحول هذه الخطة الخاصة بمصالحها وأمنها إلى خطر مباشر يمس القضية العربية بإعادة إسرائيل لأفريقيا ، فإننا لابد أن ندرك إلى أى حد تتحرك القوى المناهضة للإمبريالية والمعادية لها بالقرب أو البعد عن قضيتنا نفسها . قد تقيم أثيوبيا وأنغولا وغيرهما علاقات خاصة مع الاتحاد السوفياتى وكوبا بما يشكل خطرا على الأمن الغربى بالتأكيد . لكن ذلك لا يجعلنا نسلم أنفسنا لما يقال عن معطيات هذه « الخطر » فندخل فى الاستراتيجية الغربية الإسرائيلية بدعوى مواجهته على نحو ما حدث أحيانا ، والمنطقى أن نضيف أثيوبيا وأنغولا وغيرهما إلى قوة مجموعة التحرر من حلف الإمبريالية الغربية والصهيونية ولندخل معا فى خط المواجهة مع إسرائيل على الأقل[٥٧] . وليس صدفة أن المؤتمرين الشعبيين الأفريقيين للتضامن مع شعوب فلسطين والجنوب الأفريقى وقعا بالتحديد على أرض أثيوبيا ١٩٧٩ وأنغولا ١٩٨١ . كما أن القوى التقدمية فى المحيط الهندى وشرق افريقيا بقيادة هذه القوى فى مدغشقر وموريشيس وسيشيل وجزر القمر وتنزانيا هى التى دعت منظمة التحرير كمراقب فى اجتماعاتها بسيشيل بين ٧٨ / ١٩٨٠ مؤكدة نضال شعوب المنطقة ضد الإمبريالية والصهيونية معا .

٢ – إن جانبا من « العمل العربى » نفسه – وهو ليس طرفا واحدا بالجمع – له بعض الخصائص الإيجابية التى لم تتح طبيعة هذا البحث التعرض لها ، إذ إن عددا من الأقطار العربية ذات الثقل لها علاقات إيجابية مع عدد كبير أيضا من الدول الأفريقية وتعمل لحرمان إسرائيل من ساحات لا يستهان بها ، وهو يقدر ما أثبت وجوده فى قضاياه الخاصة أحيانا مثل قضية الصحراء ، أو تشاد أو حضور أكثر من ثلاثين دولة أفريقية لقمة طرابلس ١ – ٢ رغم مقاومة البقية للاجتماع فإن عليه أن يثبت وجوده أيضا بالنسبة لمحاولات إسرائيل العودة لأفريقيا .

٣ – لا يمكن التقليل من « العامل الفلسطينى » فى مواجهة إسرائيل ، ولا أقصد ذلك

---

(٥٧) لابد أن نذكر هنا أن المصرف العربى للتنمية فى أفريقيا قد حقق خطوة إيجابية طيبة فى هذا الاطار حين قدم لأنغولا أحد أرقامه الكبيرة فى المساعدات (حوالى ٣٣٫٢٪ مليون دولار حتى الآن . انظر : إحصائيات المصرف لعام ١٩٨١ فى تقريره المقدم للجنة الدائمة للتعاون العربى الأفريقى ، آذار /مارس ١٩٨٣) . ولكن هذا لا يقارن بالمساعدات العربية لزائير والتى وصلت إلى حوالى ٤٤٠ مليون دولار .

باعتبار القضية الفلسطينية ، التزاماً سياسياً ، صيغ عادة على مستوى عربي أفريقي ، بحكم منطقة التعاون العربي الافريقي ذاته إلى حد كبير ، لكن تشير إلى الفهم الافريقي لدى بعض الدول بصيغ سواء في التعامل مع القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية في ذاتها وبحسب كمحدد عنصر في القضية العربية العامة ضد العدوان الإسرائيلي الخ ويبدو ذلك في سبيل كقضية افريقية منذ ١٩٧٥ . وفصل القرارات الخاصة بفلسطين عن قرارات الشرق الأوسط ، الذي يصرح تقليديا في الاجتماعات الافريقية منذ ١٩٦٧ ، بل ويبدو من اعتراف بعض هذه الدول بالمنظمة وهي ذات رؤية خاصة للعلاقة مع إسرائيل في الوقت نفسه مثل كينيا أو دول الفرنكوفون التي تأخذ بوجهة نظر فرنسا في هذا الاتجاه وقد أصبح لمنظمة التحرير نتيجة لذلك مكانتها الخاصة في افريقيا وتعترف بها دبلوماسيا اثنتا عشرة دولة في افريقيا آخرها نيجيريا (٢٣ آذار مارس ١٩٨٣) إلى جانب كينيا والسنغال ومالي والنيجر وغينيا والكنغو برازافيل ومدغشقر وتنزانيا وأنغولا وموزمبيق وغينيا بيساو . وقد يكون لذلك مخاطره أحيانا إذا تركت المنظمة معزولة عن الموقف العربي العام في أفريقيا ، تتعامل « كالدول » بإمكانيات « حركات التحرر » إلا أن هذه « الظاهرة العربية » موجودة على أي حال وتقدم المنظمة بالفعل مساعدات فنية لا يستهان بها لعدد من الدول الافريقية وتقيم علاقات طيبة مع عدد منها يفوق المعترفين بها دبلوماسيا . ولابد لكي تتم مواجهة مع إسرائيل أن يدعم هذا الدور الفلسطيني وليستمر قويا في المرحلة المقبلة .

٤ - إن التعاون العربي الافريقي يسعى حثيثا نحو تأكيد « مؤسساته » الثابتة . ويتم ذلك على مستوى « جماعي » عربي افريقي . ويعنينا هنا ما صرح مؤخرا في دورة اللجنة الدائمة للتعاون الخامسة والسادسة ١٩٨٣/٨٢ من « تنظيم العلاقة بين أجهزة مقاطعة إسرائيل وجنوب افريقيا » في منظمة الوحدة الأفريقية والجامعة العربية ، كما تم التوصل في اجتماع تونس بالفعل - آذار / مارس ١٩٨٣ - إلى « مشروع اتفاقية بشأن التعاون في مجال مقاطعة النظامين العنصريين في جنوب افريقيا وفلسطين المحتلة » يؤكد على أن « الشعوب العربية والافريقية تكافح ضد نظامين عدوين عنصريين واستعماريين وتوسعيين » وعلى « أن يقوم كل من المكتب الرئيسي للمقاطعة في جامعة الدول العربية وقسم العقوبات في منظمة الوحدة الافريقية بالتعاون في الأعمال التي حددها الاتفاق لتنظيم مقاطعة النظامين العنصريين »[٥٨] . فإذا مضت الأمور بشكل جاد وفعال فإن ذلك سوف يضاعف من الالتزام الأفريقي بمقاطعة إسرائيل ، بقدر ما تلتزم الأقطار العربية طبعا بمقاطعة جنوب افريقيا ويمكن لهذا الاتفاق أن يكون منفذ عمل منظم وجماعي ضد إسرائيل في افريقيا .

٥ - لا يمكن أن تنطلق وجهة النظر العربية من التوحيد بين النظامين العنصريين في فلسطين والجنوب الافريقي وإدراك خطورة التحالف الاستراتيجي بينهما دون أن تتخذ موقفا متشابها أيضا من حركتي التحرر الوطنية في المنطقتين . وإذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية تأخذ مكانتها في الاستراتيجيات العربية بشكل أو بآخر وتحمل صفة المراقب في منظمة الوحدة الافريقية فلابد أن يمتد

---

(٥٨) جامعة الدول العربية ، منظمة الوحدة الأفريقية . وثائق أعمال اللجنة الدائمة للتعاون العربي الأفريقي ... ٢ ... ٢٣ ... ٥,٣

ذلك على حد ما حركة التحرر الوطنى الأفريقية فى الجنوب الأفريقى . ولا يتسق ذلك مع الواقع ، حيث لا نرى أقطار عربية ذات ثقل فى العمل العربى الأفريقى تتشكك فى حركات التحرر الافريقية وتحول بينها وبين قبولها كمراقب فى اجتماعات الجامعة العربية ولا يزال القرار الخاص بذلك معلقا فى مجلس الجامعة العربية رغم قرار القمة الافريقية فى فبراير ١٩٨١ مناشدة الجامعة العربية فى هذا الأمر وإثارة الموضوع بأشكال مختلفة فى اجتماعات التعاون العربى الافريقية ، والمقصود بالطبع ليس الاعتراف الصورى من جانب المنظمات العربية بحركات مقاومة النظم العنصرية فى الجنوب الأفريقى وإنما هو تحول هذا الاعتراف إلى دعم حقيقى يساعدها فى معركتها لتصفية النظام العنصرى وبالتالى كسر تحالفه الاستراتيجى مع إسرائيل .

٦ - لابد من العمل بجدية أكثر على صعيد « البنية الثقافية » للعلاقات العربية الأفريقية وهو ما يسميه بعض الباحثين « بأيديولوجية » التعاون العربى الأفريقى وإزاء مضى البعض إلى الحديث عن « التوجهات » و « القيم » السياسية والاجتماعية ، الهادفة إلى تحرير شعوب أفريقيا والوطن العربى من النظامين العنصريين والقوى التى تساندهم . ويتطلب ذلك عدم الفصل بين ما هو اقتصادى وثقافى وفكرى فى العمل العربى الافريقى ، والضغط على مواجهة إسرائيل كقوة إمبريالية عدوانية تستفيد من علاقات أوسع على مستوى القارة . إن إقامة « البنية الثقافية » على هذا الأساس ستجمع حولها جهود المثقفين الأفريقيين ذوى التأثير فى المجتمعات النامية وبعدد من أشكال الوجود العربى المادى خاصة فى مجال التعليم والإعلام والعمل الثقافى العام . ويخلق ذلك ضغطا أدبيا متزايدا تواجهه إسرائيل فى العواصم الافريقية ، وهو ضغط أدبى شبيه بما نتصوره مع زيادة التمثيل الدبلوماسى والإعلامى فى افريقيا ، إن هذا الثقل فى الوجود الثقافى يمكن أن يصبح عنصرا تضعه فى حساباتها الدولة عند إبداء انحيازها لإسرائيل مثلما حاولت إسرائيل نفسها أن تفعل قبل مقاطعتها عام ١٩٧٢ / ١٩٧٣ .

وفى الختام ، نعيد أنه يسبق كل ذلك ويلحق به مدى وجود استراتيجية استقلالية عربية ووجود مفهوم للأمن العربى الإقليمى والدولى يؤكد هذه الاستقلالية أو التطلع لها . عندئذ سوف يصبح وجود إسرائيل فى أفريقيا والتصدى له فصلا صغيرا من موقف شامل . أما ونحن نواجه مخططا أمنيا إمبرياليا يصل إلى عظامنا ويلقى تأييد عدد لا يستهان به من النظم العربية على النحو الذى وقع أمام أعيننا من كامب ديفيد إلى صبرا وشاتيلا فإنه يصعب إلا الحديث فى هامش لابد أن نكون مدركين لمحدوديته .. ومع ذلك فلنتحرك فى هذا الهامش بجدية حقيقية .

الفصل السابع
إسرائيل : قوة إمبرالية صغرى فى العالم الثالث
حالة أفريقيا

أصبح مفهوم « الإمبرالية » ذا تنويعات مختلفة فى النظام المعرفى للعلوم السياسية ، من الاستعمار التقليدى ، والاستيطانى ، والاستعمار الجديد ، إلى الإمبريالية الفرعية ، والإمبريالية الإقليمية ، والإمبريالية الصغرى ، وعلاقة المركز بالأطراف الخ وذلك كله فى إطار المناقشات حول طبيعة الصراع والتناقضات على المستوى العالمى Global أو الإقليمى والأدوار الرئيسية والفرعية فى هذا الصراع .

وليس الأمر هنا مجرد خلاف على التعريفات حيث ينعكس المفهوم فى بعض مناطق العالم بآثار مختلفة ويرتب سلوكيات سياسية متباعدة فى معالجة هذا الصراع خاصة فى مناطق من العالم الثالث مثل الشرق الأوسط أو الجنوب الافريقى . ففى هذه المناطق يؤدى فهم طبيعة الصراع إلى مواقف مختلفة ويختلف التقدير بالنسبة لدور الأمة / الدولة ، والتشكيلات الاجتماعية النامية وحركة التحرر الوطنى القائمة .

فالتعامل مع مثال إسرائيل – وبالمثل تقريبا بالنسبة لجنوب افريقيا – يختلف الأمر مع اختلاف المصطلح السائد ويؤدى إلى نتائج جد خطيرة ، رغم ضرورة اعتبار المصداقية التاريخية لجوانب من هذه المصطلحات :

• « فالاستعمار » Colonialism بمفهومه التقليدى قد لا ينطبق إذا اعتبرت إسرائيل إحدى دول الشرق الأوسط ، تقوم « أحيانا » بالعدوان على جاراتها . أو تغتصب بعض حقوق سكان المنطقة ، وكأنها حتى بمنطق قرار التقسيم الدولى ١٩٤٧ – لا تحتل أراضى « الآخرين » منذ حوالى ٤٠ عاما بمعايير « الاحتلال » التقليدية .

• والاستعمار الاستيطانى « Settler Colon. إذا طبق وحده فإنه يفترض إمكان تغيير طبيعته بتغيير البنية الداخلية « للدولة » عن طريق الصراع السياسى والاجتماعى الداخلى دون حاجة لتغيير / تدمير طبيعة جهاز الدولة ، أو وفق منطق « مشاركة » الأغلبية فى السلطة فى دولة متعددة القومية .

• ومفهوم « المشروع الصهيونى / العنصرى » Racist - apartheid يواجه من البعض بمفاهيم دينية ، أو قومية عرقية ، أو مشروع حضارى عربى للمناقشة أو لنحصار ، أو لتحويل « دول المنطقة » إلى نظم « شرق أوسطية » أو أفريقية

• ومفهوم « العميل المحلى » Regionai Agent للقوى الإمبريالية أو « الاستعمار الجديد » يغرى بعض النظم المحيطة بتصور « إضعافه » عن طريق الحلول محله فى نفس الدور وسلب ميزات

الدو. من العدو محاصرة عدوانيته أو صفته كشرطي للقوى الإمبريالية ومعنى ذلك أنه يتجاهل العلاقات العضوية التي تقوى استمرارية الدور

٥ وحتى مفهوم « الامتداد الإمبريالي » .Ingtegrated الذى يطلق على إسرائيل أحيانا فإنه قد أدى في صيغته المطلقة تلك إلى صدور كتابات كثيرة عن « هامش » الاختلاف وعدم التوحد ، وإمكانيات تحييد « السيد الأكبر » ، بالتأثير في سياساته تجاه المنطقة المحيطة .

٥ وخلافا لهذه التحفظات فإن ثمة تحفظ مشترك هو أن معظم هذه المفاهيم عند تطبيقها لا تفسر الدور الخارجي المتزايد لإسرائيل – أو جنوب افريقيا – في العالم الثالث لصالح الإمبريالية العالمية ، كما سيعكس هذا البحث رغم الطابع الخاص الذى قد توفره طبيعة المكون الاقتصادى العسكرى للنظام الصهيوني .

٥ لذلك يصبح تطبيق مفهوم « الإمبريالية الفرعية » أو « الصغرى » على الوضع الراهن لإسرائيل هو أكثر المفاهيم مصداقية ، إذ إنه يستجيب لبعض جوانب المصطلحات السابقة عن طبيعة الكيان الصهيوني في فلسطين ، إنه يفسر الطبيعة العالمية للحركة الصهيونية في أعلى مراحلها وعلاقتها البنوية مجسدة في إسرائيل – بالنظام الإمبريالي الدولي . ويفسر أيضا الاختلاف الذى يبدو لنا أحيانا مع المركز . ونتائج كل ذلك في الدور الإقليمي لإسرائيل وعلاقتها في العالم الثالث وخاصة افريقيا . وهو أخير يفتح الباب للتساؤل حول طبيعة المواقف في النظام الإقليمي بالشرق الأوسط تجاهه النظام الإمبريالي العالمي نفسه وليس مجرد عناصر المواقف المحلية أو الإقليمية .

وفي إطار هذا المفهوم يمكن فهم طبيعة ودور حركة التحرر العربية والفلسطينية في مواجهة النظام الإمبريالي والفرعي بالمنطقة.

حول مفهوم الإمبريالية الفرعية وعلاقته بإسرائيل

لا ينوى هذا البحث الدخول في تفاصيل المناقشات حول النظام الإمبريالي المركزى والنظم الإمبريالية الفرعية أو الصغرى ، فقد استقرت كثير من المعايير في هذا المجال وصلت بعضها في شكليتها وغياب البعد الأيديولوجي عنها إلى وضع الاتحاد السوفياتي بجانب جنوب أفريقيا كأمثلة لدول الإمبرياليات الفرعية مثل البرازيل وإيران (الشاه) والهند وكوريا الجنوبية ... الخ ولم يهتم إلا القليل بعد هذه التصفيات بوضع إسرائيل ضمن هذه القائمة . ومع ذلك فإننا نستفيد هنا من بعض تطويرات النظرية البنيوية للإمبريالية ، والإمبريالية الاجتماعية والفرعية رغم مقالاتها أيضاً في الشكلية . ومن مساهمات عربية أصيلة حول إسرائيل كإمبريالية صغرى وتطبيقات عربية أخرى تمت عن السعودية .

وتتجه معظم هذه الكتابات إلى الإضافة على نظرية « البنية » عن الإمبريالية ومعيار تصدير رأس المال واستيراد المواد الخام ، أو بدائلها المباشرة (تصدير التكنولوجيا المتقدمة مقابل المواد الأولية) إذن تطور رأس المال العالمي وسمة الاحتكار والتركز لم تحل دون بروز أقطاب رأسمالية

فرعية ذات خصصات في التصدير ، أدوار خاصة في النظام الإقليمي . وإن كان ذلك يجعلها تبدو أحيانا منافسة للنظام المركزى مثل حالة اليابان فإنها تتحرك في معظم الحالات في إطار النظام الإمبريالي المتكامل في عصر تدويل الحياة الاقتصادية . بل وتقوم بدور الوسيط بين المركز والأطراف

وتتضمن تطويرات جوهان جالتونج لنظرته عن الإمبريالية الفرعية ما يفيدنا بوجه خاص بشأن إسرائيل[١] فهو يتحدث عن نشوء نوع من المركز في بنية الأطراف يخدم كرأس جسر للمركز الإمبريالى ويقدم الأخير كنموذج ، ولوسع من دائرة هيمنته . ويقوم رأس الجسر بالضبط الداخلى للأطراف في نفس الوقت الذى ينحاز فيه تماما للسياسة الإمبريالية المقررة تجاه المحافظة على الأوضاع الراهنة والنمط الرأسمالى في الأطراف ، هو يقدم أمثلة جنوب افريقيا في الجنوب الافريقى وإيران (الشاه) والسعودية في الشرق الأوسط كإمبريالية إقليمية كما يقدم الاتحاد السوفياتى في شرق أوربا مع إشارة إلى عدم الأهمية لهذه الأمثلة بقدر أهمية المعايير التى قد تجعل الإمبريالية المركزية تغير اختياراتها

ويبدو من « جالتونج » وغيره من المحدثين أهمية البنية الداخلية والخارجية في النظام الإمبريالى الفرعى ومن هنا يبرز الطابع البنيوى الاجتماعى للنموذج كما يبرز دور الأيديولوجية المساعدة والعسكرية الأمنية وعلى أساس من كل هذه المعايير مشتركة يبرز مثال إسرائيل

ويتناول د . فؤاد مرسى في كتابه عن « الاقتصاد السياسى لإسرائيل »[٢] أهمية مفهوم « القوة الإمبريالية الصغرى » بشأن الدولة الصهيونية في فلسطين لتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التى سادت المنطقة العربية ولينطلق من ذلك إلى معالجة وضع إسرائيل كمشروع صهيونى تقوم الرأسمالية العالمية بضخه برأس المال الذى يتراكم ويولد الدور الإمبريالى لهذه الدولة بل يكشف مساهمة الاحتكارات النفطية في تنمية هذا الدور ودعم اقتصاد الحرب والمضى في السياسة التوسعية على مستوى العالم العربى والعالم الثالث .

ولا تقف الدراسات العربية عند نموذج إسرائيل بل تطبق مفاهيم مماثلة على الدور السعودى بفضل تراكم رأس المال النفطى في إطار الاستراتيجية الإمبريالية تجاه المال العربى و« الهيمنة » السعودية في النظام الإقليمى للشرق الأوسط لصالح استقرار المصالح الإمبريالية[٣] ومعنى ذلك أن إدارة المركز

---

(١) J. Galiung : Conflict on global Scale, Socila imperialism and subimperialism. Continuities in the Structural theory of Imperialism. In : World Development. Vol 4 N[3 March 1976 — Pergamon Press, U.K. Pp : 153 - 165

(٢) د . فؤاد مرسى : الاقتصاد السياسى لإسرائيل
المستقبل العربى القاهرة ١٩٨٣ ص ٧ - ٩ ، ١٣٨ ، ١٦٩

(٣) غسان سلامه : السياسة الخارجية السعودية منذ ١٩٤٥ معهد الانماء العربى بيروت ١٩٨ وانظر بعض حول عرض آخر عن جالتونج في :

د . حوريه مجاهد : الاستعمار كظاهرة عالمية ، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٥ ص ١٣٦ - ٥٤ .

الإمبريالى مستروده لا خلق أكثر من مبريالية فرعية في منطقة العربية دون مصادمات ، وطنية ، متوقعة من . ، إنما حمية سلام ، ستكلها اتراهن تخدم على نفس الهدف .

ومما يجب أن نلاحظه هنا أن مثل هذه المفاهيم تجاه إسرائيل طرحتها مبكرا تجمعات افريقية عربية في أعقاب الاستقلال فيما تضمنته مناقشاتها وقراراتها حول ، الاستعمار الجديد ، حيث وضعت إسرائيل ضمن قواه الأساسية المهددة للاستقلال والتحرر الوطني ، عن طريق التآمر والقهر والإجراءات العسكرية والبوليسية بل والقتل (قرار مؤتمر الشعوب الافريقية - القاهرة - مارس ١٩٦١[٤] ومن قبل ذلك كانت مجموعة دول الدار البيضاء قد اتخذت قرارا مماثلا حول ، إسرائيل كرأس جسر للاستعمار ، يناير ١٩٦١ ، بل وتتحدث الأدبيات الإسرائيلية عن ، صدمة باندونج ، عند تفسيرها لعزل إسرائيل عن المؤتمر عام ١٩٥٥ ووضع قضية الشعب الفلسطيني ضمن قرارات المؤتمر عن الاستعمار[٥]

نمو مشوه يدعمه الإطار الإمبريالى :

لم يكن تحقيق الحركة الصهيونية ، مشروع ، ، دولة إسرائيل ، بريئا في أية لحظة من علاقته العضوية بمشروعات الاستعمارية خاصة إذا عرفنا أن النبوءة الدينية بإعادة ، بناء الهيكل ، لم تلق التأييد الديني اليهودى نفسه عند طرح هرتزل ، لمشروع الدولة ، . ومن ثم فليس لدينا في تفسير ، المشروع منذ بدايته إلا المرجع الأوربي ، بدءا من دعوة نابليون لليهود للتوطن في المنطقة خلال معاركه التوسعية جنوب البحر الأبيض وشرقه أواخر القرن الثامن عشر إلى صدور وعد بلفور والدعم البريطاني للفكرة أوائل القرن العشرين وحتى قيامها ١٩٤٨ ووصولا إلى مشاركة بريطانيا وفرنسا لإسرائيل في غزو مصر ١٩٥٦ ، والدعم الألماني الغربي بأموال التعويضات والسلاح في أوائل السبعينيات بديلا - ظاهريا - للولايات المتحدة ثم التوحد الإسرائيلي الأمريكي العلني بعد ذلك

نحن إذن أمام مشروع استعمارى مبكر ولسنا بصدد ، هوية يهودية ، تبحث عن مستقر لها في مشروع وطني محدد لبناء دولتها وليس صدفة أن يكون الانتقال تابعيا بهذا الشكل لمشروع ، دولة ما ، بين مصالح استعمارية واضحة بينما عرفت مختلف المشروعات ، الوطنية ، في العالم الثالث أشكالا من التناقض متفاوتة الدرجة مع هذه المصالح مهما كانت بنيتها البرجوازية أو الرأسمالية .

ونذكر ذلك هنا لأنه هو الذى يفسر استمرار علاقات إسرائيل مع أنماط فاشية في العالم الثالث بسبب الرابطة المستمرة مع النظام الإمبريالى دون غيره وإلا كان الخيار الآخر أمام الأغلبية اليهودية هو الثورة الاشتراكية وهو ما لم يحدث إزاء تحكم الطبقة العليا دائما في المشروع[٦] .

---

(٤) Y. Barongo, Neo Colonialism and AfricanPolitics Vantage Press N[4 1980 P 88

(٥) M. Curtis and Gitelson (ed), Israel in the Third World P 11, Transaction Books N J 1976

(٦) J. N. Pieterse, Israel Role in the third world, In : Race and Class vol 26 N[3 1985

- ولا ينوى هذا البحث الدخول فى تفاصيل الاقتصاد السياسى لإسرائيل وانعكاسات على سلوكها الخارجى وعلاقاته العضوية بالقوى الإمبريالية الكبرى ، ولكننا نريد هنا أن نشير فقط إلى تلك الظواهر فى البنية الإسرائيلية التى تجسد طبيعة هذه العلاقات وتفرض عليها ظواهر « التفجر » نحو الخارج وفق معايير النموذج الإمبريالى الفرعى :

ولابد أن نبدأ البحث هنا بالعلاقة الخاصة بين « الدولة » الإسرائيلية والحركة الصهيونية ، لنرى إسرائيل التى بدأت بمقولة جمع « الأمة اليهودية » من الشتان إلى « الدولة » (قانون الهجرة والجنسية) تقف الآن بصورة متجددة عند مقولة « الأمة اليهودية فى العالم » لتحقق : الاحتفاظ بدور الحركة الصهيونية كمنظمة رأسمالية عالمية ومالك من أكبر الملاك فى العالم المرتبط بالاحتكارات العالمية » من جهة ، وتجعل هجرة اليهود إليها منتقاة من عناصر مهيمنة أو مختارة كقوى عاملة (الفلاشا) أو كوادرفنية ... الخ ، خلافا للاتجاه المبكر الذى أدى إلى هجرة مليون نسمة خلال عشرين شهرا من إعلان الدولة ١٩٤٨ ، أى أكثر من ضعف عدد اليهود الذين كانوا موجودين فى فلسطين عند هذه اللحظة . ولقد أدى ذلك إلى قيام الحركة الصهيونية فى الخارج بتمويل عملية التوطين لمليون ونصف يهودى بعد إعلان الدولة بنفقات بلغت حوالى ٤,٥ مليار دولار وهى نفس الأسس التى جعلت هناك نمط المؤتمرات الدورية لأصحاب الملايين اليهود فى إسرائيل منذ ١٩٦٧ فقرروا عام ١٩٦٨ مثلا تخصيص مليار دولار لاستصلاح الأرض العربية التى أحتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ وغيرها من المشروعات[٧] . واعتماد الدولة الإسرائيلية على هذا المنطلق منذ البداية هو الذى جعلها تنمو اجتماعيا فى اتجاه « النخبوية » والأمنية العسكرية وتؤكد منذ السبعينات على الليبرالية الاقتصادية مهما أدى ذلك إلى تصفية قطاع الدولة أو الدور الاقتصادى القديم للهستدروت ، وسيادة التوجه الدينى التوسعى لليكود منذ ١٩٧٧ مع إعلانه للثورة الاقتصادية الجديدة .

إن نمو إسرائيل كمشروع أمنى عسكرى للإمبريالية الدولية ، قد جعلها تتحرى الانتقاء فى مشروع جمع شتات اليهود من الدياسبورا بعد أن أصبحت الهجرة المنتقاة ذات نتائج أفضل فى المركب النخبوى الجديد القادر على تحقيق أهدافه على نحو أسرع ، فقد أصبحت العمالة تمثل ٣٢٪ من مجموع السكان بإحصاءات السبعينيات كأعلى معدل للعمالة فى العالم ويعمل ١٠٪ من هؤلاء فى الجيش والصناعات العسكرية مما لا ينافسها فمن هذه النسبة إلا الولايات المتحدة (١٤٪) .

وقد دفع ذلك بموسى شاريت قبل وفاته لطرح مشروع استعداد إسرائيل لاستعادة مائة ألف لاجىء فلسطينى إلى أراضيهم[٨] ومع وضوح الهدف الاقتصادى السياسى من ذلك فإنه يريد القول أن « مشكلة الفلسطينيين » لم تعد هى السهم الرئيسى للمشروع الصهيونى .

---

(٧) فؤاد مرسى : مرجع سابق ص ٢٦ - ١٦٧
(٨) فؤاد مرسى : مرجع سابق ص ٢٦ - ١٦٧

وتكشف الأبعاد الأخرى فى الاقتصاد الإسرائيلى طبيعة النمو المشوه الذى يمضى فيه المشروع الصهيونى .

• لا يقوم الاقتصاد الإسرائيلى على القاعدة المألوفة بشأن تكوين رأسماله القومى إذ تقوم بذلك نيابة عن « المجتمع الإسرائيلى » مؤسسات الرأسمالية العالمية ، فترتفع بإطراد معدلات التراكم الرأسمالى بينما تنخفض بإطراد نسبة المدخرات المحلية ، ويجرى تدفق رأس المال من الخارج رغم العجز المستمر فى ميزان المدفوعات الإسرائيلى ، ومن جهة أخرى يقوم هذا الاقتصاد على أساس استغراق الاستهلاك القومى للدخل القومى أى اختفاء ظاهرة الادخار القومى ومع ذلك يصل الاستثمار إلى حوالى نصف الدخل القومى ويصل التكوين الرأسمالى إلى أعلى معدل له فى العالم . وهو من جهة ثالثة يقوم على أساس زيادة سنوية فى الاستيراد عن التصدير ، أى عجز دائم فى الميزان التجارى مع ارتفاع فى أسعار وتزايد المديونية الخارجية ونسبة التضخم ، ومع ذلك يحرص الاقتصاد الإسرائيلى إلى الرفع الدائم فى مستوى معيشة المستوطن لتشجيع الهجرة ، وينتج ذلك مع زيادة معدل الناتج القومى لتصل أحيانا إلى ١٤٪ .. ولكنه ينخفض أحيانا بسبب هذه الطبيعة للاقتصاد لتصل أحيانا إلى ١,١٪[٩] .

• وتسجل مختلف المصادر أن نمو الناتج القومى الإجمالى فى إسرائيل يرتبط أكثر بظروف الحرب حيث يؤدى حدوثها إلى ارتفاع معدل هذا النمو ، وقد حدث هذا خلال حرب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ على التوالى بحيث أن الانخفاض المهدد للاقتصاد فى معدل نمو الناتج القومى ينذر مباشرة بوقوع الحرب مع العرب مهما كانت الأسباب ، وحيث يعتمد الاقتصاد الإسرائيلى على التحويل الخارجى فإننا لابد أن نفهم دور المؤسسات الرأسمالية العالمية فى تغذية هذا الاقتصاد بعد كل حرب ومن الطبيعى ألا نفهم ذلك كنوع من الإحسان الدورى وإنما لابد أن يفهم على أنه إعادة لبناء الكيان الصهيونى بشكل معين نتيجة وظيفته المقررة ، ولذا تلعب فيه الحرب دور الجاذب لرأس المال وليس تخويفه كما يحدث لأى بلد آخر فى العالم .

• لقد نتج عن هذا التكوين تعبئة مستمرة دائمة من جانب الحركة الصهيونية للموارد المالية من الخارج ، وفى هذا الصدد حصلت إسرائيل وحدها من المصادر الأوربية على أكثر مما حققه مشروع مارشال لبناء الاقتصاد الأوربى كله بعد الحرب العالمية الثانية . وحالة الولايات المتحدة معها فى هذا المجال أفضل تعبير ، ويكفى هنا القول أن المساعدات الأمريكية قدرت عام ١٩٨١ بنصف إجمالى الدخل القومى الإسرائيلى وإن السندات الإسرائيلية فى أمريكا تلى نسبة سندات تمويل الخزانة الأمريكية ، مما جعل تقرير المحاسب العام الأمريكى الصادر عام ١٩٨٤ يقدر مجمل المساعدات الأمريكية لإسرائيل منذ قيامها بحوالى ٢٥ بليون دولار منها ١٦,٥ قروض ومنح لأغراض عسكرية ٦,٥ بليون مساعدات اقتصادية ومنح تحت برنامج مساعدات الأمن . وقد ورد فى التقرير أن المساعدات الأمريكية السنوية ليست فقط المسجلة رسميا بـ ٢,٥ مليار ولكنها تفوق فى الواقع ٢٠ مليار دولار من مختلف المصادر ، ويعلق مستشار يهودى لرئيس أمريكى سابق على ذلك بأنها أكبر متلقى واحد للمساعدات الأمريكية فى العالم ، كما أنه لا يعرف التزاما لأمريكا خارج الناتو

(٩) فؤاد مرسى : مرجع سابق ص ٢٦ - ١٦٧ .

(الذى تقوده) أكثر منه تجاه إسرائيل[١٠]

* ولعل ذلك ما يؤكد إشارة د. فؤاد مرسى عن أن التمويل الخارجى أصبح يمد التكوين الرأسمالى الإسرائيلى فى السنوات الأخيرة بنسبة ٣٤٪ وإن التحويلات الأمريكية وحدها تشكل أكثر من ٨٠٪ من هذا التمويل الخارجى .

* لكن إسرائيل كمشروع إمبريالى فرعى لا تترك نفسها لظروف التمويل ومشاكل إدارة اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة ، إذ تتم عملية البناء الداخلى مستفيدة من نمط النمو الرأسمالى الذى ترتبط به والمواتى لمساعدتها ، فهى :

(أ) تستورد الماس الخام من جنوب أفريقيا وافريقا الوسطى وبلجيكا لتحويله إلى سلعة تصدير هامة تشكل ٣٥٪ من صادراتها .

(ب) وهى تقفز بنسبة الإنتاج الصناعى فى الصادرات من ١٣,٤٪ ٦٧ إلى أكثر من ٣١٪ فى السنوات الأخيرة مع زيادة الاعتماد على الصناعة الثقيلة والكثيفة المهارة التى أدت إلى تركيز المنشآت الصناعية فى اتجاه المشروع الكبير فمن ٩٧٦٥ منشأة بعد ١٩٦٧ إلى ٦٤٠٠ منشأة يسيطر عليها ٤٥٦ فقط بل وتحكمها مجموعة مهيمنة ١,٣٪ من هذه المنشآت ، ومن ثم بتخفيض دور الإنتاج الزراعى فى الصادرات إلى ٧٪ (١٩٧٩) مقابل ١٤٪ (١٩٦٥) .

* ويرتبط نمو المجموع الصناعى العسكرى فى إسرائيل بنظيره الأمريكى وبنتائجه فى تغذية التوترات العسكرية على النطاق العالمى (بالنسبة للولايات المتحدة) والعالم الثالث (بالنسبة لإسرائيل) ، إذ يقدر الإنفاق العسكرى الإسرائيلى بأكثر من ١٥٪ من الدخل القومى سنوات السبعينيات مقابل ١٠٪ فى الولايات المتحدة . وقد عرضت الصحف الإسرائيلية حديثا تقارير لمعهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب والمركز الدولى للسلام فى الشرق الأوسط (١٩٨٤) تفيد بهذه المعلومات الهامة[١١] :

* يوجد فى إسرائيل مجمع عسكرى صناعى كبير وقوى من جماعات ضغط مقربة ويدار دون إشراف ومراقبة شعبية فعالة وتدفع بعض هذه الجماعات من السلاح الجوى مثلا لإنتاج صناعات عسكرية معينة لخدمة مصالحها .

* تستوعب الصناعات العسكرية ربع العمالة الصناعية فى إسرائيل حاليا وأصبح نصيب الصادرات العسكرية ٢٧٪ من مجمل الصادرات الصناعية مما يؤثر فى توجيهات الاقتصاد والتركيبة

---

(١٠) S. Eizenstat: Anatomy of Special Relationship, In: The American Zionist, N-Y, july August 1984

(١١) رؤوفين قدهتسور / المركب الصناعى العسكرى فى إسرائيل فى هآرتس ١٣ - ١٩٨٤/٨/١٥ - إسرائيل .

انظر أيضا : س. ن. ايزنشتات : اتجاهات بلورة المجتمع الإسرائيلى فى : سكيرا جودشيت - القدس مارس/إبريل ١٩٨٤ (مترجم من العبرية بالجامعة العربية تونس ١٩٨٥)

الاجتماعية نفسها .

* كان الجيش الإسرائيلى هو الزبون الأول للسلاح المنتج حتى أوائل الثمانينيات فأصبح يستهلك ٣٥٪ فقط من الصناعات الجوية و ٣٨٪ من الصناعات العسكرية والباقى للتصدير الذى بلغ مليار دولار سنويا . والبحث لا يأسف من احتمال انخفاض المبيعات العسكرية لأن الدولة يجب ألا يزيد اعتمادها على ٢٥٪ من إنتاجها على هذا النوع .

* سوف تنفق إسرائيل ، على سبيل المثال ، ٢ مليار دولار فى الصناعة الجوية عند خروج أول طائرة « لافى » Lavy قريبا بينما ستنفق من ١١ — ١٢ مليار دولار على مدى ١٠—١٥ سنة للمضى فى هذه الصناعة بفضل ضغط جماعة الصناعات الجوية .

* ولسنا بحاجة هنا إلى الإشارة لعلاقة نمو الصناعات الثقيلة والعسكرية بتقدم إنتاج الأسلحة النووية فى إسرائيل من مفاعلات إلى صواريخ ذات رؤوس نووية إلى امتلاك « القنبلة » النووية نفسها وتجربتها مع جنوب افريقيا .

* تحتل إسرائيل المركز الثانى عشر من بين الدول المصدرة للسلاح فى العالم (بينما يشير بيترو فى مقاله عن دور إسرائيل فى العالم الثالث أن مصادر المخابرات الأمريكية تعتبر إسرائيل خامس دولة فى تصدير السلاح حيث تأتى بعد الدول الكبرى مباشرة) .

ولعله بسبب هذا التكوين الاقتصادى الخاص لإسرائيل والذى لا يمكن أن تكفل له وحده الحياة والاستمرارية مع الأزمة الاقتصادية الخانقة فى العالم الثالث ، تتزايد أشكال الترابط العضوى مع الاقتصاد الرأسمالى الإمبريالى وسياساته .

كما أنه فى ظروف التمايز الاجتماعى المرافق لتطور الجماعة العسكرية الصناعية فإن الاشكنازيم العدوانيين سيظلون على رأس السلطة مهما اتسعت قاعدة استيعاب السفارديم فى الإدارة والخدمات ليبقى التكوين الطبقى فى إسرائيل داخليا فى خدمة التشكيلة الطبقية التى تتحرك فى إطارها عالميا ، ولعل هذا الوضع هو الذى سيبقى على وظيفة إسرائيل الإمبريالية الفرعية ولذا تقدم لها الاحتكارات الدولية خدمات مستمرة رغم الأزمة العالمية تسهل لها النفاذ إلى العالم الثالث :

* ففى عام ١٩٧٥ وقعت إسرائيل مع دول السوق الأوربية المشتركة اتفاقية لمنطقة تجارة حرة بينهما تفتح السوقين معا لأكبر عدد من السلع الصناعية والزراعية بحيث يتوصلا إلى تبادل الانفتاح الكامل عام ١٩٨٩ ويتيح لها ذلك حرية حركة كاملة — تدريجيا — فى أسواق دول السوق الأفريقية وغيرها من مجموعة اتفاقية لومى .

* وقد أعقب ذلك اتفاقا قريبا من اتفاق السوق الأوربية مع الولايات المتحدة ١٩٧٦ فى إطار نظام الأفضليات العام G.S.P. المتوفرة لبعض الدول النامية أتاح لإسرائيل إعفاء حوالى ٣ آلاف سلعة من جمارك الولايات المتحدة ، لكن إسرائيل لم تكتف بذلك بل ضغطت فى الفترة الأخيرة لتوقيع اتفاق أكثر شمولا وإعلان منطقة تجارة حرة تماما مع الولايات المتحدة ، واستطاعت

الخصول فى سبتمبر ١٩٨٤ على قرار مجلس الشيوخ الأمريكى فى هذا الشأن لإعفاء بضائع البلدين من الجمارك . ويتيح ذلك غطاء كافيا لانتقال رؤوس الأموال والاستثمارات الأمريكية إلى إسرائيل التى تقوم بتوسيع أسواقها فى العالم الثالث بشكل مباشر . وهذا ما تفسره بعض المصادر الإسرائيلية من أنه مقابل « خدمات معينة تقدمها إسرائيل لأمريكا فى المنطقة وفى أمريكا الوسطى وأفريقيا » كما صرح أحد أعضاء الكنيست « وأن أمريكا تجادل فى موضوع منطقة التجارة الحرة وتريد التعامل بالمثل فهل لا يكفى أمريكا استفادتها من قوتنا العسكرية » ، كما أعلنت مصادر إسرائيلية أخرى أن ذلك يحقق مناخا من المشاركة بين الصناعات والصناعيين فى أمريكا وإسرائيل مما يشجع الاستثمارات الصناعية الأوروبية فى إسرائيل « أيضا طمعا فى التوجه بعد ذلك لأمريكا »[١٢].

ومعنى ذلك أن تصبح إسرائيل حلقة وصل متعددة الأطراف بين رأس المال الأوروبى والأمريكى ، ولتتخذ من العالم الثالث ساحتها . ومع ذلك وتواجه إسرائيل مؤخرا المشكلات الناتجة عن هذا النمو الاقتصادى المشوه بمسعى آخر يضعها فى قلب الاقتصاد الأمريكى الذى ينفرد حاليا بحالة انتعاش نسبى وذلك عن طريق دفع المشروع الذى طرحه وزير المالية الإسرائيلى فى أكتوبر ١٩٨٣ « بجعل الدولار الأمريكى أساس التقييم - مثل الذهب - ويجعل من الممكن التعامل به فى السوق الإسرائيلى » وهى العملية التى تسميها المصادر الإسرائيلية « برنامج الدولرة »[١٣] Dollarazation

ثم : بريالى لعلاقات إسرائيل الخارجية

٨ - منذ نشأت الحركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر على أساس بناء « دولة » الشعب اليهودى وهى تحمل بذور الكولونيالية التى أدت بها فى النهاية لنمط الإمبريالية الفرعية أو الصغرى . ولا حاجة لتكرار الحديث هنا عن المعتقد الأساسى لرواد الحركة حول « المهمة الحضارية لإسرائيل وسط البربرية الشرقية » وحماية المصالح الغربية قرب قناة السويس وعلى الطريق التجارى للهند الشرقية . وهى مقولات كولونيالية مبكرة ، بل وقد تمثل هذا الوعى المبكر بربط المشروع الصهيونى بالمشروع الاستعمارى الأكبر فى حرص الرواد الصهيونيين على الاتصال المبكر بمشروعات اليوطى الأوروبية فى الجنوب الافريقى . كما كشفته اتصالات هرتزل / رودس واتصالات وايزمان / سمتس Smuts وعند إقامة الدولة ١٩٤٨ لم ترسم الدولة لنفسها حدودا ومن ثم لم تضع لطموحاتها الإقليمية هذه الحدود على النحو الذى رضى به النظام الاستيطانى فى جنوب أفريقيا لفترة طويلة من حياته مثلا ، فمنذ اللحظات الأولى لقرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧ تضاعف عدد اليهود لنفس الغرض الاستعمارى .

لم تحصر إسرائيل نفسها إذن فى ذلك الغرض المحدود « للاستعمار الاستيطانى » بالهجرة إلى

---

(١٢) موشيه سمدار : منطقة التجارة الحرة بين إسرائيل والولايات المتحدة فى : رفاعون ليكلكلام - العدد ١٢١ يوليو ١٩٨٤ ترجمة : الملف ملحق ١ - عدد ٨ نوفمبر ١٩٨٤ .

(١٣) A. Lumbrose · Dollarization Programme, in: The Israel Economist - May 1984.

« أرض ليس بها شعب » وإنما أخضعت الدولة الشعب للحركة الصهيونية وهى رأسمالية التركيب بالأساس وكان طبيعيا أن يمضى بعض الوقت لتكوين مؤسسات « الدولة » الجديدة « مستثمرين الروح الطليعية » اليهودية التى قادها رواد الحركة الأول ، وساعد على ذلك طبيعة المهاجرين الأول من التكوينات البرجوازية الصغيرة المشدودين إلى روح الريادة وأقامة الموشاف الأول على أرض الميعاد . وكان طبيعيا أيضا أن تستغرق هذا الكيان الناشىء سياسة الأمن وتأمين الداخل وسياسة البحث عن الشرعية فى الخارج .

ولكن الأشهر الأولى لهذا الكيان الجديد هى التى شهدت أيضا الاتفاق الثلاثى عام ١٩٥٠ من قبل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة لضمان حدود إسرائيل أو بالأحرى « التضامن الدولى معها » .ولقد ساعد تنامى التكوين الطبقى وسيطرة الشرائح الأوروبية المتقدمة « شكنازيم » على تكوين « النخبة الحاكمة » وسيادة توجهاتها فى ضوء « الرسالة » المقرزة « للشعب اليهودى » فترك « السفارديم » والمجموعات الريادية المتدينة تبنى الوشاف والكيبوتزات وتبحث عن الاستقرار الاجتماعى بينما انطلقت الشرائح العليا تسيطر على جهاز الدولة وحتى الهستدروت ذو المزاعم « الاشتراكية » فى اتجاه التطور الرأسمالى الذى بلغ غايته فى أواخر السبعينيات .

لذلك لم يتجه هذا « الكيان الايستيطانى » إلى مجرد بناء « دولته » القوية النموذج وسط شعب متخلف — حتى وفق ما سار فى جنوب أفريقيا — وأنما بدأ سريعا بعمليات مشاركة للقوى الاستعمارية التقليدية والإمبريالية خارج حدوده ، ويعتبر التحرش بثورة يوليو منذ تأكد لهذه القوى استمرار قيادتها فى الحكم عام ١٩٥٥ بداية هذا الدور الذى تنامى ضدها بتنسيق إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا لاحتلال قناة السويس ١٩٥٧ .

والذين تابعوا تطور النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا قد سجلوا بعناية التفاف إسرائيل مبكرا حول دول حوض النيل فكان وجود إسرائيل الأمنى إلى جانب الاقتصادى (المحدودين بالضرورة) فى أثيوبيا (هيلاسلاسى) وأوغندا وكينيا وزائير وافريقيا الوسطى وتشاد[١٤] ولم يكن ذلك فى تقديرنا إلا محاولة التفاف مبكرة من قبل القوى الإمبريالية حول حركة التحرر العربية الناصرية ذات الصدى المعروف فى هذه المنطقة . ولقد بدا واضحا أن تناقض التحرر والإمبريالية هو الذى حدد دور إسرائيل فى هذه الفترة المبكرة من حياة إسرائيل ذات الإمكانيات الاقتصادية المحدودة ولذا لم يزد حجم تجارتها مع أفريقيا عن ٧٠ مليون دولار طوال الستينيات بينما كان لها حوالى ٣٢ بعثة دبلوماسية عند آخر الستينيات . وفى حدود هذا المكوّن الناشىء الذى تديره البرجوازية الصغيرة فى إسرائيل ذات النزع البراجماتى والمرتبطة فكريا بأفكار الاشتراكية الديمقراطية الأوربية وأحزابها بالأساس انتشرت مقولات إسرائيل : الدولة النامية ، النموذج الاشتراكى ، التجربة التحديثية ، وليس صدفة أن تكون علاقاتها الأساسية الأولى هى الأرسخ مع زعماء « الاشتراكية الافريقية » والأصالة

---

(١٤) عبد الملك عودة : النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا — القاهرة ١٩٦٦ — وأيضا د . عواطف عبد الرحمن : إسرائيل وأفريقيا - بيروت ١٩٧٤ .

والزنوجة Negritude ... الخ بهدف وضع الأقدام أولا . وحيث تبقى محصورة وضرب تجربة حركة التحرر الوطنية عربيا وافريقيا هي الهدف فإننا يمكن أن نتصور كيف لم تستطع مصر (عبدالناصر) نفسها أن تنتزع موقفا افريقيا موحدا معها أو مع العرب إزاء العدوان الإسرائيلي على مصر ١٩٦٧ حيث توقف أصدقاء إسرائيل ببيانات الوحدة الافريقية بين ١٩٧١/٦٧ عند المطالبة « بانسحاب القوات الأجنبية » عن أراضى مصر الافريقية ؟

لا يمكننا هنا بالطبع إغفال الإطار المباشر لحركة النشاط الإسرائيلي تحتا عن « الشرعية » و « الأمان » ، ولكننا نريد هنا كشف بذور الدور الإمبريالي العالمي - الفرعي لإسرائيل منذ بدايات خروج نشاطها عن الإطار « الاستيطاني » و « الإقليمي » ، ممثلا في اتجاهها الأول نحو افريقيا .

٢ - انطلاقة إسرائيل منذ السبعينيات

اختلفت الآراء كثيرا في تفسير التحول الافريقي الكبير عن إسرائيل (قطع العلاقات الدبلوماسية جماعيا) أوائل السبعينيات بما يشبه انقلاب الوضع عليها في القارة . وتعددت أسباب ذلك عند بعض الباحثين من تغير صورة إسرائيل عند الأفارقة كباحثة عن الربح لا للمعاونة ، أو لانكشاف علاقتها بجنوب افريقيا[١٥] أو لعمق علاقة حركة التحرر الفلسطينية في افريقيا أو لأقصى التعاون العربي الافريقي الجماعي[١٦] ، لكن معظم هذه الدراسات لم تنتبه إلا جزئيا أحيانا - للعنصر الذي تواترت عنه المعلومات خلال هذه المعالجة نفسها وهو الخاص بطبيعة النمو الاقتصادى الإسرائيلي من جهة أو انعكاسات ذلك على تعامل إسرائيل في افريقيا وخارج افريقيا . كما لم ينتبه هؤلاء الباحثون لحركة رأس المال الدولية وتوجهات الإمبريالية الأمريكية نحو العالم الثالث والمكانة التي اتخذتها إسرائيل وجنوب افريقيا في هذه التوجهات .

إن آية مراجعة لظروف الاقتصاد العالمي أوائل السبعينيات وأزمة الدولار الأمريكي مع اقتصاديات أوربا واليابان تشير إلى الدور الأمريكي في رفع أسعار البترول على النحو الذى حدث بفضل سيطرة شركائها على إنتاجه في دول الشرق الأوسط مع عدم خضوع سوقها المباشرة له مما أمكن معه إنقاذ وضع الدولار تماما ، وفى نفس الوقت فإن الأزمة الناشئة عن كل هذه الأوضاع الاقتصادية في العالم الثالث كانت تحتاج إلى أن يعاد تدوير رؤوس الأموال المتراكمة من ارتفاع أسعار البترول ليرجع بعضها - عبر الطرف الأمريكي الأوربي - للاستعمار أو المعاونة في أفريقيا والعالم الثالث بعد تدهور نسب المساعدات

---

(١٥) د. مجدى حماد : النظام السياسي الاستيطاني - دراسة مقارنة إسرائيل وجنوب أفريقيا دار الوحدة بيروت ١٩٨١ .

(١٦) M.O Beshir : Terramedia, Themes in Afro Arab relations, Ithaca Press London 1982 P 94 100

الأمريكية والأوربية بشكل ملحوظ . وحيث يتضاعف البترودولار فى بعض الأيدى العربية فإنه يمكن دفعها لإعادة ضخ هذه الأموال لدول العالم الثالث لإنقاذها من السقوط فى الراديكالية أو « النفوذ الشيوعى » . ومن هنا كان لابد من « مظاهرة دبلوماسية » لإرضاء العرب بإبعاد إسرائيل الشكلى حتى يمكن ترسيب الرأسمال العربى - الغربى إلى القارة بهدوء[17] . (يذكر فى هذا الصدد رقم ١٩ مليار من دول الأوبيك للعالم الثالث فى بضع سنوات ٧٣٠ / ٧٧ أى بنسبة ٤٪ من الدخل القومى لدول البترول بينما لم تصل أى من المساعدات الغربية المباشرة رقم ١,٠٪ الذى يعتبر مطلبا عالميا) .

وقبل ذلك بقليل كان قد جرب هذا الأسلوب فى « إبعاد » الصين الوطنية من أفريقيا عندما احتاج الرأسمال العالمى لأسواق الصين الشعبية والتراضى معها بدخول الأمم المتحدة أول السبعينات .

لقد فهمت إسرائيل « الرسالة » فقبلت هذا الإجراء الشكلى رغم بعض ردود الفعل العصبية بالطبع حيث ترافق ذلك مع حركة نمو رأسمالى صناعى كبير فى إسرائيل تطلب إعادة النظر من جانبها أيضا فى تركيب المفاهيم علاقات السوق الخارجى ، وبالتنسيق مع رأس المال العالمى نفسه . ومن هنا كانت خطوات التوسع الكيفى والكمى لعلاقاتها الاقتصادية فى أفريقيا وعلاقتها الخاصة مع جنوب أفريقيا وتايوان وصياغة أدوار جديدة فى إطار العلاقات الاستراتيجية مع الولايات المتحدة شملت أفريقيا وأمريكا اللاتينية وغيرهما من مناطق العالم .

ويمكن إلقاء نظرة موجزة على هذه النقاط كما يلى :

(أ) أدت مراجعة الموقف الإسرائيلى لنفسه إزاء هذه التغيرات الجديدة أن يطرح أيضا التركيب العقائدى للعلاقات الخارجية فى إطار الأيديولوجية الصهيونية وارتباطاتها ، وقد سبق الإشارة إلى ما طرح عن فكرية « الشعب اليهودى » لا مجرد « الدولة اليهودية » بما أصبح يعنى الاستعانة بالجاليات اليهودية فى جنوب أفريقيا وأمريكا اللاتينية والتأكيد على أهمية « اللوبى اليهودى » فى أمريكا بالنسبة للخدمات المطلوبة من بعض قيادات العالم الثالث ، بل وطرح فى بعض المصادر الإسرائيلية تساؤلا مباشرا عن ضرورة الاختيار بين أن تكون إسرائيل مجرد دولة شرق أوسطية فى العالم الثالث أو دولة ذات نزوع أوربى[18] .

(ب) إذا كانت تطورات السبعينات قد أدت إلى الخروج « الدبلوماسى » لإسرائيل من أفريقيا فقد أدت التطورات الرأسمالية النوعية فى إسرائيل إلى تكثيف الوجود الاقتصادى لها فى أفريقيا وفقا لهذا التطور :

١ - قفزت تجارتها الخارجية مع أفريقيا من حوالى ٧١ مليون دولار وعام ١٩٧٠ إلى ٣٢٦ مليون دولار عام ١٩٨٠ علماً بأن تجارة الماس وحدها مع جنوب أفريقيا وزائير وأفريقيا الوسطى تعتبر من الأسرار الاستراتيجية(١٩) .

٢ - بلغت عمليات شركاتها الكبرى فى أفريقيا لحوالى ٣ مليار دولار فى مقدمتها سوليل بونيه وكور بواجريدبو حيث تعمل هذه الشركات وحدها فى حوالى مائة مشروع وتذكر بعض المصادر أن الشركات الإسرائيلية قد خلقت نظاما للعمليات ثلاثى الأطراف مع دول أوربا والولايات المتحدة حتى دخلا للخزينة الإسرائيلية حتى ١٩٨١ حوالى ٤ مليار دولار(٢٠) .

٣ - انتقلت إسرائيل من العمليات الصغيرة التى كانت أشبه بمشروعات خدمات التنمية لعدد كبير من الدول الأفريقية فى ظل مقولات التنمية الاشتراكية إلى تنمية المشروع الرأسمالى الكبير حيث لجأت للتركيز على الدول التى تخدم هذا الاتجاه مثل نيجيريا/ساحل العاج/كينيا/زائير/جابون/التوجو ..

ولابد أن يلاحظ المرء هنا أن العلاقات الاقتصادية الخارجية بهذه الضخامة لابد وأن تكون قد اتبعت منهج الاقتصاد الداخلى فى الاعتماد على التمويل الخارجى بالأساس وليس على ناتج المدخرات القومية بما لذلك من دلالات غير خافية . .

(ج) أصبحت العلاقة المكشوفة مع جنوب أفريقيا إزاء زوال « الحرج الدبلوماسى » بديلا مجزيا لإسرائيل خاصة وأنها أصبحت تبنى الآن علاقة بنيوية بينهما ومع تايوان فى محور تمتد نتائجه من إنتاج السلاح النووى وتطوير وتفجير القنبلة النيوترينية وإنتاج صواريخ كروز إلى التعاون معا لمساعدة النظم الفاشية فى أمريكا اللاتينية (بوليفيا وجواتيمالا) ودول الكاريبى . ومع توفر المصادر العالمية فى هذا الصدد فى مجال رصد الحقائق عن هذه العلاقة إلا أنه يهمنا هنا أن ننتبه لأبعاد أساسية فى هذه الحقائق(٢١) .

١ - التكامل العضوى لهذه القوى الامبريالية الصغرى فيما بينها وبين المركز الرئيسى فى مواجهة حركة التحرر الوطنى وقد صاغ وزير المالية الإسرائيلى بنفسه هذه العلاقة بقوله أن إسرائيل ستقوم كمحطة مناسبة لمنتجات جنوب افريقيا تستوردها ثم تعيد تصديرها لأمريكا والسوق الأوروبية متجنبة الضرائب والمقاطعة السياسية للبلدين . ثم يعلق أستاذ إسرائيلى على ذلك بأن البلدين سيقومان بدور الحصن للعالم الحر خارج مناطقها المباشرة ومناطق اهتماماتهما الاستراتيجية (الشرق الأوسط والجنوب الافريقى) ليصبحا جزءا من شبكة عالمية تقودها الولايات المتحدة ، وإن ذلك يصبح أقوى من قبل فى ظل الإدارة الأمريكية الجديدة[٢٢] .

٢ - إن إسرائيل وجنوب افريقيا لم يصبحا فقط من أكبر مصدرى السلاح بحيث أصبحت قائمة مستوردى السلاح الإسرائيلى تضم ٩ دول فى أمريكا اللاتينية و ١٠ فى افريقيا وآسيا وبأكثر من مليار دولار سنويا[٢٣] . بل أنهما يتبادلان تجارب مواجهة حركة التحرر فى الدول المجاورة لهما وعلى مستوى العالم الثالث ، ويضيفان معا الإطار النظرى لذلك . وقد سبقا معا الصياغة الأمريكية المعلنة عن « الإجماع الاستراتيجى » و « الأمن الجماعى » و « الذهاب إلى المصدر » أى ضرب مصدر الإقلاق الخارجى بتطبيق نظرية « الأرض لا الشعب » « والقرى النموذج » أو « روابط القرى » و « إثارة القلاقل » فى الدول المحيطة ، وإلى محاربة الشيوعية والسوفيت وليس الاستقرار الإقليمى ، وهو ما جرى تماما فى أنجولا وموزمبيق وناميبيا ولبنان حتى أصبحت مصادر جنوب أفريقية تتحدث بالنسبة لإثارة القلاقل والتدخل فى موزمبيق وأنجولا عن « تجربة اللبننه »[٢٤] . بل وتقوم الدولتان بنقل تجاربهما هذه تفصيلا إلى دول مثل جواتيمالا والسلفادور بل وتتحدث بعض المصادر عن نقلها إلى أيرلندا وسيريلانكا .

(د) على الرغم من الخطة الاستراتيجية لتوسيع ساحة العمل الإسرائيلى نوعيا وجغرافيا إلا أنها لم تغفل التركيز على عناصرها القديمة الأساسية فى حوض النيل والبحر الأحمر لتأمين « الأقليم » أولا لكن وفقا للمعطيات الجديدة . وفى هذا الصدد فليس صدفة أن سارعت بالنفاذ إلى زائير مع تدهور موقف الحكم فى شابا وبناء قواته المسلحة لمواجهة الاضطرابات أو مساعدته على التدخل فى انجولا والقيام بدوره فى تشاد بالتفويض بالإضافة إلى وعده بالمساعدة المالية عن طريق اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة مما جعله يوقع الاتفاق العسكرى الشامل معها أوائل ١٩٨٢ ، كما نفذت إلى كينيا تبيع السلاح وتؤثر على اتجاهات الحكم فيما عرف بمسألة نجونجو النائب العام الكينى بل ويردد أكثر من مصدر إسرائيلى وغربى أنباء عن بيع إسرائيل السلاح لأثيوبيا باعتبار مركزها كأحد مصادر مياه النيل ودولة من دول البحر الأحمر ، وهو نفس الاعتبار الذى جعل شارون يمر بالسودان خلال جولته الأولى بأفريقيا فى نوفمبر ١٩٨١ استفادو من تأييد نميرى لاتفاق كامب ديفيد والذى انتهى بمساهمة نظام نميرى فى نقل مهاجرين جدد من الكادحين (الفلاشا)

---

(٢٣) T: Seghf New details on arms exporting in Lutert Rachett Jerusalem 4/4/1984

(٢٤) V. Pieterse : Ibid and S. Jenkins - Destabbsation In Southern Africa Economist, 12/7/83

إلى إسرائيل كقوة عمل رخيصة

(هـ) وفى إطار التركيز الإسرائيلى على نماذج التنمية الرأسمالية فى افريقيا والمواقع الاقتصادية الكبرى والتى تجد فيها عون الرأسمال العالمى فى نفس الوقت فإن قائمة العلاقة النامية مع ساحل العاج ونيجيريا لا تقتصر على أعلى أرقام التبادل التجارى والمشروعات الاقتصادية وبعثات الخبراء وإنما امتدت منذ أواخر السبعينيات إلى دائرة العمل السياسى المباشر والمؤثر ، وقد ارتبطت محاولاتها الأولى لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الافريقية بالاتصال الوثيق مع الرئيس هوف بوانيه منذ مقابلات جنيف الشهيرة فى فبراير ١٩٧٧ ثم كان وقوفها إلى جانب الرئيس أولوو (نيجيريا) فى المعركة الانتخابية وقدم فى نفس الفترة طلبا لحكومة شاجارى بإعادة العلاقات الدبلوماسية بين نيجيريا وإسرائيل . وهى تتوقع فى هذا الصدد تأييد ساحل العاج فى مجموعة الفرنكفونية وتأثير نيجيريا داخل منظمة الوحدة الافريقية .

٣ - تأطير العلاقات مع المركز الإمبريالى :

أتاح هذا الحجم من التطورات للدور الإسرائيلى أن تطالب حلفاءها فى المركز بتأطير علاقاتهم معها بما لا يقبل التراجع وذلك عن طريق الاتفاقات والمواثيق الرسمية ، وقد رأينا كيف تم ذلك على الجانب الاقتصادى فى ظل اتفاقات السوق الأوروبية ومنظمة التجارة الحرة مع الولايات المتحدة والتى وصلت إلى دراسة مشروع « الدولرة » لسوق العملة الإسرائيلية ، كما رأينا عمليا التكامل العسكرى فى سياسة التدخلات وبيع السلاح . وقد شهدت أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات عدة تطورات حول تأطير كل ذلك نجملها فيما يلى :

(أ) ما تضمنته « الوثيقة الأفريقية » للحزب الإشتراكى الفرنسى باسم الحزب وافريقيا جنوب الصحراء عام ١٩٨٠[٢٥] مشيرة إلى التدخل الشيوعى فى افريقيا وخاصته السوفياتى ومثال كوبا وضرورة عدم التدخل المباشر فى القارة . وهو الأمر الذى أدى إلى دعم نموذج جنوب أفريقيا وإسرائيل فى التدخل نيابة عن القوى الكبرى كما جعل موضوع إعادة العلاقات بين دول الفرنكفون وإسرائيل مطروحا فى دوائر مؤتمرات الفرنكفون الدورية أكثر من مرة ومن ثم أصبحت إسرائيل تنتظر خطة العودة لافريقيا عبر فرنسا على نحو ما حدثت « القطيعة » الجماعية عام ١٩٧٣/٧٢ مع أفريقيا .

(ب) كانت اتفاقيات كامب ديفيد ١٩٧٩ منفذا هاما آخر لقناعات جماعية فى أفريقيا بانتهاء المشكلة مع إحدى دول افريقيا الكبرى (مصر) وعلى موائد المفاوض الأمريكى فى نفس الوقت ، مما يعطى إسرائيل أمانا أكبر فى تعاملاتها بالقارة الافريقية ويثبت للجميع مدى قوتها فى المنطقة وقدرتها على فرض السلام ونشر ادعاء « التنمية بدل الحرب » والتخلص من المقاومة السياسية والمعنوية والمقاطعة الدولية والعمل فى إطار جديد لمحاصرة « الراديكالية والشيوعية » فى المنطقة وتحجيم حركة التحرير الفلسطينية ، وكانت تلك هى المكاسب التى درسها النظام العنصرى فى

(٢٥) Le Parti Socialist et l'Afrique Sud Saharienne P. 35

جنوب افريقيا فى محاولة للوصول إلى اتفاقات مشابهة مع دول الجنوب الافريقى .

(جـ) بعد استقرار الموقف الفرنسى والأمريكى على هذا النحو تطابقت تصريحات العسكرية الأمريكية والإسرائيلية لتضع بعد ذلك أسس الاتفاق الذى عرف رسميا باسم « مذكرة التفاهم الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل » فى ١٩٨١/١١/٣٠ . فقد دارت تصريحات الكسندر هيج واريل شارون فيما بين سبتمبر وديسمبر ١٩٨١ حول « الإلتزامات الأمنية » المشتركة و « مواجهة الخطر الشيوعى ، والكوبى والليبى » و « امتداد دائرة الأمن من باكستان حتى الشمال والجنوب الأفريقى » أو خبرة إسرائيل بما لا تعرفه أو تستطيعه الولايات المتحدة ، بما جعل مذكرة التفاهم الاستراتيجى معبرة تماما عن هذا التوافق[٢٦] بنصها على التعاون فى مجال التجارة الأمنية وتمويل أمريكا لمبيعات الأسلحة الدفاعية والخدمات الإسرائيلية . ويرى « ايزنشتات » مستشار الرئيس السابق كارتر تعليقا على هذه « المذكرة » أنه لأول مرة تعلق أمريكا إقرارها « بالأمن المتبادل » القائم بين الدولتين وتوافق على التعاون لوقف تهديد الأمن والسلام الذى يسببه السوفيت أو القوى الخاضعة لهم وتعترف المذكرة — فى رأيه — أن أمريكا تعتبر إسرائيل جزءا من استراتيجيتها الشاملة لوقف النفوذ السوفيتى[٢٧] .

وبعد الدراسة التى قدمها سمحا دنينس سفير إسرائيل السابق فى واشنطن بين ٧٣/٧٨ عن « إسرائيل كثروة استراتيجية للولايات المتحدة »[٢٨] من أهم ما يعبر عن طبيعة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية فى هذا المجال . إذ تدرس مدى التلاقى فى المقاربات الأيديولوجية والاستراتيجية والفرق بين نظرة الديمقراطيين والجمهوريين فى رؤية الصراع الدولى ليصل إلى « أن التوتر بين الشرق والغرب عند ريجان والصراع مع السوفيات عاملى وظيفى فى صراع الشرق الأوسط وأن الدولة عنده لا يحكم عليها بطبيعة نظامها وإنما بأهميتها الاستراتيجية ووقوفها كحاجز أمام التوسع السوفياتى .. وإن كل تقارب بين إسرائيل وأمريكا ليعزز عنصر الردع للخصوم كبارا وصغارا ، وأن التعاون الاستراتيجى يترجم لتعاون تكتيكى بالتنسيق بين سلاحى الجو وإنشاء مخازن طوارىء للعتاد ومناورات مشتركة فى البحر والجو » .

ورغم هذا التطابق الذى يصيغه صناع القرار الإسرائيليين والأمريكيين إلا أن ذلك لم يمنع مسئولا اقتصاديا إسرائيليا من أن يصدر النداء التالى للولايات المتحدة لتحديد المصالح المتبادلة . يصرح جاكوب ميريدور J. Meridor فى ١٩٨٢/٨/٢٥ « إننا لا نقول لأمريكا لا تنافسينا فى تايوان ولا جنوب افريقيا ولا الكاريبى أو أى مكان تستطيعون فيه بيع السلاح . دعونا نفعل نحن ذلك . إنكم تستطيعون بيع السلاح والذخيرة عبر وسيط وإسرائيل هى الوسيط » .

---

(٢٦) حلمى الشعراوى : مرجع سابق - ص ٢٥٩ - ٣٢٣

(٢٧) S. Eizenstat, Anatomy of A Special relation in : The American Zionist - N.Y July - August 1984

(٢٨) سمحا دينتس : إسرائيل كثروة استراتيجية للولايات المتحدة فى : معراخوت عدد ٢٩١ يناير ١٩٨٤ — ترجمة عربية فى المنصف عدد مجلد — مايو ١٩٨٤

خاتمــة :

لا أدرى ما إذا كان ما تقدم عرضه من نقاط كاف لإثبات بعض المفاهيم التى وردت فى مقدمة الورقة عن خصائص الإمبريالية الصغرى كمركز جديد بين الأطراف ينمو عضويا فى حضن المركز الأم وفق اعتبارات متنوعة وينطلق إلى نفس أطراف هذا المركز ولو بخصائصه الذاتية واعتبارا لها بالطبع ، أم أن النموذج الإسرائيلى وسلوكه المتحقق على الساحة الأفريقية وساحة العالم الثالث عامة يحتاج لمزيد من الدراسات حتى تتوصل إلى استنتاجات مستقبلية مضبوطة ؟ وفى الحالتين فإننى لابد أن أعترف أن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسة أيضا للبيئة الإقليمية التى تتحرك فيها مثل هذه النظم الإمبريالية الصغرى سواء كانت إسرائيل أو جنوب افريقيا أو غيرها ، فهى بلا شك لا تتحرك فى فراغ أو على ساحة خاوية من عناصر التناقض مع حركة المركز - الطرف الجديدة .

ولقد يبدو التساؤل عن التكوينات الاجتماعية فى المركز الإمبريالى الأصغر ودورها فى دفع هذه العلاقة العضوية مع المركز الرئيسى موضع مناقشة ضرورية وقد أوضحنا بدرجة ما طبيعة التطور الرأسمالى والمركب الصناعى العسكرى فى إسرائيل والظروف التى غذتها بالقوة رغم « نموها المشوه » أصلا إلى جانب الطبيعة الخاصة بعلاقة إسرائيل بالحركة الصهيونية واللوبى الصهيونى كمركز تمويل عالمى ذو ديناميات خاصة بدوره بالنسبة لإسرائيل ومكوناتها الاجتماعية مما قد يجيب على هذه النقطة . إنها تلك الطبيعة التى جعلت كيرنان يصف إسرائيل فى كتابه عن « الإمبريالية الجديدة » بأنها « كعب أخيل » الذى يتفجر بالحركة ويعرض على الولايات المتحدة التزامات هى أغلى التزام من حليف تجاه حليفه بينما مصلحة أمريكا - فى رأيه - مع العرب ولا مصلحة لدافع الضرائب الأمريكى (أ) فى تعويض أخطاء (ب) على حساب (ج) أى العرب[٢٩] .

ويبقى السؤال عن طبيعة التكوينات الاجتماعية المحيطة بإسرائيل أو بجنوب افريقيا من جهة وطبيعة مواقف حركة التحرر الوطنى العربية وفى مقدمتها الفلسطينية ثم الافريقية من جهة أخرى .

وليس جديدا القول بأن البرجوازية العربية لم يتحقق لها التطور لتصبح هى تلك البرجوازية الوطنية ذات الطموح المنافس للمطامع الإمبريالية وبالتالى الإمبريالية الصغرى بل ولم تتحقق تلك العلاقة « المفصلية » مع القوى الرأسمالية العالمية التى تجعلها تقدر أيضا خريطة المصالح الإقليمية بما كان يمكن أن « يضعف الدور الإسرائيلى » أو « يُحيِّد » الالتزام الإمبريالى بتطويرها ، وإنما تطورت البرجوازية العربية لتصل إلى تلك الحالة الكمبرادورية بل الطفيلية التى تسلبها القدرة على التوجه لأى دور إقليمى إيجابى . وأصبحت التكوينات الاجتماعية العربية أسيرة « نظم الدول » التى إن تنامت كتشكيل اجتماعى عبر أموال البترول لتصبح بدورها نوعا من الإمبريالية الصغرى دون أية امكانيات أيديولوجية أو مادية ذاتية على نحو ما تحقق لإسرائيل ، وليصبح المال الدولارى العربى فى النهاية شبه أداة فى يد إدارة المال الصهيونية أو فى مواقع ثقلها على الساحة الأمريكية على نحو ما تثبت دراسات د . فؤاد مرسى .

---

(٢٩) V.G. Kiernan, America, New Imperialism Zed 1987 P. 239, 241

لم يفلح مشروع البرجوازية الصغيرة أيضا فى صورة الدولة الوطنية ، حيث إنتهت البرجوازية الصغيرة بدورها إلى بحر البترودولار فأسقطت نظمها وسقطت بدورها ، حين لم تستطع أن تقيم أية علاقة مفصلية أو عضوية فيما بين أطراف حركة التحرر الوطنى العالمية أو بين حلف استراتيجى كالمعسكر الاشتراكى .

من هنا باتت الحلول السلمية المطروحة كلها بين العرب وإسرائيل أو بين الأفريقيين وجنوب أفريقيا مهددة بحدوث استقرار نهائى لنظم الإمبريالية الصغرى لاحتواء أسواق المنطقة المحيطة من جهة والانطلاق فى المهام الإمبريالية الأوسع من جهة أخرى ، بينما كان الرائج – لدى الساداتى مثلا – أنه يمكن « تطبيع » النظام الإسرائيلى بإقامة علاقات طبيعية معه وخفض التوتر من حوله . ولعل سلوك إسرائيل منذ توقيع كامب ديفيد تجاه الفلسطينيين ولبنان ، وسلوك جنوب افريقيا تجاه ناميبيا وأنجولا لا يدع مجالا للشك فى عدم صحة مثل هذا الاعتقاد .

إن تحجيم حركة التحرر الوطنى الفلسطينية أو الجنوب أفريقية فى أطر خطط السلام المطروحة – حيث لا أرى أنها استقرت بعد « كحلول سلامية » مهما وقع من اتفاقيات حتى الآن فى كامب ديفيد أو نكوماتى – لما يعتبر خطرا حقيقيا على عملية التحرر الوطنى فى مواجهة المخططات الإمبريالية .

ومع ذلك فإنه مع الاعتراف بأولوية دور حركات التحرير الوطنية فى التصدى لهذه المخططات فإن النظام الدولى والفرعى للإمبريالية لا يمكن مواجهته ألا بحركة « عالمية » أيضا للتحرر الوطنى ، وقد بدا لنا من مثال الدور الإسرائيلى كيف أنه يتجاوز مسألة أجهاض من تقرير المصير الفلسطينى ، والحركة القومية المحيطة به ، إن دور إسرائيل الجديد القديم كرأس جسر للإمبريالية عالميا يفترض جدليا قيام عدم إمكانية حركة التحرير الوطنى الفلسطينية وحدها فى حل المشكلة دون صياغة عربية وأفريقية شاملة ولو بمستويات مختلفة لهذه المواجهة .

وقد يكون استمرار الحقبة البترولية لبعض الوقت قد خلق ظروفا صعبة أمام الحلول الجذرية البديلة ، حيث تختلط « الكروت الطبقية » أمام أصحاب « المشروع الاجتماعى » ، وترتبك الفكريات الدينية والقومية أمام أصحاب « المشروع الحضارى » بينما يمضى « المشروع الاستيطانى » القديم إلى آفاقة الإمبريالية العالمية والإقليمية حتى القمة تاركا لنا فقط التفكير فى نوع « الأزمة » التى يمكن أن تصل به إلى الهاوية ، وهو أمر لا يتحقق تلقائيا إلا بعد إعادة ترتيب كل « البيوت » والأوضاع .

الفصــــل الثامــــن

حوار افريقى حول إسرائيل

« وثائق وكتابات نيجيرية »

مازالت الثقافة السياسية العربية تتعامل إلىّ حد كبير مع الكيان الصهيونى فى فلسطين كهم « عربى » فقط ليصبح موقف « الآخرين » بالنسبة له هو موقف « التعاطف » أو « الهجوم » ، مع العرب أو إسرائيل ، وليس « مشاركة » فى وضع أصبح جزءا عضويا من الظاهرة الامبريالية العالمية لذلك مازلنا نتناول « بالدهشة » موقفا جذريا لكاتب هنا أو هنالك ضد إسرائيل أو معها ، أو نتعامل بخفة مع حركات خاصة فى العالم الثالث تتضمن بنيتها الفكرية تعبيرا أساسيا ضد إسرائيل وأحيانا معها . لتظل معالجتنا العلمية والإعلامية على المستوى العرفى هى ملاحقة « النشاط الإسرائيلى » فى أفريقيا أو أمريكا اللاتينية الخ . أو « المواجهة العربية » لإسرائيل فى هذه الساحات .

عمقت إسرائيل — فى المقابل — تعاملها فى هذا الصدد منذ وقت مبكر منذ روجت تسمية حركة عودة الرقيق لأفريقيا « بالصهيونية السوداء » وحتى ترويج النموذج « الإسرائيلى فى التنمية ... الخ » ، وما لم تستغل الجاليات اليهودية مباشرة فى أفريقيا أو أمريكا اللاتينية ، فإنها تغلغلت فى الحدث الافريقى فجعلت نفسها طرفا فى عدد من التطورات داخل الدول الافريقية وفرضت نفسها على الحوار الداخلى إيجابا أو سلبا كمرحلة فى خطة حضورها الكامل ، وليس بعيدا مثال نيجيريا وكينيا وزائير وأخيرا أثيوبيا ... .

ولم تكن إسرائيل دائما هى المنتصرة ، فثمة مواثيق افريقية على المستوى الوطنى أو القارى تدينها من جذورها ، فى أنجولا وموزمبيق وغينيا وبنين ... الخ ومنظمة الوحدة نفسها على سبيل المثال ، وثمة سياسيون وكتاب وعلماء أفارقة يأخذون التصدى لها — افريقيًا — مأخذ الجد والمسئولية ، لكننا نحن الذين مازلنا — إلى حد كبير — نعالجها عن طريق الكتابات التقليدية لنعرض « النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا » ، وهو ما بات ضروريا أن نتجاوزه ، وإلى القارىء مساهمة متواضعة فى هذا المجال ونيجيريا ، ساحة هذا الحوار — المثال — لا يستهان بها ، فى حجمها الاقتصادى والسياسى ، بل وحجم الحركة الفكرية والثقافية « بها ٢٤ جامعة » وتتصارع فيها تيارات من الفكر الإقطاعى ، إلى أقصى اليسار الثورى ، مرورا بليبرالية غربية لزعامات المرحلة الوطنية الذين مازال بعضهم أحياء « أولوو » .

وأوراق الحوار التى نعرض لها هنا هى أوراق دالة من أكثر من موقع مع إسرائيل وضدها — فى الحياة السياسية والثقافية بنيجيريا وفى وقت عاد موضوع إسرائيل فى أفريقيا يطرح نفسه مرة أخرى أوائل الثمانينيات بعد « بهجة » جو المقاطعة أوائل السبعينيات ، والهدف هو تقديم موضوع

إسرائيل كهم افريقى سلبا أو إيجابا . وتتضمن أوراقنا ما يلى :

١ - الوثيقة المقدمة من مائة وست نواب بالبرلمان الفيدرالى النيجيرى فى مايو ١٩٨٢ تحت عنوان « نداء لنيجيريا والدول الأفريقية الأخرى لإعادة العلاقات الدبلوماسية الطبيعية مع إسرائيل » .

٢ - وثيقة مضادة من عدد آخر من النواب فى يونيو ١٩٨٢ تحت عنوان « لماذا يجب ألا تعيد نيجيريا علاقاتها بإسرائيل » .

٣ - مقال للدكتور يوسف بان عثمان أستاذ التاريخ بجامعة أحمد بللو ومستشار حاكم ولاية كانو فترة الحكم المدنى ضمن كتابه « من أجل تحرير نيجيريا » (١٩٧٩) وتحت عنوان « تحليل الاتجاهات نحو حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط » .

٤ - بحث للدكتور إبراهيم حامبارى وزير خارجية نيجيريا فى الحكومة العسكرية الحالية (١٩٨٥/٨٤) كتبه وقت أن كان رئيسا لقسم العلوم السياسية بجامعة أحمد بللو - زاريا ١٩٨٠ بعنوان « إسرائيل والعرب » ضمنه كتابه عن « السياسات الحزبية والسياسة الخارجية فى الجمهورية النيجيرية الأولى » الصادر عام ١٩٨٠ وطور أفكاره عن إسرائيل فى بحث بعنوان إسرائيل وجنوب أفريقيا تضامن الدول العنصرية التوسعية قدمه لندوة عن الجنوب الأفريقى فى الثمانينات بجامعة أيفى نيجيريا عام ١٩٨٠ .

أولا : مبررات العلاقة مع إسرائيل فى الوثيقة الأولى :

كانت حملة إسرائيل على أشدها أواخر عام ١٩٨١ وأوائل ١٩٨٢ لدفع عدد من الدول الأفريقية لإعادة العلاقات الدبلوماسية معها . تلك الفترة التى شهدت جولة شارون فى عدد من الدول الأفريقية بل ومر خلالها بالسودان وعلى قمتها افتتحت زائير إعادة العلاقات مع إسرائيل فى مايو ١٩٨٢ . وشجعت إسرائيل أصدقاءها هنا وهنالك للمطالبة على المستوى الأفريقى بإعادة النظر فى الموقف الافريقى خاصة بعد توقيع مصر أكبر الدول الأفريقية لاتفاقية كامب ديفيد . وكان الوجود الإسرائيلى الاقتصادى والعسكرى والفنى قد بلغ حدا عاليا وخاصة فى « الدول الرأسمالية » الأفريقية وفى مقدمتها نيجيريا .

كما كان نفاذ إسرائيل شاملا ، لا للأجهزة التقليدية وحدها ولكن للمؤسسات الدستورية والتنظيمات السياسية . وفى نيجيريا صوت أحد برلمانات الولايات الجنوبية بالإجماع تقريبا أوائل ١٩٨٢ على مطالبة الحكومة بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وقاد حزب وحدة نيجيريا بقيادة « أولوو » (غرب نيجيريا) الحملة على أسس سياسية وتعاون نواب شرق البلاد مع زملائهم من اليوروبا غربا لدفع هذه الحملة .

وكانت لوثيقة التى بين أيدينا نموذجا للدعاوى التى دارت حولها الحملة ، قدمت للبرلمان الفيدرالى باسم النائب إى. س. إيبو E. C. Ebo نيابة عن ١٠٦ نواب حاملة المبررات الاقتصادية

والسياسية والدينية والإعلامية والنفسية لطلب إعادة « العلاقات الطبيعية » مع إسرائيل .

أعدت الوثيقة فى ٢٤ صفحة لتعتبر بيانا للتاريخ ، أو أساسا تثقيفيا لأنصار الفكرة حتى إذا لم تحقق هدفها المنشود مباشرة اعتبرت أساسا للحملة المستمرة فى المستقبل . وهى تنقسم إلى اثنتا عشرة فقرة نوجزها فيما يلى مراعين منطوقها العرفى قدر الإمكان فى هذا الموجز :

١ — التنمية الاقتصادية : ومدخل الفقرة فى المقدمة : « سنكون أفضل بالتعامل مع إسرائيل » مثلما يستدعى تخفيض الواردات توفير بضائع مماثلة وألا تعرض الشعب للمعاناة ، وعلى نحو ما أمر رئيس الدولة بالحد من هذه الواردات فإن عليه أن يستدعى الدول التى تملك الخبرة لإنقاذنا واستعمال موادنا الخام لأغراض التصنيع .

والدولة الوحيدة فى العالم المستعدة لنقل معارفها وترجمتها وتلقين أسرار تكنولوجيتها للدول النامية دون روابط رأسمالية ليست إلا إسرائيل ، فمن مصلحة نيجيريا إذن — بل ومصالح افريقيا السوداء — أن تعيد علاقاتها الدبلوماسية والتجارية والثقافية مع إسرائيل وبذلك يمكننا أن نحكم قبضتنا على القوى الاقتصادية ونسارع بتلبية احتياجات الشعب .

٢ — مقولة وحدة الأراضى واحتلال مصر : قطعت نيجيريا علاقاتها بإسرائيل وقادت الدول الأفريقية فى هذا الاتجاه بسبب مقولة احتلال إسرائيل الأراضى الأفريقية ، وباعتبار مصر عضو منظمة الوحدة الأفريقية وطبقا لقرارات الأمم المتحدة . والآن لم تعد أراضى مصر تحت الاحتلال ، فقد تكفلت بها معاهدة السلام الإسرائيلية المصرية فى مارس ١٩٧٩ وهى تنفذ بتقدم . وبذلك لم تعد الظروف التى دعت الدول الأفريقية مجمعة أو منفردة لاتخاذ إجراءات ضد إسرائيل قائمة . ومنذ ١٩٧٩ فإن أية سياسة عدوانية أو عازلة ضد إسرائيل لن تضر بمصالحنا الوطنية فقط بل إنها تتعارض مع أهدافنا السياسية .

وبقراءة نص البيان النيجيرى التى قطعت به نيجيريا علاقاتها بإسرائيل فى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ فكما يقول أصحاب الوثيقة أنه قام أساسا على التضامن مع مصر ومطالبة إسرائيل بالانسحاب من الأراضى المصرية وباعتبار مصر دولة أفريقية شقيقة وكذلك اعتبارا للتحركات الشرعية لتحقيق سلام دائم عادل فى الشرق الأوسط بما فيها الحقوق الشرعية لمصر وجميع الدول العربية . ومن ثم قطعت نيجيريا علاقاتها بإسرائيل عام ١٩٧٣ تضامنا مع مصر ، ومصر الآن تحررت .

٣ — مقولات السياسة الخارجية : نيجيريا من دول عدم الانحياز ، والدول العربية وإسرائيل فى حالة حرب ، ومن هنا يصبح قطع العلاقة مع طرف واحد من المتحاربين والتقارب مع آخر ضربا من الانحياز فى نزاع لا يخصنا .

إن الفقرة ١٩ من دستور نيجيريا لعام ١٩٧٩ تحدد أهداف السياسة الخارجية لنيجيريا بأنها لدعم الوحدة الافريقية وتحرير القارة والتعاون دوليا لدعم السلام العالمى والعلاقات الودية بين الشعوب ومقاومة مظاهر التفرقة العنصرية ، وبتطبيق ذلك على حالة إسرائيل — يجد أصحاب

المذكرة - أن العرب يريدون حل المشكلة الإسرائيلية بالتصفية الكاملة لإسرائيل كدولة ، إنهم يرونها « فرضا امبرياليا » بينما إسرائيل دولة مستقلة منذ ١٩٤٨ فهل تؤيد نيجيريا العرب فى أن إسرائيل يجب ألا توجد ؟ .

إن الدولة الافريقية الوحيدة المعنية فى الصراع هى مصر ، وقد اعترفت بإسرائيل وتفاوضت على الحدود الآمنة واستعادت أراضيها ، بينما الدول العربية الأخرى فى آسيا تريد الحرب وترفض التفاوض حول الحدود الآمنة والاعتراف بوجود إسرائيل ، فهل تريد نيجيريا تشجيعهم على الحرب بدلا من حضور مؤتمر للسلام مع إسرائيل ؟ إن ذلك مخالف للدستور ، كما أن استمرار عزل إسرائيل لا يخدم السلام العامى .

وقد كانت إسرائيل ضحية التمييز العنصرى حيث أعدم الألمان ستة ملايين يهودى خلال الحرب العالمية الثانية . وقد ذكر مستر بيجين فى خطبته أثناء توقيع معاهدة السلام ١٩٧٩ أنه نشأ فى بيت دون أب أو أم لأنهم كانوا ضمن الملايين الستة من الرجال والنساء والأطفال الذين راحوا ضحية ، فهل تؤيد نيجيريا التفرقة العنصرية ضد اليهود . وهنا تذكر المذكرة ما رددته جولدا مائير أمام الرئيس النيجيرى فى لاجوس ١٩٦٤ حول « ما عاناه اليهود من أيديولوجية التفرقة العنصرية والتعصب العنصرى واللونى والدينى بينما وجدنا التفاهم الطبيعى من الدول الأفريقية الحرة » .

وإذا كانت نيجيريا تتمسك بوحدة أراضى إسرائيل وسيادتها كدولة مستقلة فإن موقفنا سيختلف عن الدول العربية التى ترى فى إسرائيل « لعنة » ، وإذا كنا نحرص على العلاقات الودية بين الأمم « وفقا للدستور » فإنه علينا تجديد العلاقات الودية مع إسرائيل .

وكيف ستحرر أفريقيا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ما لم نصادق الدول التى يمكن أن نتعلم منها والتى يمكن أن تساعد فى تحقيق أهدافنا ، هل يتم ذلك بقطع العلاقات معها ؟ أم بإعادة العلاقات الودية مع دولة مثل إسرائيل ؟ .

إن مصالح افريقيا السوداء ليست هى نفس مصالح الدول العربية ، فمن الناحية الفلسفية فإن « الأفريقانية » تختلف عن « العروبة » ويجب أن نعلم أين يتفقان وأين يختلفان ، إذا لم تكن منظمة الوحدة الافريقية تريد أن تضحى بمصالح افريقيا السوداء لخدمة مصالح العرب ، ففى حالة الصراع تبقى مصالحنا الوطنية هى العليا .

لقد عانى الإسرائيليون مثلما عنى الافريقيون ، فمثلما عانى الافريقيون العبودية وتجارة الرقيق والاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد والتمييز العنصرى ، والسيطرة الاقتصادية والتآمر الدولى ، فإنهم يجب ألا يعزلوا إسرائيل التى كانت ضحية نفس القوى [illegible] توا من التصفية الجماعية فى أوربا خلال الحرب الثانية .

لقد عمل تفاوا باليو « الشمالى المسلم » على تقوية علاقات [illegible] إسرائيل وعندما جاءت جولدا مائير لنيجيريا ١٩٦٤ ، وحمل العرب لافتات ضد إسرائيل [illegible] الحاج جبوا

سلفادور « يذكر المسلمون النيجيريون كعرب ! » حذرت الحكومة النيجيرية الدبلوماسيين العرب من التدخل ، وذكّر الرئيس أزيكوى بمبادىء التعايش السلمى وحسن الجوار ، بينما أكدت مائير على التاريخ المشترك للشعبين ، تاريخ من الاضطهاد والتمييز والمعاناة .

هذه الجهود لإقامة علاقة ودية مع إسرائيل ضرب بها عرض الحائط فى ١٩٧٣ ، بحجة إقامة صداقة جديدة ، وقوة للعرب والنايرا « العملة النيجيرية » وزواج البترول ، وكله ابتزاز ابتلعته نيجيريا نتيجة الجهل البرىء ودون مقاومة ، والآن تتحمل نتائجه ، وحيث أننا أحرار فيجب أن نعيد العلاقة مع إسرائيل .

٤ - ليست كل افريقيا راغبة فى مقاطعة إسرائيل : تنقل الوثيقة هنا تصريحات لسنغور وجوموكينياتا - كقادة أفريقيين عن عدم جدوى قطع العلاقات مع إسرائيل لإيقاف الحرب وتفضيل اللقاء حول مائدة المفاوضات .

كما تنقل عن أحد الكتاب الأوربيين نصوصا تعتبر قطع العلاقات مقدمات للحرب وإظهار للعدوانية ، وحيث لا يتفق ذلك مع المصالح الوطنية لنيجيريا فإن قطع علاقتها بإسرائيل يعتبر جريا وراء العاطفة وليس العقل ، « وقد آن الأوان لتغيير هذا الموقف » .

٥ - المبررات الدينية : « إسرائيل تمثل للمسيحيين ما تمثله العربية السعودية للمسلمين » وحتى يفهم جيراننا المسلمون شعور المسيحيين دعنا نصور لهم شعور المسلمين إذا قطعت نيجيريا العلاقة مع السعودية تعاطفا مع دولة تحاربت مع هذه الأخيرة وأثر ذلك على حج المسلمين لمكة لعدم ضمان أمانهم فى السعودية ، فهل ترفض أية حكومة نيجيرية تطبيع العلاقات مع السعودية بإصرار مانعة الحجاج من أداء شعائرهم الدينية ؟ والعدل الاجتماعى يقتضى أن نفعل للآخرين ما نفعله لأنفسنا ، فقد حرم قطع العلاقة مع إسرائيل المسيحيين من الحج وزيارة الأماكن المقدسة وأداء الشعائر الدينية ، ويخالف ذلك المادة ٣٥ من دستور البلاد الذى يوافق عليه المسلمون والمسيحيون . وقد أضر القرار السياسى لنيجيريا بالمواطنين النيجيريين حين حرمهم من وجود مسئول نيجيرى فى إسرائيل يرعاهم وجعل مواطنينا غير آمنين بل و« موضع شك » فى إسرائيل . إن ذلك يجعل ثمة خرق للدستور بالتفرقة فى رعاية أبناء دين دون آخر أو التمييز على أساس الدين بين المواطنين بما يمنعه القانون ، فبينما يتمتع المسلمون بميزة الحج ووجود مكتب حكومى لرعاية حجيجهم لا يملك المسيحيون هذه التسهيلات . ولذا نطالب برفع أى حظر على الحج إلى إسرائيل ومد كل تسهيلات للمسلمين فى الحج إلى السعودية إلى المسيحيين أيضا ، بتطبيع العلاقات مع إسرائيل .

٦ - حول تعاون إسرائيل مع جنوب أفريقيا كسبب لقطع العلاقات معها : اتهمت بعض الشخصيات النيجيرية إسرائيل بالتعاون مع جنوب افريقيا ، النظام العنصرى ولذا يرون عدم إعادة العلاقة مع إسرائيل لهذا السبب . والحقيقة أن اليهود كانوا ضحية التمييز العنصرى أكثر من أى جنس فى العالم ومن الصعب أن تساند إسرائيل العنصرية . إن قطع الدول الأفريقية لعلاقاتها بإسرائيل ١٩٧٣ تعاطفا مع العرب جعلها أمام خيار وحيد من أجل أمنها وصيانتها وهو الاستجابة لدعوة

الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا وأعضاء الناتو الآخرين لتلحق بالنادى الذى يضم جنوب افريقيا . كيف كان يمكن أن تعزل إسرائيل نفسها عن الدول الكبرى بينما تقاضمها الدول الأفريقية الصديقة بما فيها من تلقوا مساعداتها الفنية لمجرد مشاعر عاطفية وتركوها وحدها .

إن دول الناتو تتخذ من جنوب افريقيا قاعدة للتدريب وإجراء الاختبارات وتوجد فى افريقيا أكبر قاعدة للمراقبة الأمريكية فى العالم . كما أن لأمريكا حوالى ٤٠ بليون دولار من الاستثمارات فى جنوب افريقيا ، ويتدرب الباحثون من جنوب افريقيا فى معامل سانت لورنس بأمريكا .

ولم تقطع نيجيريا علاقتها بالولايات المتحدة أكبر مشترى للبترول النيجيرى . وكذلك لكل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا الغربية واليابان وهولندا علاقات وثيقة مع جنوب أفريقيا . ولم تقطع نيجيريا علاقاتها مع هذه البلاد ، فهلا واجهنا الحقائق التى لا نجهلها . وما الذى فعلته إسرائيل ، إنها تجرى تجاربها الذرية هناك ، إنها فقط معنية ببقائها وأمنها . وهى أكثر هذه الدول عداء للعنصرية ، ويقليل من الدبلوماسية يمكن إعادة إسرائيل إلى ساحة الصداقة مع الدول الافريقية .

٧ - عزل إسرائيل لعنة لافريقيا : إن عزل افريقيا لإسرائيل قد دعم وضع جنوب افريقيا وعزز مكانتها عند الولايات المتحدة وبريطانيا ودول الناتو الأخرى . لقد أضعف ذلك ثقة أمريكا بالدول التى تعادى إسرائيل ، وبصراحة فإن اليهود يحكمون خزائن العالم ومعارضة افريقيا لإسرائيل ينكر علينا دعما أساسيا من قبل رأس المال الأجنبى .

والمتحكمين فى رأس المال العالمى يجدون صعوبة فى الثقة بالدول الأفريقية التى لا تشجع مسيرتها على هذه الثقة . ويشكل اليهود وأصدقاؤهم السياسة الخارجية الأمريكية ، وكلهم ذوو مصلحة فى بقاء إسرائيل . إن إسرائيل تستطيع المعاونة فى كسب سياسة أمريكا تجاه افريقيا وتستطيع نيجيريا تجنب أى ضغط اقتصادى عربى بمعاونة إسرائيل ، كما يمكن أن تؤثر هذه الدول فى السياسة العنصرية لجنوب أفريقيا . إن الدول الغربية قد دفعت الدول الأفريقية غير المستقرة لموقوف مع العرب بينما وقفت هى مع جنوب افريقيا موضع ثقتها . ومن يعادى إسرائيل لا يتوقع حصوله على ثقة الدول الغربية .

٨ - معاناة نيجيريا من عزل إسرائيل إننا نحتاج إسرائيل أكثر مما تحتاجنا هى ، إننا لا نستطيع أن نرعى مواطنينا فى إسرائيل طلبة وتجارا ، ونحن لم نعد قادرين على جذب المساعدة الفنية الإسرائيلية ، من مهارات للتنمية أو التكنولوجيا العسكرية والاستراتيجية ، لقد عادينا إسرائيل رغما عن رغبة المواطن العادى الذى يفضل فى الواقع إسرائيل .

إن نيجيريا من دول عدم الانحياز ومع ذلك لم تعامل العرب مثل إسرائيل ، ولا يؤهلنا ذلك لأى دور كقوة من قوى السلام فى الشرق الأوسط تحت إشراف الأمم المتحدة .

٩ - إسرائيل تشكل إغراء لمعاونة الدول النامية : يقدم المستدروت مساعدات ملموسة للدول النامية وخاصة فى افريقيا . وقد وجه الدعوة لأمين عام الاتحاد العمالى النيجيرى لزيارة إسرائيل أوائل

السبعينيات « للتعاون ومواجهة الآثار الضارة للبعثات الروسية » . وقد صرح الحاج يونس كالتونجو سكرتير عام اتحاد عمال نيجيريا بعد وصوله لإسرائيل ، أن البعض لم يكن يشأ أن تتم هذه الزيارة ، وقالوا إن المسلمين غير مرغوب فيهم فى إسرائيل ولكنى وجدت المسلمين يعيشون جنبا إلى جنب مع اليهود وسنضع هذه الحقائق أمام الرأى العام النيجيرى وكان ذلك عام ١٩٧١ . والحاج كالتونجو اليوم (١٩٨٢) رئيس البرلمان النيجيرى ، وهو شاهد حى على أن إسرائيل كانت مستعدة لمعونتنا قبل نقع فريسة التأثير العربى عام ١٩٧٣ وهو النفوذ الذى كانت الجمهورية الأولى فى نيجيريا تقاومه .

١٠ — إذا أردنا المجد علينا أن نتطلع إلى الأحسن : إذا ارتبطنا بإسرائيل فسوف نتطلع لأسلوبهم فى الحياة ونحسن حياتنا ، لأن الإنسان يعرف بأصدقائه ، إننا سوف نتشرب منهم القومية الصحيحة والنظام الصحيح ، والعمل الشاق ، والوطنية المنطلقة ، والمشروع المنتج ، والاستعداد العسكرى ، إذن ثمة عدة مجالات للاستفادة منها :

• الاستعداد العسكرى فى نيجيريا : مازلنا نعتمد على استيراد المعدات الأجنبية ويتطلب ذلك رعاية لها لنكن مستعدين لمواجهة الأحداث الدولية . كما يتطلب توجها وطنيا للسكان وتوظيفا للتعليم . أما المعرفة الفنية والعلمية فإن إسرائيل قادرة على مدنا بالتدريب العلمى على ذلك . إن لدينا الموارد ونريد تنظيم الفاقد مستفيدين من خبرة إسرائيل .

• التصنيع : إننا نملك المواد الخام ولكن نحتاج لاستخدامها بالشكل وفى الموقع المناسب . إننا نحتاج إلى مبادىء اقتصادية لتجنب تكلفة الإنتاج العالية .

• الدبلوماسية : إننا أمة كبيرة ونحتاج لعنصر الاحترام الدولى وهو الدبلوماسية ، ولكننا انحزنا للعرب ضد مصالحنا الوطنية . لقد اتخذنا مع الدول الافريقية موقفا عام ١٩٧٣ كأننا « شرطة العالم » ولذا فنحن فى حاجة لدبلوماسيين مدربين ودبلوماسية أصيلة لا تقوم على الانفعال مثلما حدث مع العرب .

• الاستفادة من الأضرار : يجب أن نتزاوج مع إسرائيل كشعب استفاد من البلاء والأزمة الاقتصادية الحالية قد تدفعنا للاستفادة من سبب تدهورنا .

• القدرة النووية : إن العمل مع إسرائيل يمكن أن يطور مقدرتنا النووية فى أكثر من مجال خلال عقد من الزمان إذا حسنت السياسة ، ولدينا اليورانيوم والفوسفات ذوى القيمة الاستراتيجية .

• الزراعة : إننا نحتاج إسرائيل لإنجاح الثورة الخضراء فى نيجيريا وتجنب ما حدث لمشروع الغذاء الذاتى . ولدينا مثال التعاون مع إسرائيل فى شرق نيجيريا تحت رئاسة دكتور أوكبارا حيث جاء المشروع الزراعى بنتائج باهرة .

• المياه : يجب دعوة إسرائيل لمعاونتنا فى تطوير تكنولوجيا المياه . إن نظام المياه فى إسرائيل

أثبت نجاعته حتى فى الصحراء حيث عمرت الأرض بالفاكهة والخضر .

* المخنقات والتلوث : يجب ألا نفتقد خبرة إسرائيل فى هذا المجال ، إن دولا أخرى قد تساعدنا بالدعوى لشراء الآلات ولكن إسرائيل ستعاوننا على إنتاجها .

* استصلاح الأراضى : إننا يمكن أن نعانى من آثار النظام الإقطاعى كثيرا إذا لم نستدع الخبراء لتطوير استخدام الأراضى ووضع السياسات الزراعية .

* سياسة تخطيط المدن والقرى التعاونية : لابد من الاستفادة من خبرة إسرائيل فى الموشاف والكيبوتز وتخطيط المراكز الحضرية .

* التحديث : ضرورة يجب أن تكون إسرائيل معنا لتحقيقها ، إنها ضرورة للتخلص من الجهل ، وفقر الريف والبطالة واستخدام الطاقات الذاتية وتحقيق الرفاهية .

إننا نحتاج لتحسين شبكة الاتصال والإعلام والصحافة ، وقد تكون الولايات المتحدة أو اليابان ذات مقدرة فى هذا الصدد ولكنهما لا يقدمان لنا أسرارهما ولكن إسرائيل وحدها تستطيع أن تزودنا بنظام للاتصال وأساليب المشاركة الإعلامية . كذلك تستطيع أن تفعل فى تطوير نظام التعليم ليخرج منتجين لا طلاب وظائف فضلا عن خبرة التعليم الزراعى .

بل إن خبرة إعداد المواطن وديمقراطية السلطة وتكوين الكبرياء الوطنى تتوافر لإسرائيل نتيجة معاناتها ولا يقدمها لنا غيرها ممن يعتبرونها سر كبريائهم ، وفى مجال توسع المدن وتجنب تراكم الأحياء القذرة وإقامة قرى المزارع الجماعية « الموشاف » أو المدن الحضرية « الكيبوتز » تستطيع خبرة إسرائيل أن تجنب نيجيريا خبرات قاسية للفقراء .

وحتى تأكيد العلمانية التى ينص عليها الدستور ، فإن نقيضها مازال فى الواقع النيجيرى ويحتاج لخبرة إسرائيل التى تشبه نيجيريا فى أنها مجتمع متعدد الأديان ومع ذلك تنمو كل جماعة دينية دون أى قلق .

والتصنيع ومتطلباته من استخدام الإمكانيات بأقل التكاليف هو أحد أوجه التحديث التى تستطيع إسرائيل معاونة نيجيريا فى التقدم فيه بخبرتها فى الكهرباء والعمالة والأجور والتسويق .

والمذكرة تتساءل فى أكثر من موقع ، فى أى مجال لا تحتاج فيه نيجيريا إسرائيل ماديا ومعنويا ، لتؤكد أن كل اقتراب من إسرائيل فيه نعمة لنيجيريا ، « فكل الأسس للتقدم موجود بنيجيريا ولكن من يرشدنا بإخلاص ما لم ندعُ إسرائيل لذلك الآن » ؟! .

١١ — دعوى المطامع الإقليمية لإسرائيل يثبت بطلانها : « الدعاية عن مطامع إسرائيل الإقليمية زائفة فإسرائيل لم تبدأ حربا منذ ١٩٤٨ حتى الآن » .

ثم تستعرض المذكرة السيناريو الإسرائيلى المألوف : فتاريخ اليهود مفعم بالحروب، حتى قبل المسيح ، فمن قبله تم غزو الأشوريين « لأراضيهم » ثم هزم الرومان الأشوريين على أرض إسرائيل ،

ثم كان احتلال المسيحيين للأراضى المقدسة مما أدى لوقوع الحرب الصليبية بعد ذلك ، حتى اعاد المماليك والمغول والعثمانيون سيطرة المسلمين على هذه الأرض ، ثم كان وصول البريطانيين وصدور وعد بلفور لليهود المشتتين فى أوربا وآسيا بوطن قومى . ثم كانت مذابح النازى ضد ستة ملايين يهودى جعلت الحلفاء يشجعونهم بعد ذلك على الهجرة لإنقاذهم . ولكن العرب عارضوا ذلك بقسوة . وأعلن العرب الحرب على الدولة الناشئة معتبرين إياها « قاعدة امبريالية » . واستمرت الحرب ثمانى سنوات حتى ١٩٥٦ ولم يهزمها العرب ، وفى ١٩٦٧ هزمتهم إسرائيل واحتلت أراضيهم لا رغبة فى التوسع لكن لإجبارهم على التفاوض من أجل السلام والتعايش .

وفى ١٩٧٣ بدأ العرب الحرب ثانية فى « يوم كيبور » يوم صلاة اليهود وعانت إسرائيل فى البداية إلا أنها عادت وهزمتهم ولكن العرب استفادوا من تعاطف دول منظمة الوحدة الافريقية ودفعوها لقطع علاقتها بإسرائيل .

إن عظمة إسرائيل لا تقاس بمعيار ضخامة الأراضى ، فمعظم ولايات نيجيريا تفوق وحدها مساحة إسرائيل ، ولكن دفاع إسرائيل عن سيادتها ووحدتها جعلها تحارب لتتحرك وحدها مستقلة . ولو أنها ذات مطامع إقليمية لما وقعت اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩ وانسحبت من الأراضى التى كسبتها بالحرب . إن دولا قليلة فى العالم هى التى تعيد الأراضى بدون تعويض وإسرائيل لم تطلب ذلك من مصر حين وجدت مصر راغبة فى سلام حقيقى . إسرائيل لا تريد الأراضى ولكن السلام ... انيا . وتستطيع الدول الإفريقية أن تساعد فى تحقيق السلام إذا تجنبت الانحياز العاطفى إلى جانب واحد فى الصراع ، وإذا رغب العرب فى حل تفاوض وتعايش سلمى وحدود آمنة مثل مصر فسوف تقبل إسرائيل شروط هذا السلام .

أما بالنسبة للمسألة الفلسطينية فتعالجها المذكرة بنفس المنطق الإسرائيلى : فإن اشتراط أن تبدأ إسرائيل بتوطين الفلسطينيين قبل عقد مؤتمر دائرة مستديرة وحل المشكلة مع لبنان وسوريا والأردن وفلسطين وأطراف الصراع الأخرى يبدو كمن يضع العربة أمام الحصان . فإسرائيل فى موضع القوة كمنتصرة فى حرب لم تبدأها ، وعلى العرب أن يختاروا الحل السلمى دون شروط ، وعليهم ألا يقتطعوا الكلمات حول الاعتراف بإسرائيل واحترام سيادتها ووحدة أراضيها ، ليحصلوا على السلام ، إنها تريد حدودا آمنة مع جيرانها العدوانيين . إن من يتأمل موقع قطاع غزة سوف يقدر أن إسرائيل لن تكون آمنة دون اتفاقية سلام تضمن بها عدم مهاجمة مواطنيها من هذه المنطقة . وكما كانت الولايات المتحدة شاهدا على كامب ديفيد فإننا نأمل أن تفعل ذلك مع بقية الأطراف .

١٢ - الخلاصة والنداء : تخلص المذكرة إلى أن معاملة إسرائيل كصديقة لنيجيريا تقتضى موقفا غير منحاز من نيجيريا تجاه صراع العرب معها وتعيد التذكير بالاعتبارات الدستورية والدينية فى هذا الصدد ، مشيرة إلى أن معظم دول العالم تحتفظ بعلاقتها مع جنوب افريقيا نفسها ثم تعيد التذكير بالفوائد التى ترجع على نيجيريا من العلاقة مع إسرائيل فى كافة المجالات .

ثم تقدم المذكرة مشروع النداء إلى البرلمانيين النيجيريين مشيرة إلى انسحاب إسرائيل من

أراضى مصر الافريقية ودلالة ذلك على احترامها للاتفاقيات الدولية وأن مصر وإسرائيل قد أقامتا علاقاتهما الدبلوماسية وهما المتحاربان الرئيسيان وتبادل رؤساؤهما الزيارات مما يفقد الدول الافريقية مبررات قطعها للعلاقة مع إسرائيل . إن أى استمرار لعزل إسرائيل يعتبر انحياز فى الصراع ، كما أن تطبيع العلاقات مع إسرائيل يعود بالفائدة على أفريقيا لأهمية إسرائيل وأصدقائها الغربيين فى تحسين الظروف الافريقية بل والمساعدة فى تحرير القارة والتخلص من التفرقة العنصرية .

ثانيا : لماذا يجب ألا تعيد نيجيريا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل :

فى إطار المعركة البرلمانية فى نيجيريا خلال عام ١٩٨٢ حول إسرائيل صدرت المذكرة الأولى فى ١٩ مايو ، وفى أعقابها مباشرة صدرت مذكرة أخرى تتصدى لها أول يونيو ١٩٨٢ من قبل عدد « لم يعلن الرقم » من النواب النيجيريين أيضا بعنوان يحمل التحدى منذ مضعه كما نرى على رأس هذه الفقرة ، وفى ٢٣ صفحة أيضا مثل المذكرة الأولى ، وباسم أحد النواب وهو السيد سيد على .

وفى هذه المذكرة نفهم طبيعة منطق المواجهة فى نيجيريا وحدود ما يتوفر من فائدة لدى أصدقاء العرب هناك بل وطبيعة « الخطاب » الموجه نفسه ، كما تكشف فى جانب آخر منها طبيعة دور إسرائيل مع أصدقائها وكلها نقاط جديرة بالملاحظة فى حد ذاتها .

تبدأ المذكرة بروح هجومية واضحة ثم ترد على نقاط المذكرة الأولى تباعا . فمن الأسطر الأولى تتهم مقدم المذكرة السابقة السيد أييو بأنه قام « بتسريب » المذكرة إلى ساحة المجلس دون أن يتخذ الإجراءات القانونية لعرضها ، كما أنه ادعى توقيع ١٠٦ نواب على المذكرة بينما أنكر بعض توقيعهم لحليها علانية .

تشير المذكرة فى البداية أيضا إلى أنه سبق تقديم المذكرة السابقة التى تطالب بإعادة العلاقات مع إسرائيل قيام وقوع اتصالات مريبة وتقديم رشاوى وعمليات إفساد على مستوى عال من قبل الإسرائيليين فى شركات سوليل بونيه ودزينجوف للإنشاءات ، ودفع صحفيين لعرض الموضوع بل ورشوة عناصر من خارج نيجيريا للتأثير على موقف نيجيريا ، مما شجع مسئول إسرائيلى أن يطالب نيجيريا صراحة بإعادة العلاقات مع إسرائيل .

* وترد المذكرة فى مطلعها أيضا على الادعاء بانتقاء أسباب قطع العلاقة مع إسرائيل إزاء تطبيع مصر نفسها لعلاقتها بإسرائيل مشيرة إلى أن مذكرة السيد أييو تتجاهل القضية الحيوية فى الشرق الأوسط والتعرض لدور إسرائيل فى أفريقيا بالنسبة للمصلحة الوطنية النيجيرية . وفى رأى سيدى على أن قطع الدول الأفريقية لعلاقتها بإسرائيل سنة ١٩٧٣ لم يكن لمجرد الاحتجاج على احتلال الأرض العربية وإنما احتجاجا على إنكار حقوق الفلسطينيين فى أراضيهم ، فهو قرار قائم على المبدأ ورفع الظلم عن الشعب الفلسطينى وأى شعب آخر فى العالم . كما يتعلق بمصلحتنا الوطنية لأن إسرائيل تقيم علاقات وثيقة مع حكومة جنوب أفريقيا التى تمارس التفرقة العنصرية بقوة . وتقوم سياستنا الخارجية بصلابة على الإجماع على العداء لجنوب أفريقيا ومن ثم فإن صديق عدوى يكون

عدو ن

والمادة ١٩ من الدستور النيجيرى « التى أشارت إليها الوثيقة الأولى » تتمركز بالنسبة لسياستنا الخارجية على افريقيا ، والتزامنا بإزالة الاستعمار والعنصرية ... الخ إذن فالمسألة واضحة مادامت جنوب افريقيا وإسرائيل يقهران الشعب الأفريقى .

إننا لا نفهم أهداف تلك المجموعة التى تريد أن تجرنا إلى مسألة تعرف أنها تربك علاقتنا مع إخواننا فى منظمة « أوبك » التى تنظر لغالبيتها للعلاقة مع إسرائيل كخيانة لها . ومن المهين لأى إنسان النظر إلى إسرائيل كأمة قادرة على إنقاذنا فى كافة المجالات بينما تستورد هى خبرتها من الولايات المتحدة والدول الأوربية المتقدمة .

* هل يمكن أن يقتنع أحد أن إسرائيل تنتمى فعلا لجماعة الأمم المتحدة الراغبة فى العيش بسلام ، وهل تتحمل إسرائيل وتتصرف كعضو فى هذه الجماعة أم تراها ترسانة سلاح وقلعة محصنة وسط صحراء تستمد قوتها من الولايات المتحدة لا لتستخدمها للسلام ولكن لحرب جيرانها .. .

ومن الناحية الاقتصادية فإن إسرائيل لا تستطيع أن تعتمد على نفسها فى البقاء ولكنها تعيش معتمدة على حسن نوايا الولايات المتحدة وحلفائها .

* وقد سعدت أمريكا باحتلال إسرائيل للأراضى العربية من قبل ولن ندهش أن نرى إسرائيل تحتل جنوب لبنان الذى يتطلع إليه شارون !. وتعمل إسرائيل على إخضاع سكان الضفة الغربية أو تهجيرهم وهى لا تحدد حدودها بل وتعلن ضم أراضى العرب للدولة ، وبدلا من أن يهم ذلك الولايات المتحدة فإنها تهتم فقط بأمن إسرائيل . وما حدث فى أبريل ١٩٨٢ هو أن إسرائيل قد أعادت قطعة أرض مقابل قطعة سلام .

* أما الإشارة لبيجين وتاريخه ، فإنه منذ وصل أرض الفلسطينيين ١٩٤١ فإن الدم والعنف قد ارتبطا به ، ثم تذكر الوثيقة وقائع دير ياسين وفندق داود لتقول أن بيجين إذا لم يكن يغفر للنازى فإن الفلسطينيين لا يمكن أن يغفروا له . بل وإن المخابرات الإسرائيلية بالتعاون مع المخابرات الأمريكية تحاصران المناضلين من جنوب أفريقيا كما هو معروف .

* تقوم إسرائيل على العون الأمريكى فقط ، وليس فى تقدير أحد أن إسرائيل أمة ، إنها مجرد امتداد للولايات المتحدة ، أو بتعبير أصح نقطة ارتكاز عسكرية أمريكية إنها بالضبط مثل جنوب أفريقيا .

* الاقتراح المضلل :

* التبرير الدينى لإعادة العلاقات مع إسرائيل : ترد الوثيقة على التبرير بأهمية إزالة العقبات السياسية أمام الحج إلى الأماكن المقدسة « والجميع يعرف أنه حتى بدون علاقات دبلوماسية فإن لإسرائيل أكثر من خمسة عشر ألف مواطن فى نيجيريا ، يقومون بجميع الأعمال فى البناء والشحن والمواصلات والفندقة وحتى فى التجسس .

* والاقتراح مهين لنيجيريا لأنه إذا أقر فإنه يسيء لسمعة نيجيريا والمكانة العالية لرئيسها الذى يُنظر إليه كرئيس تابع لأمة مزعومة لا تحترم قرارات الأمم المتحدة . والوثيقة السابقة تشير إلى المادة ١٩ من الدستور التى تركز سياستنا على افريقيا فهل إسرائيل دولة أفريقية لندعو كل الدول الأفريقية للاعتراف بها ؟ فما هى مصالحنا معها إذا كانت فى حرب مع دول أفريقية مثل الجزائر وموريتانيا والمغرب والسودان والصومال والجمهورية الصحراوية الجديدة . إن هذا الاعتراف ينفى التزاماتها بالدستور نفسه .

* وتدعونا وثيقة الدعوة لإعادة العلاقات مع إسرائيل إلى تجاهل تعاون إسرائيل مع جنوب افريقيا ، زاعمة أن قطع العلاقة مع إسرائيل هو الذى قادها لجنوب افريقيا . وهذا كذب لأن نيجيريا أقامت العلاقة مع إسرائيل عام ١٩٦٠ بينما علاقة إسرائيل بجنوب أفريقيا منذ ١٩٥٠ أى بعد أن فرضتها أمريكا فى المنطقة بعامين .

* وإذا أخذنا فى الاعتبار أن أغلبية دول منظمة الوحدة الافريقية من الدول المحافظة وأنها تميل إلى اختيارات محافظة ، فإن قطع علاقة الدول الافريقية بإسرائيل لابد أن يكون وراءه أسباب قوية للغاية ، ولذا وجدت نيجيريا نفسها مضطرة لقطع العلاقات ١٩٧٣ ويجب أن تستمر كعضو فى منظمة الوحدة .

* لقد قام العرب بالكثير تجاه القضايا الأفريقية وهم لا يقيمون أية علاقات مع جنوب أفريقيا ، ولولا قرارهم الحاسم بذلك فإن الأسباب الأخرى مثل لون الجلد والشكل تجعلهم مقبولين لدى جنوب افريقيا أكثر من اليابان مثلا . إذن فلا يوجد سبب لدى العرب إلا المحافظة على التضامن معنا — لمعارضة إقامة العلاقة مع جنوب افريقيا وتكثيف مقاطعتها .

وهذه التضحية هى التى دعت للمطالبة بمقاطعة إسرائيل ولذا يجب أن نبدى تضامنا مع العرب فأية دولة تبدى تضامنا مع نيجيريا والدول الأفريقية فى مسألة جنوب أفريقيا تستحق مكانة فى دبلوماسيتنا ما لم نكن ننافق فى قضية تحرير جنوب أفريقيا .

* أما الدعوى بأن نيجيريا قطعت علاقتها بإسرائيل بسبب احتلالها لأرض مصر الافريقية وينتفى الغرض بإقامة مصر لعلاقتها مع إسرائيل فإنها تبدو باطلة بدورها ، إنها تتجاهل التطورات الأخيرة لأن موقف نيجيريا يذهب أبعد من قضية الشرق الأوسط . وهنا تشير الوثيقة إلى مذكرة أحد الأساتذة النيجيريين المتخصصين فى الشئون الدولية . بولاجي إكينيمي — موجهة للبرلمان حول أن الاعتراف بإسرائيل فى هذا الوقت يضر المصالح الوطنية لنيجيريا . وهو يشير بوجه خاص لتطور علاقة إسرائيل بجنوب أفريقيا ، ودور المائة وعشرين ألف يهودى فى جنوب أفريقيا ضمن الأقلية البيضاء فى مساعدة إسرائيل ماديا بما يفوق مساعدات يهود الولايات المتحدة . وما حدث بين إسرائيل وجنوب افريقيا بعد ١٩٧٣ كان مجرد كشف للعلاقة وتكثيف لها . وما يهم نيجيريا والدول الأفريقية بالأساس هو حجم العلاقات العسكرية بين إسرائيل وجنوب أفريقيا « زوارق صاروخية طائرات - غواصات ذرية ... » . إن تفجير جنوب افريقيا النووى عامى ١٩٧٩ و١٩٨٠

وضرب المفاعل العراق وما تردد عن تعاون جنوب افريقيا وإسرائيل فى المجال النووى يجعل نيجيريا نفسها فى متناول صواريخ جنوب افريقيا وهذا ما يجعل العلاقة بين النظامين العنصريين ضارة بالمصالح الوطنية لنيجيريا .

* وفى مجال الإضرار بمصالح نيجيريا إذا أعادت علاقتها بإسرائيل تسجل الوثيقة أيضا مسألة الأزمة الاقتصادية التى تتعرض لها نيجيريا بسبب أزمة أسعار البترول وأهمية الموقف السعودى فى هذا الصدد ، والاختيار السياسى المناسب يجعلنا واعين بأهمية مراعاة ذلك بل ويجعل أصدقاء إسرائيل يعيدون التفكير .

* أما بالنسبة للمخاطبة العاطفية للمسيحيين والادعاء أن قطع العلاقة مع إسرائيل يعوق زيارتهم للأماكن المقدسة بينما يذهب المسلمون إلى مكة ، فإن ذلك يبدو أيضا مجافيا للحقيقة لأن للمسلمين أماكن مقدسة أيضا فى القدس .

ثم إن معظم المسيحين النيجيريين كاثوليك ، والفاتيكان ليست فى إسرائيل والأنجليكان يذهبون إلى كانتربرى فى لندن وليس إسرائيل . وقد قام الزعيم أولولو مؤخرا مع مجموعة من النيجيريين بالحج للأماكن المقدسة فى إسرائيل ولم يمنعه أحد ، فلماذا نستعمل هذه الحجة ؟ .

ولا يوجد من يقيم الاعتراف بإسرائيل على أساس دينى . والدين الرسمى فى إسرائيل هو اليهودية التى تعتبر المسيحية باطلة . وكان ملكا يهوديا ذلك الذى اتهم المسيح بالزيف وأمر بصلبه ووضع الشوك على رأسه - فكيف يمكن كسب عطف المسيحيين من أجل إسرائيل على أسس دينية . وهناك الآن فى نيجيريا أكثر من ١٥ ألف إسرائيلى لا يضايقهم أحد .

* إن لإسرائيل مصالح اقتصادية كثيرة فى نيجيريا ولذا لا تستطيع منع أى نيجيرى من زيارة إسرائيل . إننا ليس لدينا ما نخسره بينما لديهم الكثير . إنها تقيم الفنادق بتكلفة أعلى من المقرر عالميا ، وتعمل لصالح أمريكا ثم تُسمى الدولة النامية غير المستغلة ، وهى تساعد جنوب أفريقيا التى تستعبد الإنسان جماعيا فى جنوب أفريقيا ، ثم يأتى نواب مدفوعين من قبل عملاء نيجيريين لإسرائيل والولايات المتحدة للمطالبة بإعادة العلاقة مع إسرائيل .

* إن ثمة مبدأ بالالتزام بمصالحنا أولا ، وإن الدول العربية الغنية يجب أن تتبادل المصالح بالاستثمار الثقيل فى افريقيا السوداء لكن ذلك يجب ألا يكون شرطا . ويقول البعض أن مصر نفسها حلت خلافاتها مع إسرائيل وأن علينا بالتالى أن نعيد علاقاتنا بإسرائيل . حسن ، ولكن يجب أن نعرف أن مصر وحدها ليست محور الدول العربية رغم أنها كانت ومازالت محور الخلافات الدبلوماسية . إن الدول العربية هى التى طلبت تأييدنا وتعاوننا مجتمعة على أساس أنها تشاركنا فى كوننا جميعا ضمن دول العالم الثالث . وقد خرجت مصر عن هذا القرار الجماعى لأسباب معروفة لديها وليس صعبا فهم هذه الأسباب ونحن نشك فى « أنها فعلت ذلك لأن الحرب العربية الإسرائيلية كانت على أرضها وحدها بينما الدول العربية تكتفى بالدعم المادى والمعنوى » . إن مصر هى التى تلقت صدمة الحرب ، تلك الحرب التى أثرت فى اقتصادها الضعيف ونحن نعرف أن غياب

السلام ، وعدم الاستقرار يمكن أن يدمر أى اقتصاد . ولذا ما ندهش أن تقبل مصر مقترحات كامب ديفيد وتتحمل استنكار الدول العربية

• لقد قامت إسرائيل وفق التزام غربى وأمريكى منذ وعد بلفور ١٩١٧ بينما يتعاطف أحد مع الفلسطينيين المساكين الذين فقدوا أراضيهم ، بينما تأخذ أمريكا بوجهة النظر الصهيونية مما شكل عقبة فى العلاقات العربية الأمريكية وبالأخص المصرية الأمريكية . فى وقت كانت تتطلع فيه مصر لقيادة القومية العربية .

إذن فإسرائيل لا تحتاج لتأييدنا أو العلاقة بنا لكى توجد ، وإعادة العلاقة بإسرائيل دون أن يطلب العرب ذلك منا جماعيا سوف يعنى تأييد التصرفات غير الإنسانية التى تقع على الشعب الفلسطينى المسكين الذى لا يجد من يدافع عنه وسيعنى تشجيع نكران حقوقه فى الحكم الذاتى وتقرير المصير . ولقد أبدى « الفلسطينيون » رغبتهم المخلصة فى التعايش مع إسرائيل لكنهم لم يكونوا موضع ثقة .

• إن الدول العربية كانت دائما صديقة لنا والشاهد على ذلك هو موقف العربية السعودية من تأييدنا غير المشروط حينما حاول العالم الغربى هز اقتصادنا ودفعنا لبيع البترول بأسعار منخفضة للتأثير على خططنا فى التنمية .

ومن السخرية أن تكون نيجيريا هذه ، قائدة الجنس الأسود ، من أوائل الأمم التى تدعو لإعادة العلاقات مع أمة لا تخدم أية أمة أخرى إلا نفسها ، أمة لا تحترم شعورنا نحو جنوب افريقيا بل وصلت إلى قمة التجارة دون حرج مع حكام بريتوريا ، لكنه بسبب اليهود فى جنوب افريقيا واليهود يحمون اليهود دائما فإذا كنا سنخون الفلسطينيين فمن يضمن عدم خيانة المقهورين السود فى جنوب افريقيا . إننا إذا أعدنا العلاقات فإننا نخون العرب الذين يقدمون لنا المساندة فى الأمم المتحدة بالنسبة لجنوب افريقيا .

إن ما ردده مناحيم بيجين عن عدم ضرورة أن نكون كاثوليكيين أكثر من البابا مادام أصحاب الشأن أقاموا العلاقة معهم ، تبدو كمن يقول لنا لا تكونوا أغبياء فإنكم أقل أهمية من ذلك .

لذلك آمل ألا تقوم دعوى البرلمانيين لإعادة العلاقة مع إسرائيل على أسس دينية .

• إن إسرائيل كانت دائما تعمل لصالح بريطانيا والولايات المتحدة ، كما ثبت ذلك من التنسيق بينهم فى مجال المخابرات وكقاعدة عسكرية متقدمة فى الشرق الأوسط بل وأداة من أدوات السياسة البريطانية والأمريكية بالنسبة للنظام النقدى العالمى .

إن بريطانيا تستفيد من الحركة الصهيونية داخليا كما تستفيد منها فى العالم الخارجى وإسرائيل تلعب على هذه النغمة .

والصهيونية نفسها ليست المصدر الحقيقى لمشكلة إسرائيل الآن ، إذ إنها حالة نفسية جماعية

تستغلها بريطانيا عبر المجتمع اليهودى العالمى . ولو تحررت الصهيونية من ذلك لكانت إسرائيل توقفت عن العمالة وحلت مشكلة العرب فى الشرق الأوسط .

إن الصهيونية نظرية هروبية شديدة الانغلاق ولابد من معارضتها لأن العقل البشرى لا يحتمل أن يدمر بهذه الطريقة .

والصهيونية تستغل بديماغوجية مقولة الاضطهاد فى عهد هتلر ، وهذه أكذوبة ، لأن مليونا ونصف يهودى ماتوا بالفعل نتيجة السياسة النازية مع غيرهم من عشرات الملايين من « الأجناس الدنيا » و « العبيد » والواقع أن هتلر نفسه قد وصل إلى السلطة بمساعدة الأغنياء اليهود مثل روتشيلد وأوبنهيمر وغيرهم من قلب لندن ، ومن هنا كان اليهود الذين ماتوا ضحية الجشع الرأسمالى .

• الصهيونية خيانة : إن الصهيونية الحديثة لم تقم على اليهود ولكنها أحد مشروعات جامعة اكسفورد ، وصدرت عن نفس مركز تصنيع المعتقدات بالجامعة الذى أبدع الكارتية والبهائية والإيطاليين الشبان ... الخ ، بل وأنها استعملت للنفاذ داخل الولايات المتحدة وحركة تحرير تجارة الرقيق بل والحركة اليسارية . والحركة الصهيونية تضلل كثيرا بالنسبة لحقائق العهد الجديد والذى لا تسمح بأن يكون الإنسان يهوديا وصهيونيا فى آن واحد .

وبدون مبالغة فإن اتجاهات الحركة الصهيونية حاليا إنما تقيم دولة للانتحار الجماعى [illegible] . فإسرائيل تملك ترسانة من الأسلحة النووية التى هدد زعماء إسرائيل باستعمالها فى أية معركة مع الدول المجاورة . مع العلم أن كل إسرائيلى يعرف فى قرارة نفسه أن استعمال السلاح النووى لتدمير الدول العربية سوف يؤدى إلى تصفية إسرائيل كنتيجة مباشرة .

• إن جميع جيران إسرائيل ، بما فيهم مصر وسوريا والأردن وبتأييد ضمنى من السعودية وجميع أعضاء الجامعة العربية بما فيهم منظمة تحرير فلسطين مستعدون لإقامة سلام دائم مع إسرائيل على أساس انسحاب إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧ وإقامة الدولة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة . وما لم ينشأ التهديد من قبل إسرائيل نفسها فإنه لا يمكن أن ينشأ من جهة أخرى . إن سياسة إسرائيل العسكرية المدعومة من الغرب هى التى تثير سباق السلاح فى الشرق الأوسط .

إن تسامح سكان إسرائيل مع قيادتهم هو نوع من المرض الناتج عن غسل المخ المكثف من قبل الصهيونية ، ويعتمد مبشرو الصهيونية على أساطير الموت والغذاء فى قلعة الماسادا وإعادة ذكريات معسكرات التعذيب النازية . ونحن لا ننكر وقوع هذه الأحداث ولكنها لم تكن بالشكل الذى يرويه المؤرخون الصهيونيون . وفى الحالتين فإن أسباب التصفية وقتل اليهود عمدا لا يمكن أن يكون بعيدا عن علاقتهم بالعقيدة الصهيونية .

بهذه الإدانة الشاملة لليهود وإسرائيل تنتهى الوثيقة البرلمانية التى ترد على دعوى المنادين بإعادة العلاقات مع إسرائيل ، وقد حاولت أن أحتفظ طوال عرضها بمنطق التكرار والعاطفية الذى صيغت به أحيانا والموقف الدفاعى ونقص المعلومات الهجومية أحيانا أخرى

ثالثا ١ : مقالة الأستاذ « يوسفو بالاعثان » عن « تحليل الاتجاهات نحو حرب أكتوبر فى الشرق الأوسط » :

وهو المقال الذى نشره فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ فى صحيفة « نيو نيجيريان » ثم أعاد نشره فى كتابة نحو تحرير نيجيريا(٥) عام ١٩٧٩ .

والكاتب من الشخصيات العامة فى نيجيريا وخاصة أقاليمها الشمالية وهو متخصص فى التاريخ السياسى الاجتماعى لمرحلة نهضة الشمال النيجيرى أيام ممالك كاتسينا وكانو وسوكوتو . وكان رغم صغر سنه (مواليد ١٩٤٥) من المقربين لأمينو كانو زعيم حزب العناصر الشمالية الذى كان منافسا لأحمدو بينو فى الشمال قبل الحكم العسكرى ١٩٦٦ ثم كان قريبا من محمد مرتلا ، القائد الشاب الذى حول تحرير نيجيريا فعلا فى منتصف/السبعينيات فاغتالته القوى الرجعية والامبريالية عام ١٩٧٦ بعد وقفته الجريئة مع ثورة أنجولا وحركتها الشعبية .

وكان يوسفو بالاعثان من موفديه الأساسيين إلى الزعيم نيتو وممن أكدوا موقف نيجيريا إلى جانبه . وهو ليس معروفا كمفكر يسارى إنما المعروف عنه هو الوطنية والديمقراطية والاستقلالية ، قاد حملة ضد توجهات فى الحكم العسكرى عام ١٩٨٠ للتحالف مع فرنسا بالنسبة لتشاد مُذكرا بوقفة نيجيريا السابقة ضد فرنسا أيام ثورة الجزائر احتجاجا على تفجير القنبلة الذرية الفرنسية فى الصحراء الافريقية قرب شمال نيجيريا ، ومنبها إلى أنه مهما كان الاختلاف مع ليبيا فإن ذلك لا يعنى العداء لدولة افريقية والتحالف مع عدو امبريالى مثل فرنسا . ووزع مذكرته تلك على أعضاء أول برلمان نيجيرى بعد الحكم العسكرى وكان وقتئذ يعمل مستشارا للحاكم مستنير من حكام الولايات الشمالية .

والمقال الذى نعرضه هنا هو تحليل افريقى لوسائل الإعلام المؤثرة على الرأى العام الافريقى من خارج القارة وداخلها يكشف فيها آليات التأثير والمقولات التى تروج لها وسائل الإعلام هذه « كمزاعم » لإسرائيل كما يقول فى أكثر من موضع ، ويطرح بين السطور استنتاجات هامة للفكر الأفريقى تجاه إسرائيل وطبيعة فهمه لقضية الصراع العربى الإسرائيلى من منظور شامل .

والمقال يتخذ « حالة للدراسة » متابعة مجلة أمريكية ، وإذاعة بريطانية وصحيفة نيجيرية للحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣ وعرضها على الرأى العام الأفريقى وخاصة فى نيجيريا ، ويكشف التظاهر بالحياد وصورة الانحياز الواضح فى نفس الوقت لصالح إسرائيل ، وهو يستعمل ألفاظه بعناية رغم استفزازه الواضح أيضا كوطنى نيجيرى يحترم عقله .

يقول يوسفو بالاعثان ، ونحن نلخص عنه ملتزمين كلماته :

« إن اتجاهاتنا نحو الحرب فى الشرق الأوسط تصاغ يوميا عن طريق الأخبار والتعليقات التى نسمعها أو نقرؤها ، وتحدد بعض الصحف ومحطات الإذاعة ، صراحة أو ضمنا موقفها السياسى فى هذه الأخبار والتعليقات ، لكن قطاعا قويا من وسائل الاتصال المؤثرة على الرأى العام فى هذا البلد

تتظاهر بالموضوعية والحياد .

فباقتطاف نصوص من بعض البيانات العسكرية من كلا الجانبين أو الصور أو الخرائط عن التوازن العسكرى أو إبراز الحديث عن السلام والقوى الكبرى إنما يحاولون صياغة اتجاهاتنا دون الظهور صراحة بذلك ، وهو فن متقدم فى الغرب أو هى نفس أسس الإعلان والعلاقات العامة التى تشكل الآن ما يعرف بصناعة الاتصال .

ثم يقدم الكاتب النماذج التى سيدرسها من مجلة النيوزويك ، والإذاعة البريطانية وصحيفة « صنداى تايمز » النيجيرية خلال الأسبوع الثانى من حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، مشيرا إلى أنها صور من التأثير الخادع لكنه الفعال وتجر انتباهنا إلى بعض اتجاهات الامبريالية الغربية التى تريد بث توجهاتها بيننا تجاه الحرب وتجاه وضعنا فى افريقيا والعالم .

* بالنسبة لمجلة نيوزويك : فى عددها يوم ١٥ أكتوبر تصور حالة الحرب على الجانب الإسرائيلى فتصف كيف كانت الحياة تمضى فى يوم كيبور ، يوم الصلاة والعطلة ، حتى إذا ما أعلنت الحرب انطلقت الرسائل من الجيش إلى كل المعابد مستدعية الاحتياط من الشباب للجيش . ولم تقل لنا المجلة كيف استدعى الاحتياط من الشبان والعجائز ما لم تكن الرسائل الشفرية قد أمليت عليهم من قبل . إن الصورة التى حاول الخبر توصيلها لنا فى اللاشعور عن الحرب هى صورة الشباب الكفء المخلص الذى أصبح تحت الهجوم ، ومن ناحية أخرى جاءت صورة الناس فى مصر وسوريا الذين كانوا يقومون بفريضة الصوم ، من خلال الخبر - كمن كانوا يشاركون فى أعياد رمضانية مسرفة يقوم بها الغرب المتعطشون للحرب مع طلقات المدافع . والصورة فى مجملها تتسق مع النمط التقليدى للعربى المتلذذ مقابل الشباب الإسرائيلى الكفء المخلص ، تلك الصورة التى نشرها الغرب منذ أنشأ ذلك الجيب الصهيونى .

وفى الجزء الثانى من التقرير تصور هزيمة العرب كشىء محقق عن طريق نقل تصريحات القادة الإسرائيليين عن ذلك تساندها تصريح مسئول أمريكى رغم تكذيب الواقع لهذا التوقع خاصة فى الأيام الأولى ، وكل ذلك يتم رغم تظاهر واضح بالحياد . وخلال ذلك يصور العرب كدعاة للقوى الكبرى للتدخل لمساعدتهم ، كما تبرز الرغبة فى حرمان العرب من تحقيق المفاجأة بنقل التصريحات عن معرفة الإسرائيليين بخططهم .

وخلال كل هذا العرض فإنه لا يتم البحث فى الأسس السياسية التى دفعت العرب للحرب ولا يبدو فى التقارير أثرا لحق تحرير الأراضى المحتلة أو استعادة حقوق الشعب الفلسطينى وعوضا عن ذلك يصور العرب كمهاجمين سوف يؤدى عملهم إلى وعود حماتهم فى موسكو للتدخل .

وصورة إسرائيل دائما أنها لا تهزم ، والتعاطف معها ترسمه صورة مائير محاطة بالأعداء ، أو طفل يهودى سوفييتى من خلف زجاج القطار لإعادة ذكريات تعذيب اليهودى القديمة .

* هيئة الإذاعة البريطانية : تلك التى زرعت نغمة الموضوعية والحياد لأعلى درجة تقدم أيضا

نفس الدعاية محسوبة التى تستهدف الحط من قدر العرب ومؤيديهم وتشويه القضية والموقف الأساسى .

• ففى المرحلة الأولى للحرب تقدم المزاعم الإسرائيلية عن تدمير معابر المصريين على قناة السويس ثم تزعم فى نفس الوقت أن إسرائيل فى مرمى المدافع السورية ولا نعرف الحقيقة بالضبط حتى نعرف أن إسرائيل تتقدم إلى دمشق . وعندما تقدم الإذاعة مختارات من الصحف الأفريقية تقدم صحف شمال افريقيا فقط متجاهلة التأييد الواسع الوارد فى صحف أجزاء مختلفة من القارة . وفى محاولة للإيحاء بأن هذه الحرب هى من شأن العرب والمسلمين وحدهم فإنها تلمح بالسخرية إلى تأييد رعيم أوغندا للعرب بل وتذكر بعض تقاريرها أن متطوعين أوغنديين يتقدمون للحرب فى السعودية عند الأماكن المقدسة حيث لا حرب بالمرة ، كما تشير إلى التورط السوفييتى فى الحرب وهى نغمة قديمة للامبريالية زرعتها الإذاعة البريطانية نفسها منذ حملتها الفاشلة ضد عبد الناصر فى الخمسينيات ، تلك الحملة التى تنشر الأكذوبة القديمة عن تحالف الإسلام والشيوعية بهدف السيطرة على افريقيا - كما أعادت عزفها خلال مأساة الانفصال فى نيجيريا ، ومازالت هذه النغمة الدعائية هى أحد مقولات النظام العنصرى فى جنوب افريقيا والفاشيين البرتغاليين وحلفائهم . وبعزف نغمة التأييد السوفييتى للعرب تريد الإذاعة البريطانية إثارة ثائرة دول عدم الانحياز وتغطى وتبرر وضع إسرائيل كسلاح للناتو .

• صنداى تايمز النيجيرية : تعكس وجهات النظر الواردة فى نيوزويك والإذاعة البريطانية نفسها فى الصحافة النيجيرية . تقدم صنداى تايمز فى لاجوس أربعة موضوعات عن الحرب . فى أبرزها تذكر أن مصر تفرض ضريبة الحرب المقدسة ، ثم كلمة رئيس التحرير التى تدور حول موضوع ضريبة الجهاد ، وهو اختيار ذو أهمية حيث يتفق ذلك مع محاولات الامبريالية للدفاع عن العدوان الصهيونى . فالمقاومة ضد العدوان الصهيونى تصور كحرب دينية بطلب من المسيحيين الأفريقيين أن يتخذوا موقفا محايدا إزاءها أو أن يتعاطفوا على الأقل مع اليهودية بارتباطاتها مع العهد القديم .

ويذكر رئيس التحرير « أوجونسانوو » فى كلمته أن المواطن النيجيرى قد لا يعرف أو يهتم بهذه الحرب التى تضيع أصولها فى الآثار الإنجيلية القديمة . ومع ذلك فإن رئيس التحرير يلخص الموقف بأن مطالب اليهود فى أرضهم الحالية تقوم على أساس أنها أرض أجدادهم ، أما العرب ، وخاصة الفلسطينيين فيقولون أنهم ولدوا وتغذوا فى المنطقة التى تحتلها إسرائيل الآن وأنهم طردوا منها بالقوة عن طريق الدول الغربية وهو هنا يقدم - بحياد مدعى - دعاية صهيونية غير مهضومة تماماً . فهو يقدم « كحقيقة » كون المنطقة كانت وطن الإسرائيلى ، وكمجرد « قول » أن الفلسطينيين ولدوا وتغذوا فيها رغم أنه حتى الدعاية الصهيونية تقبل كحقيقة أن المنطقة كانت وطن الفلسطينيين عند قرار اليهود بإقامة الدولة اليهودية ، والمنظمات الصهيونية تجمع الأموال لشراء أراضى الفلسطينيين فى ظل هذه الحقيقة ! فالصحفى النيجيرى يعرض ما يظن أنه نتيجة فكر عميق وهو يقدم سخافة كاملة تماما مثلما قام بذلك صحفى بريطانى فى الأيكونوميست ، وهو هنا يتظاهر بالحياد فى وقت

يجهل حتى الحقائق التى يعرفها الأمريكى الذى حرك مشاة البحرية كعادته مع كل تدهور فى المنطقة فى غير صالح عملائه .

و « أوجونسانود » يؤكد دائما اعتقاده فى عدم هزيمة إسرائيل ويلقى باللائمة على العرب الذين ما إن يؤكد أحد زعمائهم على التعايش السلمى مع إسرائيل يوما حتى يخسر حياته فى اليوم التالى . ولا يتعدى تفكير الصحفى فى الحلول إلا حدود الكليشيهات .

« المسائل الرئيسية : ينتقل « يوسفو بالاعثمان » إلى المسائل الرئيسية فى هذه الحرب بالنسبة للنيجيريين العاديين وغير العاديين ليؤكد أنها واضحة رغم أقاويل نيوزويك والإذاعة البريطانية والصحافة النيجيرية . وعنده أن الشعب المصرى شعب افريقى يحاول تحرير أراضيه من العملاء الصهيونيين للامبريالية الغربية . وهى – عنده – نفس الامبريالية التى تستعمل المستوطنين البيض والبرتغاليين لاحتلال أكثر من ربع أراضى افريقيا « قبل استقلال أنجولا وموزمبيق » .وهى نفس الامبريالية التى شجعت على تقسيم نيجيريا وغزت غينيا . وبالنسبة لهذه الامبريالية فالافريقى والشعب الأسود فى أى مكان هو موضوع للاستغلال والتعسفية سوء كان مسلما أو مسيحيا ، متحدثا للبانتو أو العربية أو الولوف ، والمذابح تمت ضد الآلاف من الموزمبيقيين المسيحيين وملايين الافريقيين فى جنوب افريقيا من المسيحيين أيضا . والشعب الأسود فى الولايات المتحدة يتبنى أقلية مسيحية تماما ولكنهم يهانون ويطردون ، فحيث ثمة امبريالية لا غموض فى الموقف . ففى الخمسينات كان الجزائريون يضربون بالقنابل واليوم يضرب المسيحيون فى موزمبيق . وبالنسبة لنا يجب ألا يكون هناك شك بشأن تأييدنا لنضال الشعب المصرى ، لأنه نضالنا شئنا أو لم نشأ ، ولسنا نحن الذين نضع إسرائيل ومصر فى كفتى ميزان ثم نحاول التوسط ، إنه دور الآخرين ، وإلا كان ذلك قصورا فى التفكير . وتحقق الوحدة الوطنية فى نيجيريا ليس فقط بإنشاء الولايات ولكن بوضوح السياسة الافريقية لبلادنا والتى تضعنا فى مقدمة جبهة النضال من أجل التحرر والاعتماد على النفس فى النظام الدولى . إن اتجاهنا نحو حرب الشرق الأوسط يأخذنا لأبعد من مسألة العلاقات الخارجية إلى قلب مشكلة تكوين نمط الوجود القومى الذى نريد تحقيقه .

بهذه اللهجة الساخنة – والرصينة فى نفس الوقت – حاور « يوسفو بالاعثمان » الدعاوى الغربية والإسرائيلية والنيجيرية فى نموذج محدد من نماذج الحوار .

رابعا : بحوث الدكتور إبراهيم جامبارى حول (أ) إسرائيل والعرب . (ب) إسرائيل وجنوب أفريقيا :

والدكتور إبراهيم جامبارى وزير خارجية نيجيريا حاليا (١٩٨٥/٨٤) وهو أستاذ سابق للعلوم السياسية ورئيس القسم بجامعة أحمدو بللو - زاريا شمال نيجيريا وأصوله من عائلة تقليدية مسلمة فى مدينة أيلورين التاريخية غرب نيجيريا . وهو من مواليد ١٩٤٤ درس العلوم السياسية بجامعة لندن « مدرسة الاقتصاديات » ثم حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا بالولايات

المتحدة ، وتدور دراساته حول موضوعات السياسات الخارجية والسياسة الدولية . هو إذن ابن النظام المعرفى الغربى ، علميا ، وابن الإقليم الغربى فى نيجيريا الذى يتزعمه أصدقاء إسرائيل دائما ، من ناحية التربية الاجتماعية ، وهو لم يقم علاقات خاصة بالدول العربية حيث مازلت أذكر شكواه عندما تقابلنا فى جامعة أحمدو بللو صيف ١٩٨٣ بأنه رغم اهتماماته وكتاباته عن قضايا الشرق الأوسط فإنه لم يحضر ندوة أو يدعى لمناسبة ثقافية ما فى أى من الدول العربية ليتعرف بنفسه على بعض جوانب هذه المنطقة .

وتنطلق دراسات إبراهيم جامبارى من منهج رسالته للدكتوراه عن تأثير السياسات الدخيلة فى تشكيل السياسة الخارجية لنيجيريا ، ويرفض منذ البداية نظرة زارتمان حول تأثير الزعيم وتفرده فى قرارات السياسة الخارجية لافريقيا حيث لا يرى جامبارى إمكان تطبيق ذلك على نيجيريا بوجه خاص ، لذلك جاء عنوان وموضوع كتاب جامبارى الصادر عن جامعة أحمدو بللو عام ١٩٨٠ « السياسات الحزبية والسياسة الخارجية » فى ظل الجمهورية الأولى ١٩٦٥/٦٠[*] وضمن بحوث هذا الكتاب يقع موضوعنا الأول .

وبنفس المنهج كتب أيضا بحثه الثانى لإحدى الندوات المتعددة حول موضوعات العلوم السياسية بنيجيريا ، وهى ندوة « الجنوب الافريقى فى الثمانينات » بجامعة إيفى عن علاقة إسرائيل بجنوب افريقيا وبالاشتراك مع باحث آخر هو الأستاذ ب. وينموت .

٥ إسرائيل والعرب : يضع جامبارى هذا البحث ضمن فصل أساسى فى كتابه بعنوان « صراع الولاءات » مشيرا إلى طبيعة الصراع الداخلى والولاءات الناتجة عنه والتى تؤثر على تشكيل الموقف من الصراع العربى الإسرائيلى . والفترة التى يختارها للتحليل ، الجمهورية الأولى بنيجيريا ١٩٦٦/٦٠ هى الفترة التى بدت فيها نيجيريا نموذجا للنظام الحزبى الليبرالى فى أفريقيا أمام تجارب الحزب الواحد والزعيم الأوحد ... الخ . ورغم الحكم العسكرى الذى ساد نيجيريا بين ١٩٧٩/١٩٦٦ واختلاف الادعاءات فإنها عادت مع الحكم المدنى ١٩٨٤/٧٩ لتعكس نفس طبيعة التكوين الإقليمى والاجتماعى التقليدى فى نيجيريا رغم توحيد البترول لبعض المصالح الطفيلية . وحين عاد الحكم العسكرى عام ١٩٨٤ وضمن وزرائه إبراهيم جامبارى — عاد تحت ادعاء القضاء على الطفيلية وتأكيد قضية الوحدة الوطنية .

فى هذا الإطار الأخير يتناول جامبارى مواقف القوى السياسة النيجيرية من قضية إسرائيل والعرب محاولا اكتشاف الأساس الذى انطلق منه هؤلاء خلال الفترة الأولى للاستقلال . وهو لا يبدى فى عرضه « الموضوعى » انحيازا للموقف العربى على نحو ما تعبر عنه الورقة الثانية وإنما يحاول البحث وراء عوامل الوحدة الوطنية فى الموقف من هذه القضية .

وهو يرى منذ البداية أن الموقف من صراع الشرق الأوسط ارتبط بالصراع الإقليمى فى نيجيريا ، فالشمال ذو صلات مع العالم العربى والجنوب يتعاطف مع إسرائيل ، الشمال يبدو مشاركا فى الصراع بالشرق الأوسط والجنوب يقبل من إسرائيل مساعداتها وقروضها ، بينما الحكومة

الفيدرالية تبدو محايدة أو ساكنة ... .

يميل جامبارى إلى البحث عن عوامل تجعل « الحكومة الفيدرالية » فوق الاعتبارات الإقليمية السائدة من قبلية أو دينية ، ولذا يبدو أميل لقبول تأكيد الحكومة الفيدرالية فى تلك الفترة بأنها « حكومة علمانية » وذلك خلال الحوار الذى دار حول هذه القضية وغيرها فى نيجيريا .

وهو يسجل تأثير الإرساليات المسيحية وخاصة الكاثوليكية على سياسة زعماء شرق نيجيريا بينما كان الشمال متأثرا تماما بموقف أحمدو بللو مع الأنشطة الإسلامية الجماعية فى العالم الإسلامى والعربى . مما جعل الاستقطاب شديدا بين الغرب المسيحى والعرب الإسلاميين وكانت محاولة أبو بكر تفاوا باليوا رئيس الوزراء « الشمالى » دائما هى الظهور كمحايد ليس بين الجنوب والشمال فقط ولكن بين موقعه كرئيس وزراء فيدرالى وموقفه كنائب رئيس حزب مؤتمر الشعب الشمالى الذى يقوده أحمدو بللو باتجاهاته الإسلامية الخاصة فى نفس الوقت .

ويذكر جامبارى أن طبيعة الدستور النيجيرى نفسها كانت تساعد على استمرار هذا الصراع إذ يعطى الدستور لحكام الأقاليم حق التعامل مع العالم الخارجى مباشرة فيما يتعلق بالبحث عن المساعدات والقروض والاستثمارات والفنيين ، وتوقيع الاتفاقات والعقود بهذا الشأن وهو المنفذ الذى استفادت منه إسرائيل دائما « حيث ظل الموقف كذلك حتى فى أثناء الحكم العسكرى بعد ذلك » . وقد بدأ طغيان هذا الوضع على اختصاصات الحكومة الفيدرالية مما أدى إلى إغلاق مكتب الإقليم الغربى بنيويورك مرة ، وأثار بحدة موضوع العلاقة بين إسرائيل والإقليم الشرقى مرة أخرى . لكن هذا الموضوع كان أشد إثارة بسبب تعدد الآراء فيه من قبل أقاليم أخرى .

يرى جامبارى أن هناك عوامل تاريخية وثقافية ودينية قوية جعلت الشمال النيجيرى الأقرب إلى العالم العربى الإسلامى ذا اتجاه واضح فى معارضة علاقة نيجيريا بإسرائيل بينما كانت المسيحية الغربية وراء اتجاه الأقاليم الجنوبية مع إسرائيل . ويحدد علاقة حزب المؤتمر الشمالى أكثر مع السعودية ومصر وباكستان . ويذكر أن أقدم قنصليات وسفارات نيجيرية كانت بالشرق الأوسط اعتبارا لآلاف الحجاج النيجيريين الذين يسافرون للمنطقة سنويا . كما كان النظام التشريعى فى شمال نيجيريا قد تمت صياغته وفق النظام السودانى والباكستانى . فى نفس الوقت كان التعليم الغربى الحديث يدفع أقاليم الجنوب فى اتجاه مضاد للشمال . ومع ذلك فإن قوة الإسلام والمسيحية فى نيجيريا تمنع سيطرة أحدهما على صياغة السياسة النيجيرية كما أن وجود أعداد كبيرة من النيجيريين خارج الدينين الكبيرين يساعد على ذلك وهو ينبه إلى أن تقسيم نيجيريا بين الإسلام والمسيحية ليس هو نفسه التقسيم بين الشمال والجنوب حيث أن ٣٣٪ من سكان غرب نيجيريا « الجنوبى » من المسلمين ، وهناك الأحمدية والمؤتمر الإسلامى والجمعية الإسلامية ذات نفوذ فى الجنوب ، ولذا فالتقسيم الحقيقى بين قوى سياسية للمسلمين مركزها فى الشمال وأخرى مسيحية فى الجنوب ومن هنا تنشأ الصعوبة أمام الحكومة الفيدرالية حين تنشأ أمامها مسألة كالصراع العربى الإسرائيلى ومحاولة اتخاذ موقف الحياد بين ضغوط المنطقتين .

يبحث جامبارى فى فقرات هامة من دراسته عن الأساس الذى وضعته السياسة الاستعمارية البريطانية للموقف النيجيرى « المحايد » من الصراع ، فيرى أنها لم تضع خطا قياديا ثابتا فى هذه المسألة . ففى فترة الخمسينيات كانت بريطانيا معادية بشدة لعبد الناصر بسبب تأميمه للقنال ولكنها سرعان ما أصبحت فى حاجة إلى البترول العربى مما اقتضى أن تلتزم خطا هادئا بالنسبة لتوجيه نيجيريا نحو العرب وخاصة الدول الغنية منهم . وقد كان التزامها هذا الهدوء فى الشمال أيضا لاعتبارها لأثر العامل الدينى فى تحديد موقف الشمال المتعاطف مع العرب وشدة الاختلاف بين الشمال والجنوب فى نفس الوقت .

ولا يعفى جامبارى السياسة البريطانية من وضع صورة مصر فى نيجيريا كدولة ذات دور تخريبى فى الوقت الذى كانت فيه تقود المعركة ضد الامبريالية ، ولذا دفعت حزب مؤتمر الشمال إلى التصريح مباشرة ألا صلة له بعبد الناصر .

فى نفس الوقت كان زعماء الجنوب يعملون على تشديد الهجوم على مصر بالتشكيك فى كونها دولة افريقية أصلا على نحو ما كان يصرح الزعيم أولوو « زعيم الغرب » بينما رأى ايناهورو أن دخول دول الشمال الافريقى العربية لحركة الجامعة الافريقية سوف يفقدها طابعها العنصرى « الأفريقى » . إذ كيف تكون مصر مثلا فى اتحاد عربى وفى نفس الوقت عضوة فى اتحاد افريقى .

ويدرس جامبارى حالة الصراع حول طلب المساعدة الاقتصادية من إسرائيل والذى قام به وزير المالية الفيدرالى « من شرق نيجيريا » فى يونيو عام ١٩٦٠ فى وقت كانت الخطة الأولى لنيجيريا تحتاج إلى ٧٠٠ مليون جنيه استرلينى وتعرض إسرائيل مساعدتها بحوالى ٤ ملايين جنيه ! هنا انطلق حزب مؤتمر الشعب الشمالى يهاجم الاتفاق ويطلب وقف التفاوض ويرفض أن يحصل على أى جزء من هذا القرض فى الشمال ، بينما راح رئيس الوزراء « الشمالى » يتحدث عن حقوق الحكومة الفيدرالية فى البحث عن المساعدات وعن تحذيره لإدخال الدين فى السياسة وعن حياده فى الصراع بين العرب وإسرائيل .

وبينما هددت الأزمة الحكومة الفيدرالية ، لم يشأ الشماليون تصعيدها إلى حد دفع رئيس الوزراء الشمالى للاستقالة ولكن متحدثا باسم حكومة الإقليم الشمالى ربط ذلك باتجاه حكومة الإقليم لإقامة علاقات أوثق مع الجمهورية العربية المتحدة ، ودعم سفير مصر ذلك بأن حكومته ستقدم دعما كاملا لإخوانهم من المسلمين فى الشمال . وفى نفس الوقت وفى ظل شعار المحافظة على الوحدة الوطنية والحياد ، عمل باليوا ووزراؤه الفيدراليون أمثال شيهو شاجارى على استمرار موقفهم « المحايد » باستمرار التفاوض على القرض مع إسرائيل . لقد نشأ فى مجلس وزراء باليوا رغبة فى « القرار الجماعى الفيدرالى » وهذه الرغبة كانت لصالح الحياد ومن ثم لصالح الاتفاق مع إسرائيل . وفى حرص جامبارى نفسه على منطق « الوحدة الفيدرالية » هذه فإنه يرى أن باليوا كان سيكون فى وضع سيء للغاية لو خضع لضغوط الشماليين وهدد الائتلاف الحاكم فى ذلك الوقت .

يشير جامبارى إلى اعتبار آخر وراء دفع الجنوبيين نحو إسرائيل ، وهو اتجاه زعماء الشمال

المسلم للاندماج فى حركة الجامعة الإسلامية - المؤتمر الإسلامى غير مبالين بأن نيجيريا دولة علمانية . وقد كان أحمدو بللو يبالغ إلى حد أنه انتخب نائبا لرئيس المؤتمر الإسلامى غيابيا بسبب تصريحاته عن ضرورة « إنشاء كمنولث إسلامى » يضم نيجيريا مع الدول الإسلامية . أو تساؤله عن دولة إسرائيل وما إذا كانت موجودة بالفعل ! .

يستخلص جامباوى من الحملة على أحمدو بللو فى اندفاعه نحو العالم الإسلامى أنها عممت اتجاه الجنوبيين نحو التعامل مع إسرائيل وبحياد من قبل الحكومة الفيدرالية وجعل ذلك موقف الشمال إقليميا بحتا بمعنى انفرادهم بالموقف المعادى لإسرائيل حتى رفضوا دخول المساعدات إلى الشمال على أساس حق الحكومة الإقليمية فى تنظيم المساعدات الفنية الخارجية أخذا أو طلبا - وخاصة فى مجالات مثل الزراعة ومشروعات التنمية - بل وإنهم استطاعوا منع الحكومة الفيدرالية من افتتاح سفارة لها فى تل أبيب رغم وجود السفارة الإسرائيلية فى لاجوس .

إن بنية وطبيعة السياسات النيجيرية لا تسمح باتجاهات موحدة ولكنها تقوم على المصالحة بين اتجاهات مختلفة ، ومسألة الصراع فى الشرق الأوسط هى من أكثر المسائل تمثيلا لهذا الاتجاه وهى المسألة التى افتقدت دائما صيغة « السياسة الوطنية » تجاها إذ كان الشمال دائما يرفض إسرائيل من منطلق إسلامى بينما تضاعف أقاليم الجنوب الفرص أمام النشاط الإسرائيلى .

* فى دراسته عن جنوب افريقيا وإسرائيل : تضامن الدول العنصرية التوسعية اشترك إبراهيم جامبارى مع ب. ويلموت فى إعدادها لندوة « عن الجنوب الافريقى فى الثمانينيات » عقدت بجامعة إيفى بنيجيريا بين ١٧ - ١٩ ديسمبر ١٩٨٠ ، يبدو جامبارى مع زميله أكثر وضوحا فى موقفه وفهمه لطبيعة إسرائيل ، والورقة تلتزم بنفس المنهج الذى أكده جامبارى فى بحثه السابق عن تأثير العوامل الداخلية فى المجتمع على تشكيل سياسته الخارجية ، وفى إسرائيل وجنوب أفريقيا اللتين ترتبطان من قبل قيام الدولة اليهودية ، تؤثر البنية الاجتماعية ومجموعة المصالح الأيديولوجية والسياسية والاستراتيجية على صياغة سياستهما .

وما يحكم إسرائيل وجنوب افريقيا معا - فى رأى جامبارى وزميله - هو الاعتقاد فى أنهما يشتركان فى عناصر مشتركة فى الماضى والحاضر والمستقبل ويصارعان من أجل الوجود ويستعملان منطقا لا يتوافر لمعظم جماعة الأمم المتحدة ، وأنهما يشكلان قوة يعتمد عليها إزاء فوضى العداء للغرب .

لقد كان من نتائج حرب ١٩٧٣ بالنسبة لإسرائيل أن تحطمت أسطورة الحدود الآمنة ، بل و « الأصدقاء الآمنين » فى أوربا وأفريقيا .. فاستخدام العرب لسلاح البترول ضد أصدقاء إسرائيل الغربيين ، ومقاطعة أفريقيا لها دبلوماسيا جعلها فى عزلة حاولت الولايات المتحدة إخراجها منها بالسلاح ، وبتيسير الاتفاق مع مصر ثم دفع تعاونها مع جنوب افريقيا . لقد تطورت علاقة إسرائيل بجنوب أفريقيا ليس كشركاء فى المصالح فقط بل فى « الوضع » أيضا . فكل منهما معزول وفى نفس الوقت يشكل قوة للمصالح الغربية فى منطقته ، وكل منهما يقوم على سياسة التفرقة العنصرية ، وقد

سمى فيرفورد وفورستر من قبل إسرائيل دولة ابارتهيد وكلا الدولتين تقومان على التوسع فى مواجهتهما لحركة التحرر داخلهما وتعتمدان على إخضاع الدول المجاورة سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

وإسرائيل تقوم بدور الشرطى فى المنطقة العربية مثل قيام جنوب افريقيا بنفس الدور فى الجنوب الافريقى وكلاهما لصالح الغرب – وللاثنين معا سياستهما تجاه افريقيا ، « فالخروج بقليرة » عن جنوب أفريقيا توازى « مصالح إسرائيل فى أفريقيا » على النحو الذى تعلن به

والاثنان هدفهما إضعاف التضامن العربى الافريقى ، وأضيف إلى ذلك هدف تخريب النظم الثورية والمعادية للامبريالية والتى يعتبرها الغرب خطرة على مصالحه .

وعندما ضعف سلاح المعونة الاقتصادية والمالية لافريقيا من قبل إسرائيل وجنوب افريقيا استبدلا به سلاح « الابتزاز بالسلاح النووى » ، ولذا سربت أنباء تعاون إسرائيل مع جنوب افريقيا وتيوان عن طريق المخابرات الأمريكية حول تفجيرهم للقنبلة الذرية عام ١٩٧٩ . وأصبح التفوق العسكرى هو الذى تواجه به هذه الدول نقمة استنكار التفرقة العنصرية والتوسعية

ورغم المخاطر التى تهدد أفريقيا والمجتمع الدولى فإن تعاون إسرائيل مع جنوب افريقيا يتزايد ويؤثر ذلك بالضرورة على سياسة نيجيريا الخارجية فى الثمانينيات ، كما سنرى « والعرض بلغة جامبارى نفسه » .

لقد كانت سياسة نيجيريا الخارجية فى الستينيات بالنسبة للشرق الأوسط هي سياسة « عدم الانحياز للعرب أو الإسرائيليين » فقد كانت نيجيريا وقتئذ تتحدث بأكثر من صوت واحد « كما رأينا فى عرض جامبارى فى الورقة الأولى » ، كانت علاقة نيجيريا بأطراف الصراع فى الشرق الأوسط تنبع عن التصارع بين أقطاب النزاع الداخلى نفسه فى الستينيات ، الشمال مع العرب والجنوب مع إسرائيل ، بينما تحاول الحكومة الفيدرالية اتخاذ موقف الحياد خاصة فترة رئاسة باليوا للحكومة أما فترة يعقو بوجوان فقد مال الموقف الفيدرالي نسبيا ضد إسرائيل بسبب تأييدها لبيافرا خلال الحرب الأهلية . وبعد حرب ١٩٧٣ بدأ الموقف معاديا لسياسة إسرائيل العدوانية ضد أراضى الغير وخاصة مصر الافريقية . ومع ذلك فإن السياسة الفيدرالية النيجيرية لا يمكن اعتبارها « سياسة وفاق قومى » حتى الآن رغم استمرار موقف نيجيريا تجاه إسرائيل منذ ١٩٧٣ ففى انتخابات ١٩٧٩ قاد أولوو « غرب » حملته على أساس أن اتفاق مصر مع إسرائيل يشكل أساسا لنيجيريا لإعادة علاقتها بإسرائيل وأيدته أحزاب أخرى فى هذا الاتجاه ، ومعنى ذلك أن علاقة نيجيريا بإسرائيل مازال يحكمها الصراع الحزبى والدينى المحلى ، مع أن تطور علاقة إسرائيل بجنوب افريقيا أصبحت تشكل عاملا جديدا لسياسة نيجيريا تجاه إسرائيل فى الثمانينيات ، والسؤال القائم الآن هو ما إذا كان صناع السياسة النيجيريين وغيرهم سوف يستخدمون هذا العامل لبناء سياسة وفاق قومى دائم ضد سياسة إسرائيل فى الشرق الأوسط وأفريقيا أم أنه سيتم تجاهلها والتقليل من شأنها بتأثير اللوبى الموالى لإسرائيل فى نيجيريا ؟ .

وتأييدا لخيار جامبارى الواضح هذه المرة ضد إسرائيل - وقد بدا متحفظا على اتجاهات الشماليين فى البحث الأول - يعرض الباحث وزميله عرضا تفصيليا حقائق التعاون المكثف بين إسرائيل وجنوب افريقيا على أساس أنه تعاون خطير لأنه عنصرى وتوسعى ويستهدف وقف حركة تصفية الاستعمار والتفرقة العنصرية فى افريقيا .

وسوف لا أورد هنا تفاصيل ما ورد فى البحث عن استراتيجية التعاون الاقتصادى والعسكرى بين إسرائيل وجنوب افريقيا حيث لا تخرج المادة عن كثير مما عرض بهذا الشأن فى أكثر من مصدر ولكن الذى يهمنا هو روح الدكتور جامبارى من خلال بعض ملاحظاته فى هذا العرض لإقناع الرأى العام النيجيرى بنظرته الجديدة فى الموقف من إسرائيل كمطلب « وفاق وطنى » وليس للحوار بين المصالح الإقليمية والحزبية والدينية .

فبعد استعراضه للتزايد السريع فى العلاقات التجارية بين النظامين واستفادة إسرائيل من تجارة الماس التى زادت عن مليار دولار ونقلت مركز صناعته من امستردام إلى إسرائيل ، وبعد ذكره لقوة عنصر السلاح أيضا فى هذه التجارة خاصة لدعم قوة جنوب افريقيا فى تصفية المراكز السكانية بالدول المجاورة لها ، كهدف تكتيكى ، يشير البحث إلى أن ثمة هدفا استراتيجيا من وراء ذلك على المستوى العالمى هو أن يصبح ٣,٥ مليون يهودى و ٤ مليون أبيض فى جنوب افريقيا قوة قهر للموارد الإنسانية والمادية والفكرية فى العالم العربى الافريقى لصالح الهيمنة الغربية الامبريالية . ومما يؤكد ذلك أن السيطرة فى المجتمعين هى للعنصر الأوربى ، الاشكنازى فى إسرائيل والإنجليز فى جنوب أفريقيا ، والصلة بين قمة النظامين قائمة عبر أثرياء الجاليات اليهودية مثل اوبنهايمر والشركة الأنجلو أمريكية . ثم يعرض للدور إسرائيل فى خدمة صناعة وتجارة جنوب أفريقيا عن طريق فتح الأسواق العالمية لها أو توفير بعض المواد الاستراتيجية التى تؤدى للمقاطعة العربية والافريقية لنقصها فى جنوب افريقيا ، ومع ذلك فإن عمليات إسرائيل فى هذا الصدد تستعمل وسائل سرية بدورها وتستخدم فيها أثرياء وأجهزة مخابرات عربية وافريقية .

وينقل هنا عن مصادر صحفية نيجيرية وغربية ما ضبطه الأمن النيجيرى من ناقلات بترول وسلاح فى المياه الإقليمية النيجيرية نفسها عام ١٩٧٩ متجهة لجنوب افريقيا ولم يستبعد استخدام خبرة إسرائيل بسواحل شرق نيجيريا منذ كانت تمد الانفصاليين فى بيافرا بالمساعدات ، كما أن الشركة البريطانية للبترول قد أممت على أثر ذلك . ولسبب أزمتها ولثقل أوبنها يمر بين ملاكها وجدنا الحملة داخل نيجيريا من اللوبى الموالى لإسرائيل عام ١٩٧٩ نفسه بإعادة العلاقات مع إسرائيل وفك تأميم شركة برتش بتروليم .

وباستعراض البحث للتعاون العسكرى بين إسرائيل وجنوب افريقيا ، يتحدث عن صناعة السلاح المتقدمة فى إسرائيل ونقلها للنظام العنصرى فى الجنوب الافريقى ، وذلك فى مجال المدفعية والصواريخ والبحرية والتجارب النووية ، وهو يربط كل ذلك بالأهداف الإقليمية للدولتين العنصريتين وبالاستراتيجية الامبريالية العالمية ويرى أن هذا التعاون لا يعنى فقط حفظ البنية الداخلية

لدولتين من دول الامبريالية الصغرى ولكنه أيضا يدعم البنية الدولية للامبريالية الغربية وذلك بإخضاع دول العالم العربى الافريقى . ومن جهة أخرى فإن نيجيريا نفسها ليست بعيدة عن مرمى أى من هده الأسلحة التى تنمو من خلال التعاون بين إسرائيل وجنوب افريقيا ، فالأخيرة وقد أصبحت تملك مدفعية تطلق من على بعد ٢٠ ميلا فإنها يمكن أن تنال أى موقع على ساحل نيجيريا الطويل موانيه ومدنه الساحلية ومعدات البترول فيه .

ويرى جامبارى وزميله أن إسرائيل وجنوب افريقيا أصبحتا تمدان نفوذهما الاستراتيجى عبر أنحاء القارة الافريقية شمالا وجنوبا كقوى امبريالية صغرى ، والأجزاء التى تصعب عليهما فى العالم العربى الأفريقى تعوضها قوة الانتشار الأمريكية و « قوة الدفاع الفرنسية لأفريقيا » .

وفى الخلاصة يرى الباحثان أن الاندماج أصبح بين إسرائيل وجنوب افريقيا من جهة وبينهما معا والغرب من جهة أخرى والهدف واحد هو إخضاع الدول الافريقية والعربية للسيطرة الغربية اقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا . وما يساعد على حدوث ذلك هو تشابه النظامين العنصريين ، فالقومية الصهيونية تشبه بقومية الأفريكانر ، وأساليب النفاذ بين سكان المنطقتين ، وعقلية إنكار العالم من حولهما والموت حتى آخر رجل للمحافظة على هويتهما المتميزة . إن كل منهما قد تصبح « فيتنام » المستقبل ولذا يزداد تعاونهما فى كافة المجالات حتى لا ينهارا تحت وطأة تناقضاتهما الداخلية والخارجية .

وهذا التعاون القوى بين النظامين قد يمد الحكومة الفيدرالية فى نيجيريا بأدوات صياغة الوفاق القومى ضد سياسة الدولتين معا ، العنصرية فى جنوب أفريقيا والتوسعية فى إسرائيل وفى نفس الوقت مهاجمة الدعم الغربى لسياسة الدولتين .

كما أن علاقات التضامن العربى الافريقى لابد أن تنمو فى مواجهة التعاون بين إسرائيل وجنوب أفريقيا . لقد كان التأييد الافريقى المبادر للعرب فى منظمة الوحدة والأمم المتحدة إزاء صراع الشرق الأوسط ومقابلته بمد سلاح البترول ضد الغرب إلى عدو أفريقيا القديم جنوب افريقيا ، هو الذى وضع أساس التعاون العربى الافريقى ، وتطور هذا التعاون لإقلاق جنوب افريقيا وإسرائيل والغرب معا هو ما يجب أن يشجع . ويشكل البعد الإقتصادى والمالى عنصرا هاما كما يجب تكثيف الدعم لحركات التحرر فى الشرق الأوسط وجنوب أفريقيا فى نضالها ضد العنصرية والامبريالية الصغرى .

ونيجيريا الآن فى وضع طيب لقيادة حركة دعم التعاون العربى الأفريقى وزيادة دعمها لحركات التحرر فى الشرق الأوسط وجنوب افريقيا . وقد يكون ذلك الطريق الأسرع والأكيد لتصفية الاستعمار والعنصرية بدلا من تنمية الأسلحة النووية ومع ذلك يجب ألا تترك نيجيريا أية فرصة لتنمية قدراتها لتسابق بها عدوها الرئيسى فى افريقيا ، وهو جنوب أفريقيا .

لا أعتقد أننى بحاجة لتعقيبات مكررة هنا فالنصوص معبرة تماما عما وضعت من أجله ما لم يكن تفسيرى فى عرضها هو مصدر الخلل . لكن بعض الدلالات المحدودة فقط هى الجديرة بالتذكير

(أ) فالوثيقة الأولى من أصدقاء إسرائيل تكشف عن وفرة ما تقدمه إسرائيل لأصدقائها من بيانات وقناعات . وهى لا تمل من تكرار مقولاتها القديمة فى افريقيا بصيغ متجددة .

(ب) والوثيقة الثانية من أصدقاء العرب ينقصها بوضوح المعلومات عن الواقع والفكر العربى لذا تلجأ للحماس والعاطفة والاتهام ، ومع ذلك فهى تتعمق فى فهم الواقع النيجيرى ويساعدها ذلك على قوة منطقها من هذه الزاوية .

(جـ) مقال بالاعثمان يفتح أبوابا – بذكاء – لدراسات تأثير الإعلام الغربى المتحالف مع الإعلام الإسرائيلى ، وينبه لنقاط فى الواقع الافريقى جديرة بتأملها عندما يحاول برؤية نفاذة أن يكشف الترابط العضوى بين الإعلام على المستوى العالمى والمحلى .

(د) ودراسات جامبارى تشير إلى المرحلة التى نفذت فيها قضية الصراع العربى الإسرائيلى إلى الدوائر الجامعية والثقافية فى أفريقيا ، وهو كسب كبير على الأقل مقابل نفاذ إسرائيل إلى الدوائر السياسية والاجتماعية فى القارة .

وملاحظات عثمان وجامبارى معا تشير إلى انتقال مفاهيم الصراع العربى الإسرائيلى من المحلية إلى الصراع مع الاستعمار والعنصرية والامبريالية الغربية على المستوى العالمى ، وهى نقلة تنقص الكثير من الدوائر العربية نفسها .

ولا يبقى إلا القول ... إن هذا الحوار الأفريقى حول إسرائيل يضع كثيرا من الأسس لأية خطة للتثقيف السياسى والعمل الإعلامى ، عربيا وافريقيا ... وبينهما معا .